



جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات الإسلامية

برنامج الدكتوراه في التربية الإسلامية

**المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتطبيقاته
في العملية التعليمية**

**Educational Mythology in Declaring the Integrity of Personality in the
Light of Belief in the Day of Judgment and its Applications in the
Teaching Process**

إعداد

إبتهال عبدالله محمد الرفاعي

إشراف الأستاذ الدكتور

عدنان مصطفى خطاطبة

حقل التخصص - التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني ٢٠٢٠م / ١٤٤١هـ

المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتطبيقاته
في العملية التعليمية

Educational Mythology in Declaring the Integrity of Personality in
the Light of Belief in the Day of Judgment and its Applications in the
Teaching Process

إعداد

إبتهال عبدالله محمد الرفاعي

بكالوريوس فقه وأصوله، جامعة اليرموك، 2002م

ماجستير تربية إسلامية، جامعة اليرموك، 2007م

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التربية
الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها

أ.د. عدنان مصطفى خطاطبة مشرفاً ورئيساً

أستاذ دكتور في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

أ.د. عماد عبدالله الشرفين عضواً

أستاذ دكتور في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

د. إنشراح أحمد البيرودي عضواً

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

د. إبراهيم علي نعانعه عضواً

أستاذ مشارك في أساليب تدريس التربية الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ مناقشة الرسالة: 14 / 6 / 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من علمني إنَّ الإنسان عطاء، اليوم وفي حضرة الغياب، إلى الساكن في أعماقي، إلى
صاحب الفضل عليّ، إلى والدي الحبيب رحمه الله تعالى. وأسكنه فسيح جناته... وإلى من
ينبض قلبي بجمها، إلى من أعجز عن مجازاتها إلى والدي الحبيبة حفظها الله ورعاها...
إلى الذي تعجز كلماتي عن الوفاء بفضله، إلى الذي ما برحت أجده عنوان الدعم والمساندة إلى
زوجي الغالي، إلى شموع حياتي أولادي... إلى كل من أعرف وأحب...

أهدي هذا الجهد المتواضع،،،

الباحثة

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، والصلاة والسلام على رسوله الأكرم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

إنَّ الفضلَ كلَّ الفضلِ لله عز وجل الذي أمدني بالصبر والإرادة والقدرة ما أعانني على إتمام هذا العمل. راجياً منه أن يجعله في ميزان حسناتي.

وهنا، أتقدم بوافر الشكر وجزيل الثناء والعرفان والامتنان إلى مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور عدنان خطاطبة، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى كل ما بذله معي من جهد، وما قدّمه لي من توجيهات علمية نافعة، وملاحظات قيّمة، فأسأل المولى عز وجل، إنَّ يرتقي العمل إلى الصورة التي يطلّعُ إليها، وأن يجازيه عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ولا يفوتني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة الدراسة، لإبداء ملحوظاتهم القيمة، الأساتذة الدكتور عماد عبدالله الشريفين، والدكتور إنشراح أحمد البيروودي، والدكتور إبراهيم علي نعانعه.

والشكر موصول إلى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت في كنفهم فجزاهم الله عنا خير الجزاء والمثوبة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للدكتور سعد العنوز الذي ساعدني في تدقيق ومراجعة الأهداف التعليمية، فجزاه الله عنا خير الجزاء والمثوبة.

وأنتدم بعظيم حبي وامتناني إلى زوجي، الذي تضيق عباراتي في سبيل شكره، لما قدمه لي من عون فيما يخص هذه الدراسة، فجزاه الله خير الجزاء.

الباحثة

إبتهاال الرفاعي

فهرست المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
ج	البسمة
د	الإهداء
هـ	الشكر والتقدير
و-ط	فهرست المحتويات
ي	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٣	مشكلة الدراسة وأسئلتها
٤	أهداف الدراسة
٤	أهمية الدراسة
٥	منهجية الدراسة
٥	حدود الدراسة
٦	مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية
٧	الدراسات السابقة

الفصل الأول

الإطار التمهيدي لتزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الأول

مفهوم تزكية النفس وفضله

١٨	المطلب الأول: مفهوم تزكية النفس لغةً واصطلاحاً
١٨	أولاً: مفهوم التزكية لغةً وشرعاً
١٨	• التزكية في اللغة
٢٠	• التزكية في الشرع
٢٤	• التزكية في الاصطلاح
٢٦	ثانياً: مفهوم النفس لغةً واصطلاحاً والنفس في الشرع
٢٦	• مفهوم النفس لغةً
٢٧	• النفس في القرآن الكريم:
٣٢	• مفهوم النفس في الاصطلاح:
٣٤	ثالثاً: معنى تزكية النفس اصطلاحاً
٣٩	المطلب الثاني: فضل تزكية النفس

المبحث الثاني

مفهوم الإيمان باليوم الآخر ومكانته

٤٤	المطلب الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر
٤٥	مفهوم الإيمان باليوم الآخر
٤٨	المطلب الثاني: مكانة اليوم الآخر

الفصل الثاني

أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وقواعدها، وأساليبها

المبحث الأول

أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

٥٧ مفهوم الهدف لغة واصطلاحاً
٥٧ معنى الهدف في اللغة
٥٨ معنى الهدف في الاصطلاح
٥٨ منظومة أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٦٠ (أ): الفوز برضا الله تعالى والنعيم الأبدي في الآخرة (الخلود في الجنة)
٦٠ الهدف الرئيس الأول: إخلاص النية والعبودية لله تعالى وحده
٦٣ الهدف الرئيس الثاني: استقامة بنية النفس الإنسانية وسعادتها
٦٥ الهدف الفرعي الأول: استقرار الفكر الإنساني
٦٥ الهدف الفرعي الثاني: استقرار الوجدان الإنساني
٦٨ الهدف الفرعي الثالث: استقرار العمل الإنساني
٧٠ الأهداف الكبرى في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٧٥ (ب): استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم في مختلف أنحاء المعمورة وعلى مدار الحياة الدنيا (الغاية نهايتها)
٧٩ الهدف الرئيس الأول: بناء مجتمع إسلامي قويم
٨١ الهدف الرئيس الثاني: إقامة حضارة إنسانية رصينة
	المبحث الثاني
	قواعد تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٨٥ القاعدة الأولى: الوحي الإلهي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية المصدر الرئيس للتوجيهات التزكوية الرشيدة، الموصلة للفوز باليوم الآخر
٩١ القاعدة الثانية: عملية التزكية مستقبلية الأجر والجزاء في اليوم الآخر المتحقق لا محالة منه
٩٦ القاعدة الثالثة: جزاء تزكية النفس في الآخرة مصدره رباني وأساسه العدل
٩٨ القاعدة الرابعة: النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها، وأي حواضن تربية تزكوية هي حواضن مُساندة
١٠٦ القاعدة الخامسة: طردية العلاقة بين تزكية مكونات البنية النفسية (جوانب تزكية النفس)
١١٠ القاعدة السادسة: العملية التزكوية مستوعبة لشطري البنية النفسية المادية والمعنوية، مقتضية للجزاء الأخروي المادي والمعنوي
١١٣ القاعدة السابعة: جزاء تزكية النفس في الآخرة يقسم إلى قسمين: جزاء حسن (الثواب بالجنة)، ويكون على تزكية النفس وتطهيرها، وجزاء سيئ (العقاب بالنار)، ويكون على تدهور النفس
١١٤ القاعدة الثامنة: الجزاء في الآخرة من جنس العمل
١١٥ القاعدة التاسعة: السببية والتأثير طرق لاستمرارية الجزاء على السلوك في اليوم الآخر
١١٧ القاعدة العاشرة: التزكية عملية منضبطة بشروط حتى تستحق الثواب في اليوم الآخر
١١٩ القاعدة الحادية عشرة: توزيع الدرجات في الآخرة على حسب تزكية النفس في الدنيا مدعاة لاستمرارية العمل التزكوي (فقه درجات الآخرة)
١٢١ القاعدة الثانية عشرة: التزكية عملية توفيقية من المولى عز وجل؛ يُكرم بها من يشاء من عباده
١٢٣ القاعدة الثالثة عشرة: العلم هو المؤهل الأولي للعملية التزكوية
١٣١ القاعدة الرابعة عشرة: التلازم الشرطي بين الوجود الإنساني والتحرك التزكوي
	المبحث الثالث
	أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
١٣٣ الأسلوب الأول: أسلوب وعيد القرآن الكريم بعقوبة العذاب بالنار في اليوم الآخر
١٤٢ الأسلوب الثاني: أسلوب وعد القرآن الكريم بالجنة جزاءً لتزكية النفس

١٤٦ الأسلوب الثالث: أسلوب الوصف التشويقي لنعيم الجنة
١٥٠ الأسلوب الرابع: أسلوب تزكية النفس بالانصهار والانكفاف الهادف
١٥٦ الأسلوب الخامس: أسلوب تزكية النفس بإبراز مواطن العوض والجزاء المتضادة
١٦٢ الأسلوب السادس: أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية بين الدنيا والآخرة
١٦٧ الأسلوب السابع: أسلوب النظر في الإشارات الدنيوية المناظرة للمعالم الأخروية
١٧٠ الأسلوب الثامن: أسلوب ضرب المثل لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
١٧٢ الأسلوب التاسع: أسلوب التصوير والتجسيم الفني
١٧٧ الأسلوب العاشر: أسلوب تقريب البعيد من الأذهان وتصوير الأمور الغيبية بأمر محسوسة
١٧٩ الأسلوب الحادي عشر: أسلوب تزكية النفس بالمراقبة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
١٨٨ الأسلوب الثاني عشر: أسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
١٩١ الأسلوب الثالثة عشر: أسلوب تزكية النفس بالذكر
١٩٤ الأسلوب الرابع عشر: أسلوب تزكية النفس بالتفكير بالموت والتذكير بالآخرة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٠١ الأسلوب الخامس عشر: أسلوب تزكية النفس بالإكثار من الباقيات الصالحات في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٠٤ الأسلوب السادس عشر: أسلوب تزكية النفس بالتمسك بكتاب الله تعالى في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٠٧ الأسلوب السابع عشر: أسلوب السؤال في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

الفصل الثالث

تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الأول

٢١٣	تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢١٤ أولاً: تزكية العمليات المعرفية (التفكير) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢١٤ ١. تزكية العمليات المعرفية (التذكر) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٢٥ ٢. تزكية العمليات المعرفية/ (الإدراك) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٢٩ ٣. تزكية العمليات المعرفية (الاستدلال) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٣١ ثانياً: تزكية ميادين الفكر الإنساني في قضايا الوجود، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٣١ ١. تزكية التفكر في وجود الخالق في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٣٢ ٢. تزكية التفكر في ميدان الكون في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٣٦ ٣. تزكية التفكر في ميدان الأنفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٣٩ ٤. تزكية التفكر في ميادين الحياة والآخرة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٤٠ ثالثاً: الانعكاسات الإيجابية لتزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٤٥ رابعاً: إجراءات عملية في تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الثاني

تزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

٢٥٣ أولاً: تزكية الجانب الوجداني عبر ضبط عواطف المحبة بضابط اليوم الآخر
٢٥٤ ثانياً: تزكية الجانب الوجداني عبر ضبط الدوافع بضابط البعث والجزاء والآخرة عموماً
٢٧٤ ثالثاً: تزكية الجانب الوجداني عبر طريقة الخطاب القرآني للنفس الإنسانية بشأن اليوم الآخرة
٢٨٢ رابعاً: الانعكاسات الإيجابية لتزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٢٨٧ خامساً: الإجراءات العملية لتزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر
٣٠١ المبحث الثالث
٣٠٣ أولاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تزكية العلاقات الإنسانية

٣١٢ثانياً: تزكية الجانب العملي في النفس الإنسانية عبر تزكية أعضاء الجسم في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣١٧ثالثاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تزكية المال في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣١٩رابعاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر (التخلية) بالتطهير من المعاصي والذنوب و(التحلية) بالتحلي بالفضائل والعبادات، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣٤٠خامساً: الإجراءات العملية لتزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
	الفصل الرابع
	التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في العملية التعليمية
	المبحث الأول
	تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المنهاج التعليمي والمعلم والمتعلم.
٣٥٠مقدمة.....
٣٥١أولاً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المنهاج التعليمي.....
٣٥٨ثانياً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المعلم.....
٣٦٤ثالثاً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المتعلم.....
	المبحث الثاني
	التطبيقات التربوية في اشتقاق الأهداف التعليمية
٣٧٠أولاً: الأهداف المعرفية المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣٨١ثانياً: الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣٨٨ثالثاً: الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.....
٣٩٨الخاتمة.....
٣٩٨أولاً: النتائج.....
٤٠٠ثانياً: التوصيات.....
٤٠٠ثالثاً: المقترحات.....
٤٠١قائمة المصادر والمراجع.....
٤١٧Abstract.....

الملخص

الرفاعي، ابتهاج، المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتطبيقاته في العملية التعليمية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٢٠م، إشراف الأستاذ الدكتور عدنان خطاطبة.

هدفت الدراسة إلى بيان المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وتكونت الدراسة من الأسئلة الآتية: ما مفهوم تزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر؟ وما أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وقواعدها وأساليبها؟ وما جوانب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر؟ وما التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في العملية التعليمية؟ ولتحقيق ذلك اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أبرزها: إنّ من الأهداف الكبرى لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر الفوز برضا الله تعالى والنعيم في الآخرة، وإنّ من أبرز القواعد في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، إنّ الوحي الإلهي بشقيه: القرآن الكريم والسنة النبوية يشكل المصدر الرئيس للتوجيهات التزكوية الرشيدة الموصلة للفوز باليوم الآخر، ومن الأساليب في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية بين الدنيا والآخرة، وقدمت الدراسة أبعاد تزكية الجانب الفكري للنفس الإنسانية ببيان تزكية العمليات المعرفية وتزكية ميادين الفكر الإنساني في قضايا الوجود، وتزكية الجانب الوجداني عبر ضبط الدوافع بضابط البعث والجزاء والآخرة، وتزكية الجانب العملي عبر تزكية العلاقات الإنسانية وتزكية أعضاء الجسم، وعرضت الدراسة لتطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المنهاج التعليمي والمعلم والمتعلم، وكذلك اشتقاق الأهداف التعليمية، وكان من أبرز توصيات الدراسة الحالية إيلاء واضعي المناهج المدرسية الاهتمام بالمنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

الكلمات المفتاحية: المنهج التربوي، تزكية النفس، اليوم الآخر، العملية التعليمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمُدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

هدف المنهج القرآني إلى إصلاح المجتمعات الإنسانية، من خلال عدّة محاور وقنوات، من بينها العمل على بناء الشخصية الإسلامية بناءً عقدياً مؤثراً في بنية النفس وتكويناتها الباطنة والظاهرة، بما يحقق لها التكامل والتوازن ويحفظ سلامتها من الأمراض والعلل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

وإن التربية أهم عملية يتأثر بها الإنسان، وعليها يتوقف نموه إلى أقصى الحدود المرسومة له، وبها يصلح أداء المهمة المنوطة به. والقرآن الكريم هو دستور التربية الناجحة، فقد دعا إلى الكشف عن آيات الله تعالى في الإنسان، كالكشف عن قواعد السلوك الإنساني، وسبب انحرافه، ووسائل توجيهه وتعديله، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يجد منهجاً تربوياً في تقويم النفوس والأمم، ولا أدلّ على ذلك من جيل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امتثل لهذا المنهج، والذي بدوره صنع

النموذج الإنساني المتميز بأخلاقه وسلوكه القويم، فصنع أمة وحضارة وإنسانية شهد لها التاريخ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد استنار القرآن الكريم بمنهجه المتفرد ضمير الإنسان بالمؤثرات لإصلاح حياته، وضمان استقامته على الحق، فمنهج القرآن الكريم في بناء الشخصية الإسلامية بناءً عقدياً مؤثراً في النفس يؤدي إلى تطهيرها وتزكيتها.

ومما يقوم عليه المنهج القرآني في تزكية النفس أركان الإيمان، ومن بينها ركن الإيمان باليوم الآخر، وهو ركن يعدّ من أجلّ مباحث العقيدة لتعلقه بما يعتقدُه العباد في معادهم، وما يصيرون إليه من نعيم مقيم أو عذاب أليم. ويعدّ الإيمان باليوم الآخر من أهم أركان الإيمان؛ لأنّ الإنسان لا يقوم بالطاعات ولا يترك المحرمات ولا يندفع للعبادة، ما لم يشعُر أنه سيحاسب ويجازى على فعله في اليوم الآخر، فتأتي عقيدة الجزاء الرباني في اليوم الآخر لتهديب وتزكية النفوس. فإذا أيقن العبد بالحياة الآخرة التي يكون فيها الحساب على الكبيرة والصغيرة حتى الذرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]. أثمر له ذلك اليقين تقوى الله تعالى، ومراقبته وخشيته في السر والعلن.

ومن هنا، جاءت هذه الدراسة لتبحث قضية محددة تتعلق بأثر الاعتقاد باليوم الآخر في تزكية النفس الإنسانية، كاشفة عن منهج القرآن الكريم في توظيف عقيدة الآخرة في التزكية وبيان إمكانية تطبيقها في التعليم المعاصر. وطبيعة هذه الدراسة تتجه إلى البحث في "المؤثر الغيبي" في

بناء السلوك الحسي والمعنوي للذات الإنسانية المؤمنة. وهو ما تختص به تربيتنا الإسلامية عن غيرها من نظريات التربية الغربية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تأتي مشكلة هذه الدراسة من قلة الدراسات العلمية التي اعتنت بعملية تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر تحديداً، وفي إطار بحثي يكشف عن منهجية التربية الإسلامية المستمدة من خطاب الوحي في تحقيق عملية التزكية التي تعدّ إحدى العمليات الكبرى للتربية الإسلامية. كما تأتي مشكلة هذه الدراسة من خلال توصيات^(١) عدد من الدراسات المختصة في مجال الإيمان والتزكية، والحاجة الماسة إلى البحوث والدراسات العملية المتخصصة التي أظهرها تدريس مساق تزكية النفس وتربيتها في ضوء العقيدة، في قسم الدراسات الإسلامية. بل كانت فكرة هذه الدراسة نابعة في الأصل من تلك الحاجة وخادمة لها.

ولقد تتبعت الباحثة معظم النصوص القرآنية المتعلقة بالاعتقاد باليوم الآخر وكانت بالمئات، ثم قامت بتحليل أولي استغرق أشهراً، لتتوصل من خلاله إلى وجود علاقات جوهرية بين مناحي

(١) ينظر:

- عبد الرحيم، صفاء صديق علي، مؤشرات شعب الإيمان القلبية على سلوك المسلم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية، السودان، ٢٠١٤.
- ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠١٤.
- إبراهيم، رنا فريد، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٠.
- مقبل، ربي عفيف، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٢م.

تزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر بكل مفاهيمه ومفرداته، متضمناً منهجية تربوية تحتاج إلى عملية كشف لها، وإعادة بناء لرسم ملامحها العامة التي يمكن الإفادة منها في العمليات التربوية.

وستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم تزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر؟
٢. ما أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وقواعدها، وأساليبها؟
٣. ما جوانب تزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر؟
٤. ما التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في العملية التعليمية؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١. بيان مفهوم تزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر.
٢. استنباط أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وقواعدها، وأساليبها.
٣. بيان تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.
٤. توضيح للتطبيقات التربوية لتزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

أهمية الدراسة

تتأني أهمية الدراسة من أهمية موضوعها والأهداف التي تسعى لتحقيقها، ومن المتوقع إن

تفيد في الجوانب الآتية:

١. تفيد الدراسة في إطارها النظري، بتقديم رؤية تربوية لمنهج القرآن الكريم في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتطبيقاته في العملية التعليمية، بحيث تعد مرجعاً سابقاً للباحثين والتربويين.

٢. تفيد الدراسة في إطارها العملي الجهات الآتية:

- المؤسسات التربوية كافة، ومنها العاملة في مجال التربية وعلم النفس والسلوك الإنساني، من خلال بيان المنهج التربوي في تزكية النفس من خلال الاعتقاد باليوم الآخر، لوضع الخطط المنهجية لتزكية النفوس وإصلاحها.
- مصممي المناهج الدراسية، إذ تسهم الدراسة الحالية في بيان المنهج التربوي في تزكية النفس، والتطبيق التربوي لها في العملية التعليمية.
- قسم الدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك، إذ تعد الدراسة الحالية مرجعاً أساسياً لمساق تزكية النفس وتربيتها في ضوء العقيدة.

منهجية الدراسة

اتبعت الباحثة في الدراسة الحالية عدة مناهج بحثية تتمثل في الآتي:

١. المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء النصوص الشرعية المتعلقة باليوم الآخر وتزكية النفس.
٢. المنهج التحليلي، من خلال تحليل طبيعة النصوص الشرعية وتركيباتها في موضوع اليوم الآخر وعلاقتها بالنفس والسلوك.
٣. المنهج الاستنباطي، من خلال استنباط المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، والكشف عن أوجه تطبيقاته في العملية التعليمية وإمكانية بناء نماذج تربوية.

حدود الدراسة

١. الاقتصار على ركن الاعتقاد باليوم الآخر من بين سائر أركان الإيمان الستة.
٢. الاقتصار على النصوص القرآنية في موضوع اليوم الآخر، وقد احتاجت الباحثة إلى الاستشهاد ببعض الأحاديث النبوية الشريفة المبينة للآيات الكريمة.

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية

تعرف الباحثة المنهج التربوي إجرائياً: بأنه ما تُوصَل إليه من بعد النظر في النصوص الشرعية من التصورات والخصائص والأساليب والدوافع والأهداف، والمستنبطة من تحليل تلك النصوص ذات الصلة باليوم الآخر وتزكية النفس.

تُزكية النفس: هي تطهيرها وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات^(١).

وتعرف الباحثة **تُزكية النفس إجرائياً:** بأنها إحدى العمليات الكبرى للتربية الإسلامية التي تُعنى بتطهير الذات الإنسانية وتميئتها باطناً وظاهراً في ضوء خطاب الوحي. وهي عملية تربوية نبوية نص عليها القرآن الكريم وعدّها من المهام التربوية للنبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

الاعتقاد باليوم الآخر: هو أحد أركان الإيمان الستة، ويراد به: التصديق الجازم بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، وتبدأ بالبعث وتنتهي بالمستقر والخلود في الجنة أو النار. وتعرفه الباحثة إجرائياً: بأنه كل تلك النصوص الشرعية التي تحدثت عن الحياة الآخرة في القرآن والسنة من البعث إلى المستقر.

وتعرف الباحثة **مصطلح التطبيقات في العملية التعليمية إجرائياً:** بأنه العمل على توظيف ما توصلت إليه الدراسة من منهجية تربوية في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في عملية

(١) نور، محمود إبراهيم محمود، المنهج القرآني في تزكية النفس: دراسة موضوعية من خلال القصص القرآني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة، ٢٠١٢م.

التعليم من خلال تقديم نماذج تعليمية في هذا المجال على شكل إجراءات تطبيقية يمكن للمعلم إنَّ يستخدمها في تركية شخصية الطلاب، إضافة إلى اشتقاق الأهداف التعليمية.

الدراسات السابقة

في حدود اطلاع الباحثة ومراجعتها للأدب النظري المتعلق بموضوع الدراسة، وجدت الباحثة

عدة دراسات عالجت بعض القضايا الجزئية فيها ومن أبرزها:

- دراسة جلي (١٩٩١)، بعنوان: الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان^(١).

هدفت الدراسة إلى بيان اهتمام القرآن بالحياة الآخرة، وتوضيح البراهين على إمكانية البعث،

وأثر عقيدة الإيمان باليوم الآخر في حياة الناس، ولتحقيق ذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي.

وأسفرت الدراسة عن نتائج أهمها: أنّ عقيدة الإيمان باليوم الآخر تؤثر في حياة الإنسان.

تلتقي الدراسة الحالية ودراسة جلي، وهذه الدراسة في جعل اليوم الآخر محل البحث والدراسة،

والحديث عن أثر الإيمان بالآخرة على النفس الإنسانية.

وتختلف عنها في بيان منهجية القرآن الكريم في تركية النفس من خلال الاعتقاد باليوم

الآخر، والأساليب والقواعد القرآنية في تركية النفس، والتطبيقات التربوية لها.

- دراسة حامد (١٩٩٨)، بعنوان: تركية النفس وأثرها في حياة المسلم^(٢).

هدفت الدراسة إلى بيان أهمية تركية النفس وتطهيرها وأثر ذلك في حياة المسلم. وأن تركية

النفس تجعلها صافية مقبلة على الخير، عارفة لله حق معرفه، وتزداد قرباً منه، ويقدر هذا القرب

تكون منْحُ الله تعالى وأفضاله لتلك النفس. ولتحقيق ذلك اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي.

(١) جلي، أحمد محمد أحمد، الإيمان باليوم الآخر أو السنة أدلته وأثره في حياة الإنسان، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٣٦، ١٩٩١م.

(٢) حامد، سناء بخيت، تركية النفس وأثرها في حياة المسلم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الدعوة والإسلام، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٩٩٨م.

واشتملت الدراسة على أربعة فصول، تضمن الفصل الأول: التزكية معناها وفضلها، والفصل

الثاني: حقيقة التزكية، وتضمن الفصل الثالث: وسائل التزكية، والفصل الرابع: آثار التزكية.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج، أهمها: إنّ الإنسان كبشر أوجد الله سبحانه وتعالى

فيه الخير والشر، وقد تَغَلَّبُ عليه الشرورُ أحياناً، ولكنه بالأذكار والاستغفار والدعاء وعدم الاستغراق

في الذنوب والمعاصي، ثم بتوفيق الله يتغلب على هذه الشرور ويزكّي نفسه، ومن تلك النتائج أيضاً

أنّ التزكية هي عملية اجتهادية لما يكتسبه الإنسان من الفضائل في بحثه عنها.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم تزكية النفس، وأهميتها ووسائل التزكية،

وآثارها.

وتختلف عنها في بيان منهج القرآن الكريم التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم

الآخر تحديداً، وتقديم النموذج العملي في تزكية شخصية المتعلم في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر،

والتطبيقات التربوية في اشتقاق الأهداف التعليمية (المعرفية، والوجدانية، والمهارية).

- دراسة الشريفين (٢٠٠٢)، بعنوان: تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية^(١).

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى تعديل السلوك الإنساني من وجهة نظر التربية الإسلامية،

بإبراز دورها في مجال تعديل السلوك، وكذلك التعرف إلى أهداف تعديل السلوك في التربية الإسلامية

وخصائصه، وإبراز الوسائل المستخدمة في تعديل السلوك وطرائقه؛ ولتحقيق ذلك اتبع الباحث

المنهجين الوصفي والاستنباطي، بالإضافة إلى المنهج التأصيلي المقارن.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج من أهمها: إنّ السلوك الإنساني هو النشاط الصادر

عن الإنسان سواء أكان ملاحظاً أم غير ملاحظ، وأنّ مفهوم تعديل السلوك في التربية الإسلامية، هو

(١) الشريفين، عماد، تعديل السلوك في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة،

٢٠٠٢م.

مفهوم ذو مدلول واسع، ومن أهم المفاهيم الدالة عليه: مفهوم تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأوصت الدراسة بتبني كليات الشريعة في الجامعات الأردنية لموضوعات تسهم في التأصيل الإسلامي لعلم النفس. وكذلك أوصت التربويين والمشتغلين في علم النفس بالكشف عن أصول تعديل السلوك ومبادئه وطرائقه في القرآن الكريم والسنة النبوية. وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم تعديل السلوك، وأهدافه، وخصائصه، ووسائل تعديل السلوك وطرائقه في التربية الإسلامية. وذلك لالتقاء مفهوم التزكية للنفس مع تعديل السلوك الإنساني.

وتختلف الدراسة الحالية عن هذه الدراسة في بيان المنهج التربوي المستنبط من آيات القرآن الكريم، في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وشمول المنهج للدوافع والأهداف والأساليب والجزاء والتصورات المستنبطة من الآيات المتعلقة باليوم الآخر، وكذلك التطبيقات التربوية في العملية التعليمية.

- دراسة الشلول (٢٠٠٤)، بعنوان: أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني^(١).

هدفت الدراسة إلى بيان أثر العقيدة في السلوك من الوجهة التكوينية البنائية دون الاقتصار على الوجهة الوصفية الشكلية. وذلك من خلال الكشف عن مقومات العقيدة المؤثرة من الناحية الفكرية والنفسية، ومن ثم الاستدلال بها على آثارها السلوكية. ولتحقيق ذلك اتبعت الدراسة المنهج التعليلي أو الاستدلالي، في ضوء المنهج القرآني.

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٤م.

وقد اشتملت الدراسة على أربعة فصول، وهي: الفصل الأول: مقومات العقيدة المؤثرة في السلوك الأساس الفكري والأساس النفسي. والفصل الثاني: بناء الأساس الفكري للعقيدة. والفصل الثالث: بناء الأساس النفسي للعقيدة. والفصل الرابع: أثر العقيدة في السلوك. وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج أهمها: إنّ سلوك الإنسان وليد عقيدته، والعقيدة هي ارتباط المفاهيم الفكرية بالميل النفسية، وعليه، فإنّ الأساس الفكري والأساس النفسي هما مقومات العقيدة، وهما منبع السلوك.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم عقيدة اليوم الآخر وأثره في السلوك الإنساني، من خلال الترغيب والترهيب.

وتختلف عنها في بيان منهج القرآن الكريم في تركية النفس وأساليبه ووسائله المختلفة، وفي ضوء اليوم الآخر وبيان القواعد والدوافع في تركية النفس، وبيان الجزاء المترتب على تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وبيان التطبيقات التربوية لها.

- دراسة الدغامين (٢٠٠٨)، بعنوان: الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة قراءة في رسائل النور^(١).

هدفت الدراسة إلى بيان الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة في رسائل النور، وإثارة قضية إعادة الاعتبار لتلك الحقائق. واستكشاف الخط الفكري والمسلك الإقناعي الذي سارت عليه رسائل النور، مع بعض المقارنات عند علماء آخرين. ولتحقيق ذلك اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي في البحث في رسائل النور.

(١) الدغامين، زياد خليل، الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة: قراءة في رسائل النور، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٤، العدد ٣، ٢٠٠٨م.

وقد اشتملت الدراسة على الأمور الآتية: الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة عند بديع الزمان سعيد النورسي في رسائل النور. وتمثلت الأبعاد المعرفية في كثافة الأدلة وتنوعها، وفي الجمال الإلهي الذي يقتضي الآخرة، وكذلك في أركان الإيمان، والنظام الكوني، والفطرة، واستعدادات البشر، كل أولئك يثبت الآخرة ويقتضيها. وتمثلت الأبعاد التربوية في تحقيق غاية الحياة الدنيا، وأن الموت رحلة إلى الدار الآخرة، وأن الإيمان بها يحقق كمالات الإنسانية، وكذلك يتمثل في ضبط الحياة الاجتماعية وتوجيهها.

وأسفرت عن مجموعة من النتائج أهمها: إن هذه الأبعاد فتحت مجالاً واسعاً لإعادة قراءة أسماء الله الحسنى في ضوء دلالاتها الیقينية على الآخرة، وإنها قد عكست طبيعة المهمات، والاستعدادات التي تهيئ الإنسان لاستقبال عالم الآخرة.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان البعد التربوي للإيمان باليوم الآخر، في تحقيق الكمالات الإنسانية والإصلاح.

وتختلف عنها في بيان منهجية القرآن الكريم في تزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وتوضيح أساليب تزكية النفس ودوافعها وأهدافها في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وتقديم التطبيقات التربوية لها في المؤسسات التعليمية.

- دراسة الإبراهيم (٢٠١٠)، بعنوان: منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب^(١).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الغضب، وإلى توضيح مفهوم النفس الإنسانية ومفهوم تزكيتها، وتوضيح مفهوم الغضب وأنواعه، وأسبابه، وتوضيح أهم الأساليب المساعدة على علاجه. ولتحقيق ذلك استخدمت المنهج الوصفي التحليلي.

(١) الإبراهيم، رنا فريد، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٠م.

واشتملت هذه الدراسة على ستة فصول وهي: الفصل الأول: مفهوم تزكية النفس الإنسانية وأهميتها. الفصل الثاني: الغضب، مفهومه وأنواعه ونظرياته. الفصل الثالث: أسباب الغضب ومضاره. الفصل الرابع: الأساليب العلاجية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب. والفصل الخامس: الأساليب الوقائية في تزكية النفس. والفصل السادس: الآثار المترتبة عن تزكية النفس الإنسانية من الغضب.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج منها: إنّ للنفس معاني كثيرة، وأبرز معانيها إنّ النفس هي: الإنسان المكون من الروح والجسد والقلب. وأن مفهوم التزكية متعدد المعاني، أبرزها أنه عملية إصلاح للنفوس من كل ما يوهنها من شرك ومعصية، وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح. وأوصت الدراسة إنّ يتخذ الطلبة دراسة منهج التربية الإسلامية في معالجة الانفعالات الأخرى، لتتكامل تلك الدراسات مع هذه الدراسة.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم تزكية النفس الإنسانية، وأهميتها، وتختلف عنها في بيان منهج القرآن الكريم في تزكية النفس في ضوء اليوم الآخر تحديداً، وتوضيح أساليب تزكية النفس ودوافعها وأهدافها في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وبيان الجزاء المترتب على تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وتوضيح التطبيقات لها في المؤسسات التربوية.

- دراسة مقبل (٢٠١٢)، بعنوان: منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد^(١).

تهدف هذه الدراسة إلى بيان منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد وذلك من خلال توضيح مفهوم تزكية النفس الإنسانية وأهميتها، وبيان مفهوم الحسد وحكمه وأسبابه، ثم تقديم الوسائل الوقائية والعلاجية لتزكية النفس من الحسد. ولتحقيق ذلك استخدمت الباحثة المنهج الأصولي والتحليلي.

(١) مقبل، ربي عفيف، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٢م.

وأُسفرت الدراسة عن عدة نتائج أهمها: إنّ الحسد هو كراهية النعمة للمسلم، دينية كانت أو دنيوية، مادية كانت أو معنوية، وتمني زوالها، وإنّ للحسد أسباباً عديدة، وكُلها تعود لنقص في نفس الحاسد. وإنّ للعقيدة والعبادات والأخلاق الإسلامية دورها الفعال في وقاية النفس الإنسانية من الحسد. وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم تزكية النفس الإنسانية وأهميتها في التربية الإسلامية.

وتختلف الدراسة الحالية عن هذه الدراسة في بيان منهج القرآن الكريم التربوي في تزكية النفس من خلال توضيح بنية تزكية النفس الإنسانية، والأساليب والأهداف والدوافع والقواعد لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وبيان الجزاء المترتب على تزكية النفس، وتوضيح التطبيقات التربوية لها من خلال بناء نموذج عملي لتزكية شخصية المتعلم، واشتقاق الأهداف التعليمية (المعرفية والوجدانية، والمهارية).

- دراسة اليوسف (٢٠١٣)، بعنوان: أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح المجتمع^(١).

تهدف الدراسة إلى بيان أهمية الدعوة إلى الله جل جلاله، لتحقيق الغاية التي خلق الله الجن والإنس لأجلها بأسلوب علمي، واستعراض الأسباب التي آلت بالأمة الإسلامية إلى الدركات المهلكات، وظهور الفتن، واستفحال الشهوات، وتعدد المعتقدات، وظهور الجهل والتجافي عن الحق. وكذلك تستعرض الدراسة الدعوة إلى الله والرجوع إلى الحق، والعمل بمنهج الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ولتحقيق ذلك اعتمدت الدراسة على الكتاب والسنة وكتب علماء المسلمين، كالفقهاء الأربعة، والأمثال كابن تيمية وابن قدامة. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي.

(١) اليوسف، محمد بن يحيى، أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح المجتمع: دراسة تحليلية دعوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٣م.

وقد اشتملت الدراسة على عدة أبواب، وهي: الباب الأول: أثر الإيمان باليوم الآخر في الإصلاح العقدي والعبادي، والباب الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح السياسة والحكم. والباب الثالث: أثر الإيمان باليوم الآخر في الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي. والباب الرابع: أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح الحاكم. والباب الخامس: أثر الإيمان باليوم الآخر في أمن المجتمع. والباب السادس: أثر الإيمان باليوم الآخر في قوة المسلمين وعلو هيبتهم.

وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج أهمها: إنّ الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى جارية إلى يوم القيامة، والله في ذلك حكمة ليميز الله الحق من الباطل. وأنّ الإيمان المؤثر لليوم الآخر هو الأساس الذي يثمر لصاحبه في الدنيا والآخرة برضوان الله تعالى عليه، وهو الحصن الحصين ضد الشرور والضلالات. وأوصت الدراسة بضرورة توفر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الدعاء إلى الله.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان أثر الإيمان باليوم الآخر في الإصلاح العقدي والعبادي عند الأفراد.

وتختلف عنها في بيان المنهج القرآني في تزكية النفس من خلال الإيمان باليوم الآخر، من خلال تزكية السلوك الإنساني للأفراد وبيان أساليب تزكية النفس والجزاء المترتب على تزكية النفس ودوافعها وأهدافها وقواعدها في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وتوضيح التطبيقات التربوية في المؤسسات التربوية في ذلك.

- دراسة ناجي (٢٠١٤)، بعنوان: تزكية النفس في القرآن الكريم^(١).

هدفت الدراسة لبيان الدعوة القرآنية لتزكية النفس والأساليب القرآنية في الحث عليها كالخبر والطلب، وبيان أهمية تزكية النفس في القرآن الكريم، وبيان الدعوة النبوية لتزكية النفس في القرآن

(١) ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠١٤م.

الكريم من خلال بيان خصائص تزكية الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولتحقيق ذلك استخدم الباحث المنهج التربوي العلمي في التفسير الموضوعي.

وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة أبواب رئيسية، وهي: الباب الأول: التعريف بعنوان البحث "تزكية النفس في القرآن الكريم" والباب الثاني: الدعوة القرآنية في الحث على التزكية. والباب الثالث: الدعوة النبوية لتزكية النفس.

وأسفرت الدراسة عن نتائج، أهمها: الوقوف على آيات بينات في منهج الدعوة القرآنية لتزكية النفس، والوقوف على ثمرات عظيمة وفوائد كبيرة لتزكية النفس في الدنيا والآخرة، وأن التلاوم قائم بين تزكية النفس ومهمة الدعوة النبوية. وتوصل الباحث إلى عدة توصيات، أهمها: ضرورة استكمال عديد من عناوين البحث بالدراسة المفصلة والتفسير والبيان.

وتلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في بيان مفهوم تزكية النفس في القرآن الكريم، وبيان وسائل تزكية القرآن للنفس الإنسانية.

وتختلف عنها في بيان تزكية النفس في ضوء الإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم وبيان تزكية السلوك الإنساني، والأساليب والدوافع والأهداف والقواعد لتزكية النفس في ضوء الإيمان باليوم الآخر، إضافة إلى الجزاء المترتب عليه، وتوضيح التطبيقات التربوية.

التعقيب على الدراسات السابقة

وبعد الاستعراض الكلي السابق للدراسات تبين للباحثة إن الدراسة الحالية التقت مع الدراسات السابقة بالآتي:

١. بيان مفهوم تزكية النفس، وأهميتها، مثل: دراسة (حامد، ١٩٩٨، الشلول، ٢٠٠٤، الإبراهيم، ٢٠١٠، مقبل، ٢٠١٢، ناجي، ٢٠١٤).

٢. توضيح أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، مثل دراسة (جلي، ١٩٩١، حامد، ١٩٩٨، الشريفين، ٢٠٠٢، الشلول، ٢٠٠٤، الدغامين، ٢٠٠٨، ناجي، ٢٠١٤).
- في حين إنّ الدراسة الحالية امتازت عن الدراسات السابقة بالآتي:
١. توضيح أثر الإيمان باليوم الآخر في تزكية النفس في ضوء آيات القرآن الكريم.
 ٢. عرض لأبرز الأساليب التربوية والأهداف في تزكية النفس المستنبطة من آيات القرآن الكريم المتعلقة باليوم الآخر.
 ٣. توضيح أبرز الدوافع التي تشكلت من خلال عقيدة الإيمان باليوم الآخر وأثرها في تزكية النفس.
 ٤. بيان قواعد تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.
 ٥. بيان تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.
 ٦. توضيح التطبيقات التربوية من خلال اشتقاق الأهداف التعليمية (المعرفية، والوجدانية، والمهارية) في العملية التعليمية. من خلال تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

الفصل الأول

الإطار التمهيدي لتزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر، ويشمل:

المبحث الأول: مفهوم تزكية النفس وفضلها

المبحث الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر ومكانته

الفصل الأول

الإطار التمهيدي لتزكية النفس والاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الأول

مفهوم تزكية النفس وفضلها

يُعنى هذا المبحث ببيان الإطار المفاهيمي لتزكية النفس، من خلال توضيح هذا المفهوم في

اللغة والاصطلاح، وبيان فضلها.

المطلب الأول: مفهوم تزكية النفس لغةً واصطلاحاً

يعد مفهوم تزكية النفس من المصطلحات المركبة التي تحتاج إلى تقديم تعريف لكل شق

منها، ومن ثم الجمع بينها للخروج بتعريف يوافق الدراسة.

أولاً: مفهوم التزكية لغةً وشرعاً:

• التزكية في اللغة:

التزكية في اللغة هي من زكا يزكو زكاءً وزكواً^(١)، وتدل على معانٍ مختلفة، ومنها:

- **النماء والزيادة:** زكا الشيء زكواً وزكاءً نما وزاد، وأزكى الشيء نما وزاد والشيء نماه^(٢). وأزكاه

الله وكلّ شيء يزداد ويُنمى فهو يزكو زكاءً. والزكاء ممدود النماء والريع^(٣).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٨٧، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.

(٢) إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع

اللغة العربية، ترقيم المكتبة الشاملة، باب الزاي، ج ١، ص ٣٩٦.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.

- **الصلاح والتقوى:** والزكاة الصلاح "ورجل تقي زكي" أي: زاكٍ من قوم أتقيا أذكيا^(١). ورجلٌ زكي أي صلح وتنع^(٢).
- **الطهارة والبركة:** من زكا، زك أي: زكاة المال معروفة، وزكى ماله تزكيةً أدى عنه زكاتها، وقوله تعالى: (وتزكهم بها) قالوا تطهرهم بها^(٤). وقيل لما يُخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة؛ لأنه تطهير للمال ونثمير^(٥). والزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به، وقد زكى المال^(٦). والزكاة البركة والطهارة^(٧). والزكاة ما أخرجته من مالك لتطهره به^(٨). "والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة"^(٩).
- **الصفوة:** والزكاة صفوة الشيء^(١٠).
- **الطيب:** "وأرضٌ زكيةٌ طيبة سمينة"^(١١).
- **المدح:** وزكى نفسه أي مدحها، وأثنى عليها^(١٢).
- **التنع:** يقال: زكا الرجل يزكو زكواً: تنعم، وكان في خصب^(١٣).

-
- (١) ابن منظور، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.
 - (٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، باب الزاي، ج ١، ص ٣٩٦.
 - (٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، باب زلم، ج ٣، ص ١٨.
 - (٥) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥ ج ١، ص ٢٨٠.
 - (٦) ابن منظور، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.
 - (٧) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، باب الزاي، ج ١، ص ٣٩٦.
 - (٨) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، فضل الزاي، ج ١، ص ١٦٦٧.
 - (٩) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، المكتبة الشاملة، ج ٣٨، ص ٢٢١.
 - (١٠) ابن منظور، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.
 - (١١) ابن منظور، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.
 - (١٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب زلم، ج ٣، ص ١٨.
 - (١٣) ابن منظور، لسان العرب، باب زكا، ج ١٤، ص ٣٥٨.

ويظهر للباحثة من خلال استعراض المعاني اللغوية لمادة تزكية، إنّ الجذر الثلاثي لهذه الكلمة يدور حول الطهارة والنماء والبركة والزيادة والمذح والصلاح والتقوى والطيب والتتعم والصفوة. فهي زيادة للإنسان في شأنه وتطهير من الدنس.

• التزكية في الشرع:

أما عن لفظة التزكية ومشتقاتها في القرآن الكريم، فقد وردت في عدة صيغ، يمكن بيان بعضها في الآتي:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَانًا﴾ (النساء):

(٤٩). فجاءت التزكية بمعنى التوفيق والهداية في الدنيا، يقول البغوي في تفسير قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾ أي يطهر ويبرى، من الذنوب ويصلح^(١)، وأشار ابن عاشور في تفسيره

لهذه الآية إلى أنّ الذين يزكون أنفسهم هم اليهود، وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾

إبطال لمعتقدهم بإثبات ضده، وهو إنّ التزكية شهادة من الله ولا ينفع أحداً إنّ يزكي نفسه^(٢).

- قوله تعالى عن الكفار: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(البقرة: ١٧٤) والتزكية نسبت إلى الله تعالى وجاءت بمعنى التطهير من دنس الذنوب في

الآخرة. فقيل: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب^(٣)، وفي الحديث جاء عن عائشة -رضي الله

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٤، ص ١٥٤.

(٣) القرطبي، أبو عبدالله، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤، ج ١٨، ص ٩٢.

عنها- قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم - رجلاً، فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: "وما ذاك". قالت: قلت: لعننهما وسببتهما، قال: "أوما علمت ماشارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأبئ المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا"^(١). قال النووي: "فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة، وفي رواية إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأیما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة"^(٢).

- قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ١٥١). وهنا نسبت التزكية إلى الرسول - صلى الله عليه

وسلم- لأنه المرابي والمزكي لأتمه بإرشاده الناس إلى الطريق المستقيم ودعوته لهم إلى الخير.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣).

"والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه"^(٣)، "وتزكي أنفسهم بها: أي تنميتها وترفعها بالخيرات

والبركات الخلقية والعلمية، حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية، فالمطهر هنا

الرسول والمطهر به الصدقة"^(٤).

(١) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الصلة والبر والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجر ورحمة، ج ٤، ص ٢٠٠٧، حديث رقم (٢٦٠٠).

(٢) النووي، أبو زكريا محي الدين، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ص ١٥١.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ج ٢، ص ٣٠٧٠.

(٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م، ج ١١، ص ٢٠.

- قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس، ٩)، أورد القرطبي أن أفلح فاز من زكَّاهَا أي من زكى الله نفسه بالطاعة، وقيل قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وصالح الأعمال، وأصل الزكاة: النمو والزيادة^(١). فجاءت لفظة التزكية بمعنى التطهير من الفواحش والأدناس والالتزام بالإيمان والطاعات.
- وقوله تعالى: ﴿مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (النور: ٢١)، أشار القرطبي في تفسيره لدلالة قوله تعالى: ﴿مَا زَكَّيْكُمْ﴾، "أي: ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشداً. وقيل ﴿زَكَّيْكُمْ﴾ أي ما صلح، يقال: زكا يزكو زكاء، أي صلح، أي إن تزكيتكم لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضلها لا بأعمالكم"^(٢).
- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا تَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر: ١٨)، أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه^(٣). فجاءت لفظة التزكية تدل على الهداية.
- طهر نفسه من الأدناس فإنما ثمرة ذلك التطهير عائدة عليه.
- قوله تعالى: ﴿أَنْ يَبْدِلَهُمْ رَبُّهُمْ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ (الكهف: ٨١)، أي خيراً ديناً وصلاحاً^(٤)، فجاءت لفظة التزكية بمعنى الصلاح.
- قوله تعالى: ﴿أَقْتَلْتِ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (الكهف: ٧٤)، أي أقتلت نفساً زكية لم تعمل الحنث بغير نفس. وفي التفسير: إنَّ الخضر مر بغلمان يلعبون فأخذ بيد غلامٍ ليس فيهم أضواً منه^(٥). والتزكية هنا بمعنى الحُسن، أي أقتلت نفساً حسنة.

(١) القرطبي، أبو عبدالله، تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ٧٧.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٢، ص ٢٠٧.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٣٩.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٣٧.

(٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٢٠.

- قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢)، أي لا تمدحوها ولا تنتهوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع^(١). فالتزكية هنا بمعنى المدح والثناء. فنهت الآية عن مدح النفس على سبيل الإعجاب والتكبر.
- قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى﴾ (النازعات، ١٨)، أشار القرطبي في تفسيره للنص فقال: "أي تسلم فتطهر من الذنوب"^(٢). فالتزكية جاءت بمعنى التوبة.
- قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، يشير القرطبي في تفسيره لهذه الآية إلى أن الزكاة مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد يقال زكا الزرع، والمال يزكو إذا كثر وزاد. ورجل زكي أي زائد الخير. وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة أو الأجر الذي يثاب به المزكي. وقيل: أصلها الثناء الجميل فكأن من يخرج الزكاة يحصل لنفسه الثناء الجميل، وقيل الزكاة: مأخوذة من التطهير، فكأن الخارج من المال يطهره من تبعة الحق التي جعل الله فيه للمساكين^(٣). وأشار البغوي في تفسيره لهذه الآية: "أدوا زكاة أموالكم المفروضة. والزكاة مأخوذة من زكا الزرع إذا نما وكثر. وقيل من تزكى أي تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة، لأنّ فيها تطهيراً وتنمية للمال^(٤). فالتزكية جاءت بمعنى أداء الزكاة الشرعية المفروضة، وهي تؤدي إلى نماء المال بالبركة وتطهير النفوس.
- قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ (الكهف: ١٩)، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "قال ابن عباس كان عامتهم مجوساً. وقيل: ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أكثر بركة.. وقيل

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٧، ص ١١٠.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٢٠١.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ج ١، ص ٨٨.

أزكى: أطيّب"^(١). فجاءت لفظة التزكية بمعنى الحلال الطيب، فالإنسان يزكي طعامه بالبحث والتحري عن الأكثر حلالاً وبركة.

ومن خلال ما تم عرضه لمشتقات لفظة "التزكية" الواردة في القرآن الكريم فإنه يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها: إنَّ مفهوم كلمة "التزكية" في القرآن الكريم جاءت ضمن الدلالات الآتية:

- التوفيق والهداية في الدنيا.

- التطهير من دنس الذنوب في الآخرة.

- تنمية النفس ورفعها بالخيرات.

- الإصلاح.

- الحُسن.

- المدح والثناء.

- التوبة.

- الحلال الطيب.

وبعد استعراض معاني لفظة التزكية في القرآن الكريم تجد الباحثة إنَّ المعاني الدالة عليها

توافق المعاني اللغوية، المتمثلة بالطهارة والبركة والصلاح والتقى، والطيب والمدح، فكل هذه المعاني

أشارت إليها آيات القرآن الكريم.

• التزكية في الاصطلاح

عرّف المفسرون والعلماء مصطلح التزكية، وتعددت التعريفات، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٣٧٥.

يفسر ابن كثير معنى التزكية في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (الشمس: ٩)، "قد أفلح

من زكى نفسه، أي بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل" (١).

وعند الطبري تعني: "تطهير الناس من الشرك وعبادة الأوثان وتميئهم وتكثيرهم بطاعة

الله" (٢).

وفي تفسير الشعراوي لقوله تعالى: ﴿الْمُتَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ (النساء: ٤٩)، يقول:

"والتزكية هي أولاً: التطهير من المعاييب وهذا يعني سلب النقيصة، وبعد ذلك إيجاب الكمالات زائدة

فيها نماء" (٣).

ويرى الكيلاني أن مفهوم التزكية يرادف مفهوم تعديل السلوك بلغة التربية الحديثة، فالتزكية

هي انتزاع ما هو غير مرغوب فيه، وتعزيز ما هو مرغوب فيه (٤).

وتعرف التزكية أيضاً بأنها: "تطهير النفس من نزعات الشر أو الإثم، وتنمية فطرة الخير فيها

مما يؤدي إلى اشتقاقها وبلوغها درجة الإحسان" (٥).

وتعرف التزكية بأنها: "التطهير والتنمية، وقد جاءت بعد إعمال الفكر والعقيدة ليأتي بعدها

التعلم" (٦).

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد بن حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤١٩، ج ٨، ص ٤١٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١،

٢٠٠٠م، ج ١، (البقرة: ١٢٩)، ص ٥٥٨.

(٣) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٣٠٤.

(٤) الكيلاني، ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دمشق، دار ابن كثير، ط ٢، ١٩٨٥م

ص ٤١.

(٥) كرزون، أنس، منهج الإسلام في تزكية النفس، جدة، دار نور المكتبات، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٢.

(٦) الخوالدة، محمود عبدالله، علم النفس الإسلامي، الأردن، دار الفرقان، د.ط، ٢٠٠٤م، ص ٢٨٤.

ثانياً: مفهوم النفس لغة واصطلاحاً والنفس في الشرع:

• مفهوم النفس لغةً:

- النون والفاء والسين أصل واحد، يدل على عدة معانٍ في اللغة، أبرزها الآتي:
- **النفس بمعنى الروح:** يُقال: خرجت نفس فلان: أي خرجت روحه، وفي نفس فلان إنَّ يفعل كذا وكذا أي في روعه^(١). ويُقال: خرجت نفسه وجاد بنفسه أي مات وخرجت روحه^(٢).
 - **النفس بمعنى الدم:** "والنفس الدم، وإنما سمي الدم نفساً؛ لأنَّ النفس تخرج بخروجه"^(٣). و"النفس الدم، وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فَقَدَ نَفْسَهُ، والحائض تسمى النفساء لخروج دمها، والنفاس: ولاد المرأة"^(٤). ويُقال: دفعت نفسه أي دفق دمه^(٥).
 - **النفس بمعنى ذات الشيء وحقيقته وكُنْهه وجَوْهَره:** "فمعنى النفس فيه جُملة الشيء وحقيقته، تقول قتل فلان نفسه وأهلك نفسه، أي أوقت الإهلاك بذاته كلَّها وحقيقته". فالنفس هنا تطلق على الذات^(٦). وقيل نفس الشيء عينه^(٧).
 - **النفس بمعنى العين والحسد:** "ويقال للعين نَفْسٌ، وأصابت فلان نَفْسٌ"^(٨).
 - **النفس بمعنى ما يكون به التمييز:** تزول بزوال العقل. فالنفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل^(٩).

(١) ابن منظور، لسان العرب، فصل النفس، ج ٦، ص ٢٣٣.

(٢) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، باب النون، ج ١، ص ٩٤٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، فصل النفس، ج ٦، ص ٢٣٣.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب النفس، ج ٥، ص ٤٦٠.

(٥) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، باب النون، ج ١، ص ٩٤٠.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، فصل النفس، ج ٦، ص ٢٣٣.

(٧) أبي بكر الأزري، محمد، مختار الصحاح، باب النون، ج ١، ص ٦٨٨.

(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب النفس، ج ٥، ص ٤٦٠.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، فصل النفس، ج ٦، ص ٢٣٣.

- **النفس بمعنى خروج النسيم:** "من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه، منه التنفس: خروج النسيم من الجوف، ونَفَسَ اللهُ كَرِيْتَهُ، وذلك إنَّ خروج النسيم روحاً وراحة، والنَّفَسُ: كل شيء يَفْرُجُ به عن مكروب"^(١). أي: النفس الفرج من الكرب.

- **النفس العظمة والكبر، والعزة والهمة**^(٢).

تخلص الباحثة إلى أنَّ لفظة النفس تدل على عدة معانٍ في اللغة، وهي الروح والدم وما يكون به التمييز والفرج من الكرب، والعين والجسد (لأنها تمثل ذات الشيء وحقيقته).
وعليه، فإنَّ المعنى اللغوي الموافق لهذه الدراسة هو ما يدل على الروح وعلى ذات الإنسان وحقيقته الكلية.

• **النفس في القرآن الكريم:**

وردت لفظة (النفس) في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ويمكن إجمالها بالآتي:

- **النفس بمعنى الروح:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ (الأنعام: ٩٣)، فإذا حضرت وفاة الكافر فتخرج الملائكة روحه وتنزعها بشدة، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ (الأنعام: ٩٣)، أي:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب نفس، ج ٥، ص ٤٦٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، فصل النفس، ج ٦، ص ٢٣٣ - ٢٣٦.

أرواحكم وذلك تويخاً وزجراً^(١). قال الراغب الأصفهاني: "النفس: الروح"^(٢). ومنه قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢). وهنا النفس بمعنى الروح التي تزول

بزوال الحياة. وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نفس وروح بينهما شعاع الشمس،

فيتوفى الله النفس في منامه، ويدع الروح في جسده، وجوفه يتقلب ويعيش فإن بدا لله إن يقبضه

قبض الروح فمات أو أخر أجله، ردّ النفس إلى مكانها من جوفه"^(٣). وقال الشوكاني: "والنفس:

الروح، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، يريد الأرواح،

والنفس والجسد"^(٤).

- **النفس بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا**

كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨)، أي: إن خلق جميع الناس وبعثهم بالنسبة إلى قدرة الله

سبحانه كمثّل خلق إنسان واحد، فالجميع هيّن عليه سبحانه^(٥).

- **النفس بمعنى التمييز والعقل في الإنسان: ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ**

مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ

أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢)، فالنفس تأتي بمعنى

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد بن حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩، ج ٣، ص (٢٧٠-٢٧١).

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٢، ص ٨١٨.

(٣) الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ترقيم المكتبة الشاملة، ج ١٠، ص ٣٢٥٢، ط ٣، ١٤١٩هـ، ج ١٠، ص ٣٢٥٢.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٩٢.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٣١٢.

التمييز والعقل، وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل، يشير البغوي في تفسيره هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ أي: "التي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز، ولكن الإنسان نفسان: إحداهما نفس الحياة، وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس" (١).

- النفس بمعنى ذات الله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢)، أي: أوجب الرحمة على ذاته، فذكر النفس هنا عبارة عن وجوده وتأكيد وعده، وارتفاع الوسائط دونه" (٢).

- النفس بمعنى العند أو السر وما أخفي في الضمير الداخلي: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ءَإِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ءَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦)، "فمعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك" لا تعلم ما في نفسي" أي: مغيب، فجعلت النفس في موضع الإضمار؛ لأنه يكون فيها" (٣). وأشار البغوي إلى ذلك فقال: "قال ابن عباس: تعلم ما

(١) البغوي، أبو محمد الحسين، معالم التنزيل، ج ٧، ص ١٢٢.

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٣٩٥.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٤، ص ٥٨.

في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل معناه: تعلم سري ولا أعلم سرك"^(١). وجاءت النفس هنا بمعنى السر وما أخفي في الضمير الداخلي للإنسان.

- النفس بمعنى الأخ أو الأهل: (تنزيل الغير بمنزلة الذات)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (النور: ٦١)، جاء في تفسير (أنفسكم) أي: فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم، فسلموا على أهليكم وعيالكم"^(٢).

- النفس بمعنى سريرة الإنسان، وجوهره وداخله: كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٥)، "أي بما في ضمائرکم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات"^(٣).

- النفس بمعنى القلب: وما يتعلق به من الصدر والفؤاد وغيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يَسْفُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (يوسف: ٧٧).

- النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان: فإن النفس لها صفات وخصائص كثيرة، فهي تحب وتكره وتسول وتوسوس، كما أنها ترشد صاحبها إلى الخير وتلومه على فعل الشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق: ١٦)، يقول القرطبي

(١) البغوي، أبو محمد الحسين، معالم التنزيل، ج ٢، ص ١٢٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠، ج ١٩، ص ٢٢٥.

(٣) النيسابوري، الحسن، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميران، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٦، ج ٤، ص ٣٤٢.

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَعَلَمَ مَا تُسْوِسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ "أي ما يختلج في سره وقلبه وضميره،

وفي هذا زجر عن المعاصي التي ستخفي بها. ومن قال: إنّ المراد بالإنسان آدم، فالذي

وسوست به نفسه هو الأكل من الشجرة، ثم هو عامٌ لولده. والوسوسة حديث النفس بمنزلة

الكلام الخفي"^(١). وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(النازعات: ٤٠)، يقول القرطبي في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، أي

"زجرها عن المعاصي والمحارم، وقال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنة"^(٢). يقول السعدي في

تفسيره للآية: "أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهى عن

هواها الذي يقيدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعاً لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة

الصادين عن الخير"^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)، ومعنى النفس

اللوامة أي "بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، وقال القراء: ليس من نفس محسنة أو

مسيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه إنّ لو كان ازداد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه

ألا يكون أروعى عن إساءته"^(٤). وأشار السعدي إنّ النفس اللوامة هي "جميع النفوس الخيرة

والفاجرة، سميت (لوامة) لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها"^(٥).

وعليه، فإنّ تتبع الآيات القرآنية الواردة في النفس، يمكن التوصل إلى إنّ مفهوم كلمة النفس

في القرآن الكريم جاءت ضمن دالتين رئيسيتين هما: الدلالة الكلية لكلمة النفس، بمعنى ذات الإنسان

(١) القرطبي، أبو عبدالله، تفسير القرطبي، ج ١٧، ص ٨.

(٢) القرطبي، أبو عبدالله، تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٠٨.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض، دار السلام، ط ٢، ٢٠٠٢، ص ٩١٠.

(٤) القرطبي، أبو عبدالله بن أحمد، تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٩٢-٩٣.

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٩٨.

وشخصه. والدلالة الجزئية لكلمة النفس، التي تشير إلى بعض مكوناتها، وبخاصة الروح، أو الباطنة كالضمير أو الروح^(١).

• مفهوم النفس في الاصطلاح:

بذل العلماء جهوداً في دراسة النفس الإنسانية، واختلفوا في تعريفها. ويرجع ذلك للصعوبة في تحديد ماهيتها، وحقيقتها وحالاتها، وذلك لعدم اعتماد الوحي الإلهي مرجعية أساسية في الوقوف على معناها ودلالاتها.

ذكر الغزالي أنّ النفس تُطلق على معنيين، الأول: ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية. والثاني: ويراد به حقيقة الأدمي وذاته، فإنّ نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات، وهو من عالم الملكوت، وتختلف أسماؤها باختلاف أحوالها العارضة^(٢).

والنفس عند ابن تيمية هي ذات الشيء وعينه، كما يقال: رأيت زيدا نفسه وعينه^(٣). ويعرف ابن القيم النفس بأنها: "جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنار، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة. وإذا

(١) خطاطبة، عدنان، الأصل النفسي في التربية الإسلامية؛ "دراسة تأصيلية"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، المجلد ٢١ (٤)، ٢٠١٣م، ص ٢٢٩.

(٢) الغزالي، أبو حامد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥، ج ١، ص ١٥.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، ١٩٩٥م، ج ٩، ص ٢٩٢.

فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول الآثار فارق البدن وانفصل إلى عالم الأرواح"^(١). فالنفس عند ابن القيم هي الروح.

وأما الرازي، فيعدُّ النفس "شيئاً واحداً ليست هي البدن، وليست متعددة، وأنها هي المبصرة، والسامعة، والشاملة، والذائقة، واللامسة، وهي الموصوفة بالإدراكات عينها كالتخيل، والفكر، والتذكر، وتدبير البدن وإصلاحه، وأنها شيء ليست من أجزاء البدن، وأنها موصوفة بالإدراك والتحريك، وأن القلب هو الرئيس المطلق لسائر الأعضاء، وأن النفس متعلقة به، وبوساطة ذلك التعلق تصير متعلقة بسائر الأعضاء"^(٢).

وتعرف النفس بأنها: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة، والحس والحركة الإرادية"^(٣).

ويقول المناوي: هي جوهر مشرق للبدن ينقطع ضوءه عند الموت من ظاهر البدن وباطنه، وأما وقت النوم فينقطع ضوءه عن ظاهر البدن دون باطنه، فالموت انقطاع كلي، والنوم انقطاع خاص^(٤).

ويعرفها الشعراوي بأنها: "تفاعل واندماج الروح مع الجسد"^(٥).

-
- (١) ابن القيم الجوزية، الروح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، ص ٢٤٢.
- (٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق: محمد صغير المعصومي، إسلام آباد، معهد الأبحاث الإسلامية، ١٩٦٨، ص (٢٩ - ٣٠).
- (٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٢٦٢.
- (٤) زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العروس، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٣٨.
- (٥) الداود، وجدان محمد، تربية النفس الإنسانية عند الشيخ الشعراوي، رسالة دكتوراه: الأردن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠١٥م، ص ٥٨.

وتعرف النفس بأنها: "الإنسان المكون من الروح والقلب والجسد، وكل ما في هذا الإنسان من قوى الإدراك التي تميز بها بين الخير والشر"^(١).

وترى التل أن "لمفهوم النفس معنيين رئيسيين في القرآن الكريم: معنى عام يتعلق بالإنسان ككل من جسم وروح، ومعنى خاص يتعلق بالجزء (كالروح)"^(٢).

ويرى خطاطبة أن "مفهوم النفس من المنظور الإسلامي ووفقاً لمرجعياته الأصلية واضح غاية الوضوح في دلالاته الأصلية على: "مجموع الإنسان" و"ذاته كلها" بعموم مكوناتها المادية والمعنوية، وأنها قد تدل أحياناً على بعض مكونات النفس كالروح أو جانبها الباطني"^(٣).

وهكذا يتضح من خلال استعراض التعريفات السابقة للنفس أن من هذه التعريفات ما اقتصر على الجوانب المادية للإنسان، ومنها ما اقتصر على الجانب المعنوي. ومنها أيضاً ما اقتصر على الجلالة الجزئية للنفس (كالروح، أو القلب، أو العقل).

وترى الباحثة أن المعنى الأقرب للدراسة الحالية هو الذي يتناول النفس الإنسانية بالمعنى الشامل للذات الإنسانية كلها من جسم وروح وعقل (القوة المدركة في الإنسان) بعموم مكوناتها المادية والمعنوية، الظاهرة والباطنية.

وبناءً على ذلك تتبنى الباحثة في هذه الدراسة تعريف الخطاطبة للنفس الإنسانية والتعامل معها بحسب دلالتها الكلية المثبتة والواضحة في نصوص الشرع.

ثالثاً: معنى تزكية النفس اصطلاحاً

تتصل لفظة التزكية في الغالب عند الاستعمال بالنفس، وهي أساس لهذه الدراسة، فكان من المناسب إن يُجمع في التعريف الاصطلاحي بين ركنيه الأساسيين "التزكية والنفس".

(١) إبراهيم، رنا فريد، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب، ص ١٣.

(٢) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٣١.

(٣) خطاطبة، عدنان، الأصل النفسي للتربية الإسلامية، ص ٢٢٩.

ظهر للباحثة من خلال استعراض التعريف اللغوي لمادة التزكية إنّ المعنى المرتبط بموضوع هذه الدراسة الحالية هو الطهارة والنماء والبركة والصلاح والتقوى والطيب، وهذه المعاني تبين ارتباط معنى التزكية لغة بالمعنى الاصطلاحي، إذ تبين إنّ التزكية ترتبط بالتطهير وكذلك بالزيادة، فتزكية النفس شاملة لتطهيرها من الأدران والأوساخ، وكذلك تتميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة، وهذا ما يسمى عند العلماء بتخليئة النفس من المعاصي والذنوب، وتحليتها بالإيمان والقربات ومحاسن الأخلاق.

ومن خلال البحث في كثير من مؤلفات العلماء المعنيين بموضوع تزكية النفس، نجدهم اختلفوا في تحديد المفهوم، لذلك تعددت المعاني، وستقوم الباحثة بعرض نماذج لتلك التعريفات، كما يأتي:

يعرف ابن تيمية تزكية النفس بأنها تربية القلب وتتميته بالكمال والصلاح وذلك بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره. وتزكية النفس بالصالحات وترك السيئات، أو هي إزالة الشر وزيادة الخير^(١). ويلاحظ إنّ هذا التعريف ركز على المشاعر النفسية والداخلية دون الظاهرية، فركز على تربية القلب. أما بالنسبة لمفهوم تزكية النفس عند الغزالي، فقد أجمله في معرض بحثه عن السلوك، حيث يقول: "قطع عقبات الصفات المهلكات، وتحليتها بالصفات المنجيات"^(٢). ويلاحظ أنّ مفهوم تزكية النفس عند الغزالي يتضمن التخليئة من الصفات السيئة والتخليئة بالصفات الحسنة.

وتزكية النفس عند ابن القيم هي عملية كسبية يصل بها المرء إلى كمال النفس المطلوب وهو غاية سعادتها وشرفها^(٣)؛ فالتزكية في منهج ابن القيم هي "العمل الإنساني والسعي الكسبي

(١) ابن تيمية، الفتاوى، كتاب السلوك، ج ١، ص ٩٦.

(٢) الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا القبانى، بيروت، دار إحياء العلوم، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٤١.

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج ٢،

للتزقي بالنفس والوصول بها إلى فعل الطاعة واجتتاب المعصية، وهو التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل"^(١).

وعند المراغي فإنّ الزكاة: "تزكية النفس وطهارتها بفعل العبادة المالية"^(٢). وفسر قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤)، يقول: أي قد أدرك الفلاح، وظفر بالبغية من طهر نفسه ونقاها من أضرار الكفر، وأزال عنها أدران الشرك والآثام. وقال: ومن هذا تعلم إنّ تزكية النفس إنما تكون بالإيمان بالله ونفي الشركاء، والتصديق بكل ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع صالح العمل"^(٣).

وتعرف تزكية النفس بتطهيرها من نزعات الشر والإثم وتنمية فطرة الخير فيها، ممّا يؤدي إلى استقامتها وبلوغها الإحسان^(٤).

وتعرف تزكية النفس أيضاً، بأنّها: "تطهيرها من الشرك وما يتفرع عنه، وتخليها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله بالتححرر من دعوى الربوبية، وكل ذلك من خلال الاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم-"^(٥).

ويُعرفها الكيلاني بأنّها: "عملية تطهير وتنمية شاملين، هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر المحققة

(١) العلواني، رقية طه، منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ١٩ (٣١)، ١٤٢٥هـ، ص ١٧٠.

(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٩٤٦م، ج ١٨، ص ٤.

(٣) المراغي، تفسير المراغي، ج ٣٠، ص ١٢٨.

(٤) محمد، فاطمة أحمد، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٧م، ص ١٢١.

(٥) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، عمان، دار الأرقم، ط (١ و ١٥)، ١٩٨٣م، ص ١٧٥.

لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات^(١).
"فالتزكية حسب هذا التعريف نوعان: تزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم والثقافة، وتزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات"^(٢). فالتزكة عند الكيلاني هي تزكية مكونات الإنسان وهي القلب والعقل والإرادة وتزكية الجسد.

وتعرف بأنها "استجابة المؤمن اعتقاداً وتعبداً وتخليقاً لأوامر الدين الحنيف في تطهير نفسه من الشرك وسوء الخلق ومن الهوى ووساوس الشيطان، ثم العروج بها في مراتب الإسلام فالإيمان فالإحسان"^(٣).

وقيل في النفس عندما تكون زكية "هي التي تخلصت بالمجاهدة من الخبائث الحسية التي تلوث الجسم، فاقترنت عند تليبيتها لدوافعه من الطعام والشراب، والنكاح على الطيبات، وتخلصت من الخبائث المعنوية التي تلوث الروح فاجتنبت الاعتقاد الخبيث، والقول الخبيث"^(٤). يتبين من خلال ذلك إنّ التزكية تكون لجوانب النفس المادية والمعنوية.

وتعرف أيضاً بأنها "إدراك حقيقة لا يعرف مداها إلا من عرفها معرفة تامة، فهي عبارة عن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً، والقيام بالدعوة لما جاء به بحسب الإمكان والمحبة في الله، والبغض فيه، والعطاء في الله، والمنع فيه، وأن يكون الله وحده المعبود، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم،

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دبي، دار القلم، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٣٥.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٣٥.

(٣) ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم، ص ٥٩.

(٤) توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة، دار السلام، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ٨٩.

ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -^(١).
ويتبين من خلال هذا التعريف التركيز على تزكية النفس بجوانبها الظاهرية والباطنية، من خلال متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً.
وتعرف بأنها: "إصلاح النفوس وتطهيرها، عن طريق العلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات"^(٢).

- ومن خلال استعراض التعريفات السابقة لتزكية النفس، تخلص الباحثة إلى ما يأتي:
- تشمل عملية تزكية النفس التخلية والتحلية؛ تخلية النفس من المعاصي والذنوب، وتحليتها بالإيمان والقربات والطاعات، والأخلاق الحميدة.
 - تركز عملية تزكية النفس على المشاعر النفسية والداخلية للفرد، وكذلك على البيئة العامة والمظهر الاجتماعي والكوني.
 - ترتبط عملية التزكية بالإيمان والفلاح والتقوى.
 - تزكية النفس عملية كسبية؛ أي تتم بالعمل والسعي للترقي بالنفس والسمو بها، وتتم بالعلم. فالنفس يمكن تزكيتها، لأنها قابلة في كل وقت للتغيير.
 - تزكية النفس نوعان: تزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم والثقافة، وتزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات^(٣).
 - مفهوم تزكية النفس يعادل تعديل السلوك بلغة التربية الحديثة.

(١) أبو حميدي، علي، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٩هـ، ص ٢٩.

(٢) آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، معالم في السلوك وتزكية النفوس، دم، دار الوطن، ط ١، ١٤١٤هـ، المكتبة الشاملة، ص ٥٧.

(٣) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية المربون العاملون فيها، ص ١٣٥.

- النفس الإنسانية هي الوجود الحي للإنسان كله، أي ذاته الإنسانية التي تنقسم إلى قلب يتجسد في العقل والإرادة، وجسدٍ يتمثل في الممارسات المادية، وهي مدار تركية النفس في التربية الإسلامية.

وترى الباحثة بعد استعراض التعريفات لمفهوم تركية النفس، أنه يمكن تعريف تركية النفس بأنها: سلسلة من الإجراءات التطهيرية والإصلاحية والتنموية لذات الإنسان بمكوناتها الباطنة والظاهرة والمادية والمعنوية، بهدف الوصول إلى الكمال الإنساني والترقي في مراتب الإحسان، من خلال عملية تخلية من الرذائل والشهوات وتحليته بفضائل الأوصاف والأخلاق، المنضبطة بالتصور الإسلامي الرباني.

المطلب الثاني: فضل تركية النفس

تركية النفس من مهمات الرسل، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنّ مهمة الرسل كانت دعوة الناس إلى تركية نفوسهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٢)، ولقد تضافرت النصوص الشرعية ببيان أهمية تركية النفس وأنها سبب للنجاة والفلاح، ويظهر فضل تركية النفس من عدة أوجه، بيانها فيما يأتي:

- نيل مرضاة الله تعالى: إنّ تركية النفس تعني تطهيرها وحثها على الطاعة وإخلاص العبادة لله تعالى^(١)، والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، نيلاً لمرضاة الله تعالى. وهذا من أرفع وأسمى الغايات في الإسلام؛ لأنّ به تظهر العبودية لله تعالى.

- حجز الإنسان عن المعاصي: إنّ الإنسان معرض للوقوع في الآثام والمعاصي، وأنّ النفس لها حالاتٍ نقدٍ تأمر بالسوء، وقد تحكم بالهوى، وتطغى عليها الشهوات، لذلك كانت الدعوة إلى

(١) حامد، سناء بخيت، تركية النفس وأثرها في حياة المسلم، ص ٥.

تزكية النفس والوقاية من شرها^(١). فالتزكية بمثابة الحصن الحافظ للإنسان من الوقوع في المعاصي والآثام.

- إن تزكية النفس وقاية من تسلط الشيطان وغوايته.
- ترقى الإنسان في مراتب الكمال الإنساني، وتعزز فيه معاني الإنسانية.
- تقوية الوازع الديني: إن النفس البشرية تصاب بالأمراض التي تصاب بها الأبدان، فهي محتاجة دائماً إلى الرعاية، والرقابة والمتابعة للزيادة من الخير كما يزداد البدن من الطاقات، لذلك احتاج الإنسان إلى أن يراقب تطورات نفسه، ويعلم أنها وعاء إيمانه، فلا بد من العمل على تنمية هذا الإيمان وزيادته عن طريق تزكية هذه النفس وتهذيبها^(٢).
- ضرورة تزكية النفس لتحقيق الغاية الكبرى للإنسان، وذلك من خلال الدور الذي تؤديه في عمارة الأرض بالعمل الصالح وإقامة منهج الله تعالى فيها^(٣).
- تحكيم شرع الله عز وجل في الأرض من خلال التزام الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، في كل أمور الحياة، وهذا جوهر التزكية.
- إن تزكية النفس لها دور في الحفاظ على البشرية وإنسانية الإنسان من خلال عملية ضبط شهوات الجسد والعناية بمتطلبات الروح، فتزكية النفس لها دور بتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجدّ، فإذا تزكت النفس وتخلصت من الأهواء والرغبات، فإن صاحبها يُخلص في تحمل كل ما يجب إن يتحمّله في سبيل بني جنسه من المهام والواجبات المختلفة^(٤). ليتحقق بذلك هدف عمارة الأرض ونشر العدل والخير.

(١) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص ٣٥.

(٢) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ص ١٦.

(٤) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دمشق: دار الفكر، دمشق، دار الفكر، ط ٣،

١٩٩٨، ص ٢٤.

- وقاية من الفتن والمغريات والشهوات، وحماية المسلم وتوعيته بأهمية القيم الإسلامية ضد طوفان المعاصي والشهوات التي تفسد النفوس؛ لأنّ الدنيا تجذب الناس وتخطف أبصارهم إليها^(١).

- تحقيق الفلاح بتزكية النفس، والبعد عن الخسران نتيجة إهمال التزكية، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠). فبالتزكية تستقيم حياة الإنسان ويحقق الفلاح. "وهكذا يفلح ويفوز وينجح في بغيته من تحقّق بالتزكية، وهي البعد عما يغضب الله سبحانه من الآثام، والإكثار ممّا يُرضي الله سبحانه من الأعمال الصالحة، وبذلك ترتفع قيمة النفس"^(٢).

- توحيد الأمة الإسلامية لا يتأتى إلا بتزكية الأنفس وتصفيتها من الأحقاد والأمراض، فالنفوس المخلصة والمؤمنة تحمل على عاتقها توحيد الأمة^(٣).

- الحصول على الأجر الكبير والثواب الجزيل، وسبب للفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠-٤١). فالخوف من الله ونهي النفس عن الميل إلى الشهوات من تزكية النفس^(٤).

- تعتبر تزكية النفس وتهذيب الأخلاق من مقاصد القرآن الكريم ومقاصد البعثة المحمدية^(٥).

(١) نور، محمود إبراهيم محمود، المنهج القرآني في تزكية الأنفس، ص ١٢.

(٢) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٨٣.

(٣) نور، محمود إبراهيم محمود، المنهج القرآني في تزكية الأنفس، ص ١٢.

(٤) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، ص ٣٧.

(٥) الندوي، أبو الحسن، العقيدة والعبادة والسلوك، الكويت، دار القلم، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ١٣٤.

- تزكية النفس سبب رفع البلاء وفتح أبواب الرحمة^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن

قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا

وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الأنعام: ٤٢ - ٤٣).

- تلبية لمطلب الكمال في النفس البشرية: "إنَّ الإنسان محب للكمال فينبغي له إنَّ يعمل على

إكمال نفسه وتزكيتها وتربيتها، فهذه تصاب بالأعراض التي تصاب بها الأبدان، فهي محتاجة

دائماً إلى رعاية، وبحاجة إلى متابعة للزيادة في الخير، كما يزداد البدن في الطاقات

والمعارف"^(٢).

- يعد بناء النفس أمراً حياتياً ومصيرياً، وذلك لارتباط تزكية النفس الإنسانية بسعادة أو شقاء

الإنسان في الدنيا والآخرة، لذلك جاء الأنبياء ليطهروا النفوس الإنسانية من الرذائل والأخلاق

السيئة والصفات الحيوانية، وليربوهم على فضائل ومكارم الأخلاق^(٣).

- بناء شخصية المسلم والمجتمع: فتزكية النفس تصقل شخصية الفرد لتصبح ذات جهد صادق

ينبع من داخل الإنسان ويراه الناس سلوكاً ظاهراً، وهذا بداية الصلاح في المجتمع الإنساني^(٤).

- تحقيق العزة لنفس المؤمن المترفع عن الدنيا والمتطهر من الرزايا، فالمؤمن الصالح الذي

زكت نفسه بطاعة ربه سبحانه يمنحه الله العزة في الدنيا والآخرة^(٥).

- تعزيز الإيجابية في شخصية الإنسان المسلم، وحب الخير والنفعة للآخرين.

(١) مقبل، ربي، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد، ص ٢٨.

(٢) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، ص ٣٧.

(٣) الأميني، إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، بيروت، دار البلاغة، ط ٤، ٢٠٠١م، ص ١١.

(٤) صالح، علي، الآيات القرآنية الجامعة في تزكية النفس والعلاقات الاجتماعية: دراسة موضوعية، رسالة

دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدعوة وأصول الدين، الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٤.

(٥) كرزون، أنس، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص ٥١٠.

- تحقيق معنى الخيرية في شخصية الأمة الإسلامية من خلال تفعيل جوانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تحقيق السعادة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: فتزكية النفس تحقق النجاة من المصائب والخروج من الهموم، وتحقق البركة في الرزق، وتحقق لصاحبها القوة في الجسد والراحة، والطمأنينة، وتحقق الشرف والثبات على الطريق والنجاة من الفتن والملاحم^(١).
- من فضل التزكية النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة: فرؤية الله رب العالمين أعظم وأشرف وأنعم نعيم الجنة، وهي الغاية القصوى التي سعى إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون^(٢).
وثواباً لعباد الله المتقين في القيامة دون الدنيا^(٣)، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٤﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٥﴾﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣)، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس: ٢٦).
- بناء حضارة إنسانية قوية، من خلال بناء شخصية إنسانية سوية، تسعى إلى فعل الخير، ونشر العدل وكفّ الظلم والطغيان، وإقامة المنهج الرباني في هذه الأرض.

(١) العلي، إبراهيم، رياض الأئمة في بيان أصول تزكية النفس، ص ٣٣.

(٢) الحنبلي، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبها، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٢٤١.

(٣) الجرجاني، أحمد بن إبراهيم، اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الرياض، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢م، ص ٦٣.

المبحث الثاني

مفهوم الإيمان باليوم الآخر ومكانته

يُعنى هذا المبحث ببيان مفهوم الإيمان باليوم الآخر، كما أنه يوضح مكانة اليوم الآخر وفضله.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر

إن قضية الإيمان باليوم الآخر من أركان العقيدة الإسلامية الأساسية، والتي يقوم عليها بناء هذه العقيدة بعد ركن الإيمان بالله تعالى، فقد خلق الله تعالى الإنسان لحكمة وغاية، وزوده بالصفات التي تؤهله لامتحان الرباني والابتلاء في هذه الحياة، وهذا يقتضي الجزاء والحساب، لتحقيق العدالة الإلهية المطلقة التي تقتضي مجازاة المحسن ومعاقبة المسيء. ولقد اقتضت حكمة الله سبحانه إن يكون اليوم الآخر هو الجزاء الأوفى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فتعالى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿المؤمنون: ١١٥ - (١١٦)﴾.

وإن الإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من بعث وحساب وجزاء، قد أفاض القرآن الكريم في بيان أهميته "حتى ليلحقه في كثير من المواضع بالإيمان بالله تعالى مباشرة، إثباتاً ونفيًا، فيصِفُ المؤمنون بأنهم هم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويصِفُ الكافرون بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كما يَصِفُ المنافقون بأنهم يزعمون بأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر" (١).

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، القاهرة، دار الشروق، ص ٦٣.

ونجد في الحديث النبوي عناية بالغة بهذا اليوم العصيب لأثره التزويبي العظيم، ولأن توضيحه

يعمل على ترسيخ العقيدة^(١).

والإيمان بالبعث والحشر، وبالحساب والجزاء، عنصر أصيل في العقيدة لا يستقيم منهجها

إلا به، "فلا بد من عالم مرتقب، يكمل فيه الجزاء، ويتناسق فيه العمل والأجر، ويتعلق به القلب

وتحسب حسابه النفس، ويقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك"^(٢).

فالإيمان بالآخرة هو ذاك الشعور الخفي والوجدان الكامن الذي يغمر فطرة الإنسان من قديم

الزمن بأنه لم يخلق لمجرد هذه الحياة، ولتلك المدة القصيرة، هذا الشعور بأنَّ الإنسان في هذه الدنيا

غريب أو عابر سبيل، وأنه ضيف يوشك إنَّ يرتحل إلى دار الإقامة^(٣).

مفهوم الإيمان باليوم الآخر:

سُمي اليوم الآخر بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في

منازلهم. "فهو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء"^(٤).

وعرف بعض الباحثين اليوم الآخر بأنه "كل ما يكون بعد الموت ممّا أخبر به النبي صلى

الله عليه وسلم، فيدخل في اليوم الآخر الحياة البرزخية وفتنة القبر وعذابه ونعيمه والنفخ في الصور

والبعث والحشر والشفاعة ونشر الصحف والحساب والوزن والحوض والصراط والقنطرة والجنة

والنار"^(٥).

(١) مراد، يحيى، عالم الغيب بين الوحي والعقل، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ٣٨٧.

(٢) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ط ١، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، ١٩٧٥م، ص ١٣.

(٣) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ط ١٩، دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٥م، ص ٣٣.

(٤) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح أصول الإيمان، الرياض، دار الوطن، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٤٠.

(٥) النجار، أحمد، الإيمان بما بعد الموت، السعودية، دار النصيحة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٣.

ويُعرف أيضاً بأنه "البعث ومقدماته من الموت والساعة وما يتبعه من وقائع القيامة إلى مستقر الخلق في الجنة أو النار"^(١).

ويُعرف بأنه "يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء، سمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة أبدأً، ويستقر أهل النار في النار أبدأً"^(٢).

ويوم القيامة من أسماء اليوم الآخر، ويعرف بأنه "يوم يبدي فيه الله عز وجل الحياة والأحياء

مصدافاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦ -

٢٧)، ثم يأتي وقت يعيد الله العباد ويبعثهم، فيوقفهم بين يديه ويحاسبهم على ما قدموه من أعمال، وسيلاتي العباد في هذا اليوم شيئاً عظيماً من الأهوال، ولا ينجو من تلك الأهوال إلا من أعدّ لذلك اليوم عدته من الإيمان والعمل الصالح ويساق العباد في ختام ذلك اليوم إلى دار القرار: الجنة أو النار"^(٣).

ويُعرفه باحث آخر بأنه "الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بيوم القيامة والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وأخبر به رسوله -صلى الله عليه وسلم- مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، والإيمان بكل ما وقع وسيقع من أشرط الساعة الصغرى والكبرى (أمارات على قيام الساعة) تدخل في الإيمان باليوم الآخر"^(٤).

-
- (١) خطاطبة، عدنان، القيم والأهداف التربوية في العقيدة الإسلامية، ص ٩٣.
- (٢) التويجري، محمد بن إبراهيم، اليوم الآخر صفة الجنة والنار، السعودية، دار أصداء المجتمع، ط ٥، ٢٠١٢م، ص ٦.
- (٣) الأشقر، عمر، اليوم الآخر - القيامة الكبرى، ط ١، بيروت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٦م، ص ١٧.
- (٤) الأثري، عبدالله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ١٤٢٣هـ، المكتبة الشاملة، ص ٦٩ - ٧٠.

وَيُعْرَفُ أَيْضاً بِأَنَّهُ "التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله في ذلك اليوم العظيم من البعث، والحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، وغير ذلك مما يجري في صفات يوم القيامة، ويلحق بذلك ما يكون قبل الموت من علامات الساعة وأشراتها، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه"^(١).

ويعرف أيضاً بأنه "الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وأخبر به رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعده الله عز وجل لأهلها جميعاً"^(٢). ويقول أبو بكر الجزائري: "إنَّ المراد من اليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها، والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتدائها، فدلَّ لفظُ اليوم الآخر على آخر يومٍ من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية؛ إذ هو يومٌ واحدٌ لا ثاني له فيها البتة، فالإيمان باليوم الآخر مقتضى للتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات، وما يتم فيه من أهوال واختلاف أحوال، كما هو مقتضى كذلك لتصديق الله تعالى في أخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيمٍ وعذابٍ، وما يجري فيها من أمورٍ عظامٍ كبعث الخلائق، وحشرهم، وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية والاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا"^(٣).

ويرى ابن عثيمين أنَّ الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور: الإيمان بالبعث، والإيمان بالحساب والجزاء، والإيمان بالجنة والنار، وأنَّهما المآل الأبدي للخلق^(٤).

(١) التوحيدي، محمد، اليوم الآخر، ص ٦.

(٢) عبد الرحيم، صفاء، مؤشرات شعب الإيمان القلبية على سلوك المسلم، ص ٩١.

(٣) الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، القاهرة، دار العقيدة، د.ط، د.ت، ص ٣١١.

(٤) ابن عثيمين، محمد صالح، شرح أصول الإيمان، ص ٤٠ - ٤٣.

ويتضح من خلال استعراض مفهوم اليوم الآخر والإيمان به عند بعض الباحثين في العقيدة الإسلامية والنصوص الشرعية التي تحدثت حديثاً شمولياً عن اليوم الآخر، والأسماء المتعددة له، يتضح ما يأتي:

- مفهوم اليوم الآخر من الأمور الغيبية التي يجب التصديق والإيمان المطلق بها دون شك أو ريب.
- مفهوم اليوم الآخر مفهوم أصولي جامع لعدة مصطلحات تتعلق بما قبل البعث، وما يليه من أحداث الآخرة.
- الاعتقاد الجازم الذي لا ريب فيه، مستنداً على ما ورد في القرآن الكريم والصحيح من السنة النبوية.
- إثبات فناء العالم وانتهاء الحياة الدنيا، ووجود حياة أخرى حقيقية هي دار قرار وبقاء.

المطلب الثاني: مكانة اليوم الآخر

اتفقت الشرائع كلها على وجوب الإيمان باليوم الآخر، فما من رسول إلا يدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى على لسان نبينا إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢).

وقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل مناسبة وأكد وقوعه بشتى الأساليب، وكثيراً ما ربط بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله تعالى. ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات القرآن إلا ونجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، ممّا يدل بوضوح على مكانته والاهتمام به.

ويمكن إظهار مكانة اليوم الآخر من خلال الآتي:

- اتفاق الشرائع على اليوم الآخر ليدل على أهمية هذا اليوم في تنظيم تفصيلات الحياة البشرية الدنيا كافة: "فالحاصل إنّ هذا الأمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم"^(١).
- يُعد الإيمان باليوم الآخر أحد أهم المقاصد القرآنية: فمن المعلوم إنّ القرآن الكريم قد امتد حديثه عن اليوم الآخر على امتداد البعثة النبوية، تأسيساً وبناءً وتوظيفاً، واستغرق الحديث عنه عدداً كبيراً من الآيات، وتتنوع وجوه دلالاتها^(٢). ويمكن إدراك مكانة اليوم الآخر في القرآن الكريم من خلال احتلال هذا اليوم وأحواله وأحواله الجزء الأكبر من سور القرآن الكريم وآياته. وأن في القرآن سورة تسمى (القيامة)، وأن المتدبر لسورة القيامة يجد فيها لفظ الإنسان ذكر ست مرات على غير عادة السور الأخرى، وهذا دليل على أهمية اليوم الآخر في حياة الإنسان ومصيره^(٣).
- الإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير: الذي ينتهي إليه هذا الوجود، وعلى ضوء ذلك يمكن للإنسان إنّ يحدد هدفه، ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، والغاية من حياته، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإنّ حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية، وحينئذ، يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الأنعام، تسيرها غرائزها الطبيعية واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان^(٤).

(١) القنوجي، محمد، يقظة أولى الاعتبار، ص ٣٥-٣٦.

(٢) الدغامين، زياد، الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة: قراءة في رسائل النور، ص ٣٦.

(٣) أحمد، سامية منصور، الإيمان باليوم الآخر: دراسة تطبيقية على جزء عم، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية

والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الجزيرة، السودان، ٢٠١٣م، ص ١١٠.

(٤) سابق، سيد، العقائد الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، ص ٢٥٩.

- الإيمان باليوم الآخر يشكل لدى الإنسان عقلية مرنة متفتحة، للتفكير بما وراء المحسوس، فيفتح آفاقاً للعلم والمعرفة، ويكسر الأطر والحدود التي تعيق البحث والمعرفة.
- إنَّ من الخير للإنسان إنَّ يعلم علم اليقين إنَّ عمره وسيله للتقوي، وأنَّ الصلة وثيقة بين فعل الخير في الدنيا وما يعقبه من سعادة في الآخرة، وبين اقتراف الشر واستحقاق العذاب^(١). إذ إنَّ الإيمان باليوم الآخر يُعد دافعاً قوياً للخير، ورادعاً عن الشر، وحافزاً على مراقبة النفس ومحاسبتها^(٢)، فالحياة الآخرة ما هي إلا امتداد للحياة الدنيا، أولها زرع وأخرها حصاد.
- ويعد اليوم الآخر من مستلزمات العدل الإلهي والحكمة السامية: حتى لا تكون حياة الإنسان بلا غاية ولا هدف، فحاجة الإنسان ملحة إلى الآخرة؛ لضمان الخلود، وإقامة العدل، وتنظيم الحياة^(٣). وإن الاعتقاد بوجود ألوهية عادلة يستتبع حتماً جزاء على الخير والشر، إنَّ لم يتم في الأرض في هذا العالم، فلا بد من إنَّ يتم في عالم آخر، لينتصر الخير، ويلقى الشر جزاءه^(٤).
- الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية وهدفاً أعلى: "وهذه الغاية هي فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان، والأعراض والعقول والأموال"^(٥). ففكرة اليوم الآخر تحول حياة الإنسان من عدم مطلق، إلى حياة ذات قيمة وغاية يعيش من أجلها الإنسان ويرى فيها ما يستحق إنَّ يبتسم له^(٦). والتخلص من العشوائية والعبثية في حياة الإنسان.

(١) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٨٠م، ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٤٠.

(٣) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٤٠.

(٤) قطب، سيد، مشاهد يوم القيامة في القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١، ص ١٣ - ١٤.

(٥) الزنداني، عبد المجيد وآخرون، الإيمان، بيروت، دار وحي القلم، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١١٨.

(٦) عبود، عبد الغني، اليوم الآخر والحياة المعاصرة، ص ١٣٩.

- يمثل الإيمان باليوم الآخر الضابط الذكي للمسلك الإنساني عامة؛ فيضبطه عن الوقوع في

مهالك السلوكيات الى تهلكه في نار جهنم: حيث يرى محمد قطب أنّ الإيمان باليوم الآخر

يجعل الإنسان يمتلك القدرة على موازنة ثقله الأرض، والارتفاع إلى القيم العليا والأخلاق

الفاضلة والمثل الرفيعة، لأنه يوقن بالجزاء الذي سوف يناله على ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ

أَوْنَبِيُّكُمْ يَخَيْرٌ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَجُ مُطَهَّرَةً وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَأَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَوَقْنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّالِحِينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ (آل عمران: ١٥-١٧)،

فيصبح الإنسان على يقين إنّ منافع الحياة الدنيا ونعيمها زائل، ولا يقاس إلى نعيم الآخرة، وكل

عذاب في الدنيا لا يقاس إلى عذاب الآخرة^(١). فالإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في توجيه

الإنسان وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل، لأنه يعتقد بيوم يُحاكم فيه

على أعماله، وأقواله أمام أعدل العادلين^(٢). وهذا يضبط سلوك الإنسان ويكبح النفوس من

التوغل في الشر ويعيد الحياة إلى توازنها، وهذا يضبط خيريّة الحياة، فلولا ذلك لفضى بنو

البشر على بعضهم البعض وانتهت الحياة على الأرض منذ زمن بعيد^(٣).

- يُعد الإيمان باليوم الآخر دافعاً قوياً لتزكية النفس الإنسانية، فيحرك النفس نحو العمل النافع

لها في الدار الآخرة.

(١) قطب، سيد، مشاهد يوم القيامة في القرآن، ص ٣٩٤.

(٢) ياسين، محمد نعيم، الإيمان، الاسكندرية، دار عمر بن الخطاب، د.ط، د.ت، ص ١١٣.

(٣) الأسمر، أحمد رجب، النبي المرئي، عمان، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٨.

- مجازاة المكلفين: حيث يجازى الإنسان حسب كسبه الإرادي الاختياري الذي كسبه في الدنيا،

لأنها دار عمل والآخرة دار جزاء^(١)، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ (آل عمران، ١٨٥).

وإن حكمة الله تعالى وعدله تقتضي إن يبعث عبادة ليجزيهم بما قدموا، فالله تعالى خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعة الله وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى، أفيلق بعد ذلك إن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته^(٢)، قال تعالى: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (القلم: ٣٥-٣٦).

وإننا نشاهد في حياتنا الدنيا ظالمين بقوا على حالهم حتى الموت، ومظلومين كذلك حتى آخر حياتهم، فإذا كانت الحياة الدنيا نهاية المطاف، فهل يكون ذلك عدلا وحكمة!! وكذلك نشاهد أيضاً مؤمنين وكفار وكل منهم يظل على حاله حتى مماته، فهل من العدل إن يسوى بينهم بأن يكون الموت هو ختام الرواية ولا شيء بعده^(٣)، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا النَّبِيِّاتِ أَنْ يُجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجنات: ٢١).

(١) الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، ص ١٠٧.

(٢) الأشقر، عمر، اليوم الآخر: القيامة الكبرى، عمان، دار النفائس، ط ٦، ١٩٩٥م.

(٣) الشحود، علي بن نايف، الإيمان بيوم القيامة وأهواله، المكتبة الشاملة، ص ١.

فالإيمان باليوم الآخر يُعد صمام الأمان في حياة الإنسان، والحافز على العمل الصالح والدافع لتنفيذ شريعة الله في الحياة، لأنّ الإيمان باليوم الآخر يحمل النفس الإنسانية على الامتثال لأمر الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه إذا آمنت النفس أنّ هناك بعثاً وجزاءً حملها ذلك على العمل والاستعداد لذلك اليوم.

- علامة تكريم للمؤمنين ببقاء الله عز وجل، والنظر إلى وجهه الكريم.
- لقاء الأحبة: فالإنسان عندما يموت يترك من خلفه أعزاء يفجعه إن يفارقهم، ويفجعهم إن يغيب، فهلا كان لقاء بعد ذلك المغيب^(١).
- علامة لتكريم الإنسان المؤمن، والفوز بالجنات والنعيم الدائم في الآخرة أمام كل الخلائق.
- علامة لتكريم الإنسان على ما سواه من المخلوقات: وهنا يتساءل سيد قطب، فيقول: ثمّ أيكون مصير هذا الجنس الإنساني الذي عمّر الأرض وصنع فيها ما صنع، كمصدر أية حشرة أو دابة أو زحافة: حياة قصيرة محدودة، لا يتم فيها شيء كامل أبداً، ثم ينتهي كل شيء إلى الأبد؟ لقد عزّ عليه إنّ يكون مصيره هو هذا المصير البائس المهين^(٢).
- تسليّة المنكوبين والمحرومين والمضطهدين بأفراح السماء أملاً في الحصول على حياة أخرى سعيدة^(٣): فعقيدة اليوم الآخر تساعد الإنسان على مواجهة المواقف والابتلاءات في الحياة الدنيا، رجاءً بالثواب وابتغاء وجه الله تعالى والتطلع إلى رضاه في ذلك العالم الآخر، الذي لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة^(٤). فاليوم الآخر يعد إنهاء لحياة الكبد والشقاء في الدنيا، والتعويض بحياة الراحة والمتعة الأبدية في الآخرة.

(١) قطب، سيد، مشاهد يوم القيامة في القرآن، مصر، دار الشروق، ط ١٦، ٢٠٠٦م، ص ١٣-١٤.

(٢) قطب، سيد، مشاهد يوم القيامة في القرآن، ص ١٣-١٤.

(٣) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ٧.

(٤) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٣٠.

- إشباع الجانب الروحي للنفس الإنسانية، والترقي في عالم الغيبيات: لتجعل للإنسان قيمة روحية، تتغير بها نظرتة للحياة، ولقيم الأعمال المعنوية، فيرى بعين البصيرة ما وراء النتائج العاجلة من سلوك الناس وتصرفاتهم. ويتجلى لكل ذي بصيرة إنَّ لا موت إلا في هذه الحياة، فمن فارقها انتقل إلى حياة خالدة لا موت فيها^(١).

فعقيدة الآخرة نافذة مضيئة مريحة يعيش فيها الإنسان دون نية أو ضلال، فهي "رحمة ونعمة يهبها الله تعالى لمن يستحقها من عباده بإخلاص القلب، وتحري الحق، والرغبة في الهدى"^(٢). فالاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط^(٣).

يقول سيد قطب: "لقد عني القرآن بمشاهد القيامة: البعث والحساب، والنعيم والعذاب، فلم يعد ذلك العالم الآخر موصوفاً فحسب، بل عاد مصوراً محسوساً، وحيّاً متحركاً، وبارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهده، وتأثروا بها، وخفقت قلوبهم تارة، واقتشعرت جلودهم تارة أخرى .. ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود"^(٤). إنَّ أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في استعراض اليوم الآخر وما فيه من أحداث تهز أعماق النفوس وتوقظها من غفلتها، وتستقيم على طريق الإسلام.

- الإيمان باليوم الآخر لا يثمر فقط فلاحاً وسعادة في الآخرة؛ بل صلاح في الدنيا فمن آمن بالآخرة انطلق لاصلاح دنياه، وتجنب الإفساد فيها.

(١) نفرة التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٠.

(٢) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ١٦.

(٣) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ١٧.

(٤) قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، ص ٣٧.

- إشباع حاجات الإنسان للخلود: فالإيمان باليوم الآخر "يمد في وجود الإنسان، ويملؤه إحساساً بأنه خالد، وأن خلوده يقتضيه ضريبة العمل الصالح والسعي الحميد واستثمار كل ما يملك من جهد ووقت فيما ينفع ويفيد" (١).
- فإذا أحس الإنسان بصدق إنَّ البعث ثابت والحشر صحيح والحساب صادق والجزاء عادل، استراح نفساً، وأقبل على الحياة الدنيا يعمرها بعبادة الله، واشرب إلى الحياة الآخرة منتظراً الخلود (٢).
- التخلص من الخوف والرغبة من الموت، وذلك لأنَّ الموت يفنى في الآخرة.
- الإيمان باليوم الآخر يعطي مساحةً أوسع لمفهوم الحياة، الذي يتجاوز الحياة الدنيا الفانية، إلى حياة أخرى دائمة، وهذا يفتح باب الأمل لدى النفس، ويبعد عنها القنوط واليأس. فالإيمان باليوم الآخر يربي في الإنسان التوازن في التعامل مع الحياة ومع الناس، ومع كل الأمور، فالذي يوقن بحقيقة الحياة الآخرة، لا يجعل الدنيا همّةً الأكبر.
- عقيدة البعث تحرك في النفس مشاعر الخوف واللجوء إلى الله خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. وتربي في الحذر الدائم والاستعداد المستمر من قيام الساعة.

(١) عبد القادر، محمد أحمد، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٣٧.

(٢) عبد القادر، محمد أحمد، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، ص ٣٨.

الفصل الثاني

أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وقواعدها، وأساليبها

المبحث الأول: أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الثاني: قواعد تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الثالث: أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الأول

أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يُعنى هذا المبحث بدراسة أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وقد اجتهدت الباحثة في استخلاص أهم أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وأعدت الباحثة رسماً توضيحياً لهذه الأهداف سيتم عرضه في هذا المبحث.

مفهوم الهدف لغة واصطلاحاً:

معنى الهدف في اللغة:

للهدف في اللغة معانٍ متعددة، منها: "كُلُّ مُرْتَفِعٍ من بناءٍ أو كَثِيبِ رَمَلٍ أو جَبَلٍ والغَرَضُ. وأهْدَفَ عليه: أَشْرَفَ وإليه لَجَأٌ وله الشيءُ: عَرَضَ ومنه: دَنَا أو انْتَصَبَ واستَقْبَلَ. واستَهْدَفَ: انْتَصَبَ وارتَفَعَ"^(١).

وفي لسان العرب الدنو والاستقبال والانتصاب يقال أهدفَ لي الشيء فهو مُهدِف. وقيل الهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كَثِيبِ رَمَلٍ أو جَبَلٍ ومنه سمي الغَرَضُ هدفاً. وقيل أهدف على التلّ أي أشرف. وهدف إلى الشيء أسرع وأهدف إليه لَجَأً^(٢).

وفي مختار الصحاح "الهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كَثِيبِ رَمَلٍ أو جَبَلٍ ومنه سمي الغرض هدفاً"^(٣).

(١) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، فصل الهاء، ج ١، ص ١١٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ص ٣٤٥.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥، باب الهاء، ص ٧٠٥.

وفي معجم مقاييس اللغة: الهدف يدل على انتصابٍ وارتفاع، فهو كل شيء عظيم مرتفع، ولذلك سمي الرّجل الشخيص الجافي هدفاً. والهدف الغرض^(١).

ومن خلال تتبع لفظة الهدف في اللغة تجد الباحثة إنّ المعاني الدالة عليها هي الإسراع والانتصاب والاستقبال والدنو والارتفاع والغرض، وهذه المعاني تخدم المعنى المستفاد في الدراسة الحالية.

معنى الهدف في الاصطلاح:

للهدف في الاصطلاح تعريفات متعددة، حسب نوع الهدف فكرياً أو علمياً أو تربوياً، وتكتفي الباحثة بعرض تعريفات الهدف فيما يخص ويتعلق بموضوع الدراسة الحالية.

يُعرف الهدف بأنه "الغاية التي يتصورها الإنسان، ويضعها نصب عينيه، وينظم سلوكه من أجل تحقيقها"^(٢). ويرى ابن عثيمين إنّ أهداف العقيدة الإسلامية: "مقاصدها، وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها"^(٣). وهذا يعني إنّ الهدف هو الغاية أو المقصد التي ينبغي تحقيقه.

وبناءً على ما سبق من تعريفات، وما سبق من معاني الهدف في اللغة، ترى الباحثة ضوء أنّ أهداف تزكية النفس من خلال اليوم الآخر هي: أغراضها وغاياتها المقصودة، التي يتطلع إلى تحقيقها في النفس الإنسانية من خلال إيمانها باليوم الآخر.

منظومة أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

بعد مراجعة الأدب النظري لأهداف التربية الإسلامية المتعلقة بتزكية النفس، وأهداف الإيمان باليوم الآخر، وقراءة نصوص القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع، فإنّ الباحثة قد اجتهدت في تقديم

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، ص ٣٩.

(٢) النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ص ٩٦.

(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح أصول الإيمان، ص ٦١.

منظومة من الأهداف متعلقة بتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وفق ثلاثة مستويات، وهي:

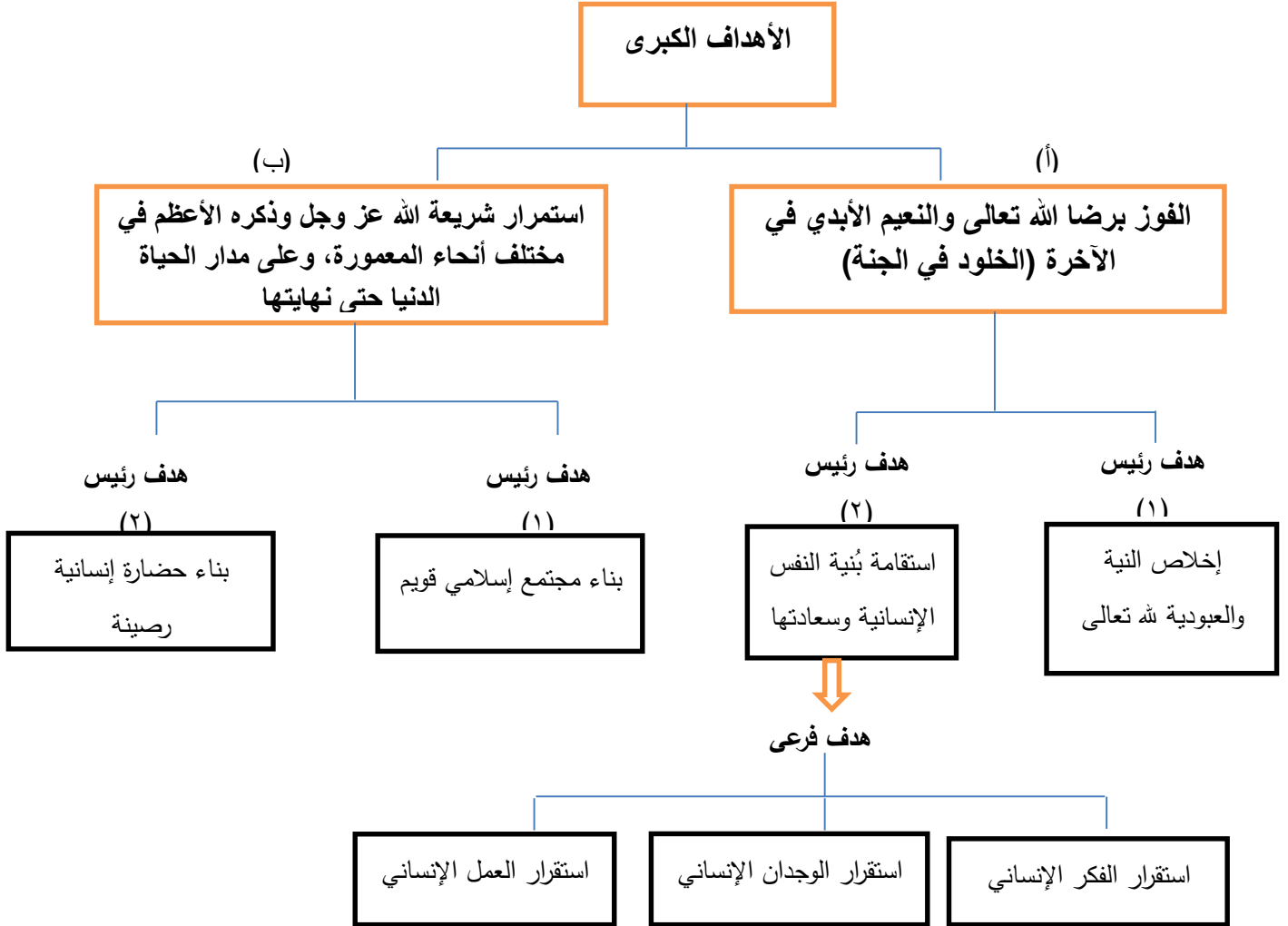
المستوى الأول: مستوى الأهداف الكبرى: ويشمل هذا المستوى أهدافاً تربوية ثابتة وشاملة، وعلى أعلى مستوى من الأهداف التي يسعى المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر إلى تحقيقها. ويتفرع عن هذه الأهداف الكبرى أهداف رئيسة منبثقة منها وأهداف فرعية كثيرة.

المستوى الثاني: مستوى الأهداف الرئيسية: وهو مستوى للأهداف الرئيسية المنبثقة من الأهداف الكبرى، وهي أهداف أساسية يقوم عليها المنهج التربوي، ويتفرع عنها عدة أهداف فرعية.

المستوى الثالث: مستوى الأهداف الفرعية: وهي أهداف متفرعة ومنبثقة من الأهداف الرئيسية، إذ أنّ المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر يتبنى قائمة من الأهداف الفرعية التي تسعى لتحقيق الأهداف الرئيسية والكبرى.

وقامت الباحثة بإعداد رسم توضيحي لهذه الأهداف وفق الآتي:

منظومة أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر



الأهداف الكبرى لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

(أ): الفوز برضا الله تعالى والنعيم الأبدي في الآخرة (الخلود في الجنة)

يعدُّ هذا الهدف من الأهداف الكبرى والشمولية في منظومة الأهداف الأساسية في تزكية

النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وهو هدف تربوي يتعلق بالإيمان بالأمور الغيبية من الإيمان

باليوم الآخر، وأحداثه، والجنة والنار. وعليه فإنَّ هدف نيل رضا الله تعالى وطلب تحصيل الخلود

الأبدي في جنات النعيم يعدُّ من أهم الأهداف التربوية على الإطلاق.

وإن الهدف من تزكية النفس هو الفوز برضا الله تعالى ومحبته، فلا تصلح النفس، ولا تزكو إلا من خلال إيمانها باليوم الآخر.

ولعل ما يثبت ثقل هذا الهدف، قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧) يقول السعدي في تفسير هذه الآية: "هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوا طلباً لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن الوفي للرووف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته إن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوا، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم"^(١). فالفوز برضا الله عز وجل يعد من أهم وأجل الأهداف التي تحققها تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. ومما يدل أيضاً على هذا الهدف:

• قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ (المائدة: ٢) يقول السعدي: "في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصدته فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصدته رضوان الله بحجة وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء ولا تهينوه، بل أكرموه، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم"^(٢). ويقول ابن عاشور: "وجملة (يبتغون فضلاً من ربهم) صفة لـ (آمين) من قصدهم ابتغاء

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢١٨.

فضل الله ورضوانه وهم الذين جاءوا لأجل الحج إيماء إلى سبب حرمة آمي البيت الحرام^(١). ويقول: "الفضل خير الدنيا، وهو صلاح العمل، والرضوان: رضي الله تعالى عنهم. وهو ثواب الآخرة"^(٢). فابتغاء فضل الله بالتوفيق للخير في الدنيا، والرضا في الآخرة هو المقصود الذي يرتجيه المؤمن بالله واليوم الآخر.

• وقوله تعالى: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ ﴾ (الفتح: ٢٩)، يقول السعدي في تفسيره: "﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود. (يبتغون) بتلك العبادة ﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ أي: هذا مقصدهم بلوغ رضا ربهم والوصول إلى ثوابه"^(٣). ويقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ "هذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضا الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماءً إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه"^(٤). فالهدف الأعلى والأجل الذي يسعى إليه أهل الإيمان بإقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس هو هدف رضوان الله تعالى، وهذا مبتغاهم وغايتهم.

وينبثق من الهدف التربوي الشامل "الفوز برضا الله تعالى والنعيم الأبدي في الآخرة" سلسلة من الأهداف الرئيسية وتتطلب هذه الأهداف الرئيسية مجموعة من الأهداف الفرعية التي تتحرك لتحقيق الأهداف الرئيسية، وفقاً للرسم التوضيحي الذي تمت الإشارة إليه في بداية هذا المبحث.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م، ج ٥، ص ١٧.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٨.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٧٩٥.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ١٧٣.

الهدف الرئيس الأول: إخلاص النية والعبودية لله تعالى وحده

يُعد هدف "إخلاص النية والعبودية لله تعالى" من الأهداف الرئيسية والثابتة، فهو هدف رئيسي يندرج تحته أهداف فرعية كثيرة تتحرك لتعمل على تحقيقه. فالإخلاص والعبادة لله تعالى تُعدان غاية عظيمة خلق الله الإنسان من أجلها، ويتوقف على تحقيقها مصير الإنسان في الآخرة. وإنَّ غاية تزكية النفس تحقيق كمال العبودية لله تعالى، واستسلام ظاهر العبد وباطنه لله تعالى، ولقاء العبد لربه بقلب سليم، حتى يسعد بمجاورة الله تعالى في الفردوس، فإذا كان العبد مخلصاً لربه يحيا قلبه محباً لله تعالى، وإذا ازداد قلبه حباً لله تعالى ازداد عبودية ومحبة للقاء الله تعالى في الآخرة^(١)، فالعبادة والإخلاص والقلب السليم سبب في تحقيق الهدف الأعظم في الآخرة وهو الفوز بجنت النعيم والخلود فيها.

ولعل ما يثبت ثقل هذا الهدف الربط بين يوم القيامة والعبادة، ويظهر ذلك في قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ (الفاطحة: ٣-٤)، يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ إنها شملت على أحوال القيامة، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿٥﴾ يجمع معنى الديانة والشريعة، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ يجمع معنى الإخلاص لله في الأعمال. ويقول ابن عاشور: "قال عز الدين بن عبد السلام في كتابه حلُّ الرموز ومفاتيح الكنوز: الطريقة إلى الله لها ظاهرٌ، أي عملٌ ظاهر بدني، وباطن أي عمل قلبي، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، والمراد من الشريعة والحقيقة إقامة العبودية على الوجه المراد من المكلف"^(٢). وقد تضمن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿٥﴾ أصول التزكية النفسية

(١) محمد، فاطمة أحمد موسى، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية "دراسة مقارنة"، ص ١٩٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٣٢.

بالابتداء بالمناجاة، ثم بالتخليية عن التعطيل والشرك بما تضمنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والتخلي عن
خواطر الاستغناء عنه بالتبري من الحول والقوة تجاه عظمته بما تضمنته ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
ومن ثم التحلي بالرشد والاهتداء بما تضمنته ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

ووصف المَلِكِ أو مالك مضافاً إلى يوم الدين، فهو مُؤَدِّنٌ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ وَعَدَمِ الْهُوَادَةِ فِيهِ.
وإشارة إلى أنه وليُّ التصرف في الدنيا والآخرة، ويوم الدين هو يوم القيامة ومبدأ الدار الآخرة^(٢).
وقال السعدي: "والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع
الشُرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقصوداً بها وجه الله"^(٣). فالعبادة وإظهار الإخلاص لله تعالى رُبطاً في قوله
تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من أجل إنَّ تكون العبادة سبباً في تحقيق السعادة الأبدية والفوز
بالجنة.

ومما يدل على هذا الهدف، قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ (فصلت: ٦-٧)، أي لا يؤتون ما تُزَكَّى به أنفسهم من التوحيد
والإيمان بالغيب واليوم الآخر (الآخرة). يقول السعدي في تفسير هذه الآيات: "أي: الذين عبدوا من
دونه من لا يملك نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً وندسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم
والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع بالزكاة وغيرها.
﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٥٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٧١ - ١٧٣.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٩.

قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه، ممّا يضرهم في الآخرة^(١). فالزكاة للنفس تكون بتوحيد الله تعالى والإخلاص له بالتوحيد والعبادة، وذلك بسبب الخوف من الآخرة.

الهدف الرئيس الثاني: استقامة بنية النفس الإنسانية وسعادتها

يعد هذا الهدف التربوي من الأهداف الرئيسية (المركزية) في تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، فالهدف الرئيس في تركية النفس هو استقامة النفس الإنسانية، والترقي بها لصقل شخصية إسلامية سوية متكاملة ومتوازنة وتحقيق السعادة لها في الدارين (الدنيا والآخرة). ويسعى المنهج التربوي لتحقيق استقامة هذه الشخصية لتحقيق الاستقرار في الفكر؛ لأنها تتبع عقيدة صحيحة وأصيلة، والاستقرار الوجداني؛ لأنها صاحبة نفسية متزنة وفاعلية إيجابية في الحياة. والاستقرار والاستقامة في السلوك الإنساني، يكون بالحث على العمل الصالح.

وهذا يتطلب إن يضع المنهج التربوي لتركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر سلسلة من الأهداف التربوية الفرعية المشتقة من الهدف الرئيس (استقامة بنية النفس الإنسانية وسعادتها) للمساعدة على تركية النفس الإنسانية للفوز برضا الله تعالى ودخول الجنة والخلود فيها. وسوف تعرض الباحثة جملة من الأهداف الفرعية بناءً على التقسيم الذي عرضت له الباحثة فيما سبق، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

الهدف الفرعي الأول: استقرار الفكر الإنساني

يعد هذا الهدف الفرعي "استقرار الفكر الإنساني" من الأهداف التي تحققها تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ويشكل أساساً في استقامة بنية النفس الإنسانية وتحقيق سعادتها. فهو

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤٤.

هدف يركز على تزكية الجانب الفكري من البنية النفسية للإنسان، من خلال غرس العقيدة الصحيحة والسليمة في النفس.

فقد ميّز الله تعالى الإنسان عن غيره من المخلوقات في الأرض بصفات عديدة، منها القدرة على التفكير، وأكرمه سبحانه وتعالى بالقدرة على القيام بعمليات عقلية عليا، كالتفكير المجرد والقدرة على التأمل والتدبر والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة في موضوعية وتجرد عن الهوى والمؤثرات الذاتية، وذلك لتدبر وقبول الحقائق عن بصيرة وإرادة واقتناع، ولمعرفة الكثير عن نفسه وعن العالم، وبالتالي معرفة ربه، وإنَّ القدرة على التفكير تؤدي بالإنسان إلى تحقيق تزكية القدرات العقلية، من خلال تزكية مسار الفكر بتوجيهه للأهداف التي خلقت من أجلها، وهي تُدبّر شؤونَ الإنسان وتنظّم علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة^(١). وبالتالي يستطيع الإنسان تزكية نفسه لتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى واستقامة النفس، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم: ٨). وإنَّ الشاهد في الآية الكريمة على أنَّ استقرار الفكر

الإنساني هدف لتزكية النفس، أنَّ التفكير من العمليات العقلية التي تتطلب القدرة على التأمل والنظر العلمي بقصد الكشف عن حقيقة خلق الإنسان، وكذلك السموات والأرض، وربط ذلك بحقيقة الحياة الدنيا، والحذر من الغفلة عن الآخرة، فإنَّ البحث في موجودات الكون من إنسان وسماوات وأرض، ومعرفة الحقائق المتعلقة بها، والتفكير في لقاء الله تعالى، وأهمية العالم المجهول وحقيقته، يُنشئ عقلية متزنة ومرنة تعطي مساحة للتفكير في عالم الشهادة ضمن حدود هذا العالم، وربطه بعالم

(١) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص ٦٩.

الغيب للوصول إلى الحقائق الثابتة من الوجود مبدأه ومصيره. وبهذا تتشكل عقلية مرنة قادرة على ربط الفكر واستقراره في حدود الإيمان باليوم الآخر، مما يؤثر على استقرار النفس وصلاحها.

ويظهر هذا الهدف "استقرار الفكر الإنساني" جلياً من خلال الأمور الآتية:

- تحرير العقل والفكر من التخبط والفوضى الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة، لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات^(١). قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكَ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأَلَّهَ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (الشعراء: ٩١-٩٩)، ويظهر في الآيات نموذج إنساني متخبط في العقائد، نتيجة تخبط فكري.

- ترجيح الحق والخير على الباطل والشر، من خلال منحه العقل والدين والفتوة السليمة، فبقدر طهارة النفس وأثر تزكيتها بالإيمان ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال يكون ارتقاؤها في الدنيا والآخرة، فالجزاء أثر طبيعي للعمل النفسي والبدني^(٢). قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (القصص: ٦٠) فالذي يفكر ويستخدم قدراته العقلية يستطيع ترجيح وتفضيل ما عند الله تعالى على زينة الحياة الدنيا الفانية.

(١) ابن عثيمين، محمد، شرح أصول الإيمان، ص ٦١.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١٢٧.

- التحرر من الخرافات والاعتقادات الزائفة، وخوارق العادات والشفاعات، إذ أنّ السعادة في الدنيا والآخرة مترتبة على تزكية النفس بالإيمان الصحيح، والعمل الصالح ومكارم الأخلاق^(١). فيصبح الفرد المسلم ذا هوية مستقلة أصيلة، وثقافته مستمدة من الكتاب والسنة النبوية.
- تشكيل عقلية مرنة، تنشأ من خلال الإيمان بغيب اليوم الآخر وأحداثه، حيث ينشأ شعور عند النفس بسعة الوجود وتتوّع الموجودات وأهمية العالم المجهول^(٢). ويخلص العقل من خطر العقلانية المطلقة التي تؤدي إلى تعثر العلم، لأنها تضع إطاراً للعلم ضمن حدود عالم الشهادة، الأمر الذي يؤدي إلى توقف عجلة البحث والتطوير، فإنّ البحث بحاجة إلى حرية وإلا سيقع أسير نفسه^(٣)، فالإيمان باليوم الآخر يطلق العنان للتفكير ويزيل الحواجز والأطر التي توقف العلم، فيثير البحث والتفكير والإبداع وكل ذلك يشكل عقلية مرنة قادرة على ضبط الفكر واستقراره في حدود الإيمان باليوم الآخر.

الهدف الفرعي الثاني: استقرار الوجدان الإنساني

يعد هذا الهدف التربوي الفرعي من الأهداف ذات الأهمية والقيمة العالية في مجال تزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وذلك لأنه يتعلق بالجانب الوجداني في ما يخص النفس الإنسانية، الذي يعد جزءاً مهماً وعنصراً أساسياً وفاعلاً في تشكيل النفس والسيطرة عليها. ويصُّب في تحقيق الهدف الرئيس وهو استقامة النفس وسعادتها.

وإن لهذا الهدف "استقرار الوجدان الإنساني" ثقل، أهمية في تزكية النفس، وذلك لأنّه

- (١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١٩٤.
- (٢) بلكا، إلياس، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٣٠-١٣٣.
- (٣) صالح، نهيل، وظاهر، سميرة، تربية السلوك الإنساني من خلال الإيمان بالغيب: مشاهد اليوم الآخر في أرض المحشر أنموذجاً، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد ١١٦، ٢٠١٨م، ص ١٤.

- يقوي الوازع النفسي: إذ أنّ عقيدة البعث والجزاء المتعلقة باليوم الآخر تكون حاجزاً يصدّ الإنسان عن الباطل والشرّ والظلم وترغبه في التزام الحق والخير^(١).

- يجلب الاستقرار النفسي المترتب على الإيمان باليوم الآخر، والاعتقاد بالحكمة البالغة من خلق الإنسان وأنه لم يخلق عبثاً، فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥) وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦)، فالذي يكفر بالبعث والجزاء يشعر باحتقاره لنفسه نتيجة اعتقاده أنه خلق عبثاً لا لحكمة بالغة^(٢).

- يؤدي الاعتقاد بالآخرة دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط. إنّ الحساب الختامي ليس في هذه الدنيا، فالحساب والعدالة المطلقة مضمونة في الآخرة. فلا ندم على الخير إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه، ولا قلق على الأجر لأنه سوف يُوقاه بميزان الله. ولا قنوط من العدل^(٣).

- يحقق الطمأنينة لأهل الإيمان والعمل الصالح، بآلا يخافوا من هول القيامة لأنّ الله تعالى لا يظلم أحداً والجزاء من جنس العمل، فميزان يوم القيامة ميزان عادل لا يظلم^(٤)؛ لأنّ الذي سيقوم هذا الميزان هو الحق سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦)، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس: ٥٤).

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١٢٧.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١٢٨.

(٣) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ١٧.

(٤) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ج ٢٠، ص ١٢٦٧٩ - ١٢٦٨٠.

يقول سيد قطب: "الغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل وترجح في أكفهم ميزان القيم، فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمتها تصوراً واضحاً، وبظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً، لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض"^(١)، فيقضة الضمير الإنساني وإحساسه الداخلي الوجداني بالآخرة، يغير النظرة للحياة وقيمتها.

الهدف الفرعي الثالث: استقرار العمل الإنساني

يُعنى هدف "استقرار العمل الإنساني" بالجانب المهاري والعملية لتزكية النفس الإنسانية والسعي إلى تحقيق الاستقامة للبنية النفسية وسعادتها، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. فالعمل الصالح الذي يهدف المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، إلى تحقيقه في النفس، يتم بناءً على قاعدة عظيمة من الاعتقاد السليم. والعمل الصالح يتناول كل أنواع الاستقامة السلوكية، ومجالاتها: الذاتية، ومع الآخرين، ومع البيئة، والإدارة، والطاعة، والأمانة، والإتقان، وحفظ الأعراض، واللسان، والعلاقات الاجتماعية وغيرها. فيظهر الفرد داخل المجتمع بسلوك مستقيم يقود للرضا عنه، مما يؤثر على استقامة المجتمع بكل مؤسساته^(٢).

ومما يدل على هدف "استقرار العمل الإنساني"، بتزكية النفس واستقامتها على المنهج الرباني،

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ (فصلت: ٣٠). فالاستقامة هي سبب

الفوز بالجنة والخلود الدائم فيها، يقول السعدي: "يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم،

والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أي: اعترفوا ونطقوا

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٤٤١.

(٢) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤٨٦.

ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماء وعملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُونَ﴾ على ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه في الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً^(١). فإن الاستقامة على الصراط المستقيم، والاستسلام لأوامر الله عز وجل وطاعته في كل الأمور يحقق استقامة البنية النفسية من خلال العمل المبني على الإيمان.

ومما يدل على قوة هذا الهدف، والمنافع المترتبة عليه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف: ١٣-١٤). يقول السعدي: "أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداموا على ذلك، و﴿اسْتَقَمُوا﴾ مدة حياتهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من كل شر أمامهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا وراءهم. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: أهلها الملازمون لها الذين لا يبغون عنها حولاً، ولا يريدون بها بدلاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإيمان بالله المقتضي للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها"^(٢). ويستخلص من هذا إن الأعمال الصالحة المبنية على الإيمان بالله تحقق الاستقامة للبنية النفسية، وبالتالي الفوز بالجنة دار الخلود.

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤٨.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٨٠-٧٨١.

ومما يدل على إن استقرار العمل الإنساني يحقق الاستقامة للبنية النفسية من خلال تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَالِدَاتُ عَلَىٰ الصَّبِيِّاتِ لِأَسْقِيَنَّهُنَّ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ (الجن: ١٤-١٦). يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أي: "الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم. ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم ﴿ وَالْوَالِدَاتُ عَلَىٰ الصَّبِيِّاتِ ﴾ المثلئ ﴿ لِأَسْقِيَنَّهُنَّ مَاءً غَدَقًا ﴾ أي: هنيئاً مريئاً، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم" (١). فالأعمال هي التي تحدد مصير الإنسان في اليوم الآخر، فالذي ينكر البعث يُقدم على الشرك والطغيان وينحرف عن طريق الرشد، والذي يتبع طريق الصراط المستقيم، ويؤمن بالبعث، يوصله عمله وإيمانه إلى الجنة ونعيمها.

ويظهر ثقل هدف "استقرار العمل الإنساني" في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، من خلال ما يأتي:

- إن الإيمان الراسخ بالبعث والحساب يوجه الإنسان إلى امتثال الطاعات واجتناب المحرمات. فيتجه المؤمن إلى الأعمال التي تقربه من الله تعالى انتقاءً لعذابه، وطمعاً لثوابه (٢).

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٩٠.

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٥ - ٦٦.

- ربط كل حركة وسكنة في ظاهر العبد وباطنه بالثواب والعقاب، وبهذا تزكو النفوس وتطهر القلوب^(١)، فقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٢)، وهذا يؤكد العدالة الإلهية في الثواب والعقاب.
- ربط عمل الإنسان في الدنيا بمقاييس الآخرة (ذرة، نقرة) فقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧)، فيوم القيامة كلُّ نفس بما كسبت من خير أو شر.
- إنَّ التصور الذي يُنشئه الإسلام في القلب البشري عن حقيقة الرقابة الإلهية والحساب الآخروي، يعطيه وقاية من الاستغراق في متاع الدنيا ومن التكالب على هذا المتاع الذي هو مسؤول عنه وممتحن فيه، ويمنحه مناعة ضد الاغترار والانخداع والغفلة، فيجعله شديد الحذر وشديد الرغبة في الإحسان وفي النجاة^(٣).
- شعور الإنسان بأنَّ خالقه محاسبه في الآخرة، يربط الحاسة الأخلاقية في نفسه بمصيره كله؛ لأنَّ هلاكه أو نجاته مرهونة بيقظة هذه الحاسة وتأثيرها في نيته وعمله^(٤). وبالتالي السيطرة على تصرفاته وسلوكه.
- مبدأ فردية التبعية، إنَّ كل نفس مسؤولة عن نفسها، وأن كل فرد مجزيُّ بعمله، ولا يؤاخذ بكسب غيره، ولا يتخلص هو من كسبه يقول سبحانه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦) هذه رسالة للبشرية تقرر فيها رشدتها وتضع على

(١) ناجي، بدر الدين، تزكية النفس في القرآن الكريم، ص ٣٩٩.

(٢) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ١٨.

(٣) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٢٢.

كاهلها عبء الاختيار، فحقيقة الفردية في الجزاء عامل قوي في محاسبة الإنسان لنفسه قبل إن يحاسب، مع التخلي عن كل أمل خادع في إن ينفعه أحد بشيء، أو إن يحمل عنه أحد شيئاً، فقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ (سبأ: ٤٢). كما أنه عامل مطمئن فلا يقلق الفرد خيفة أن يؤخذ بجريرة الجماعة، فيطيش ويأس من جدوى عمله الفردي الطيب، ما دام أدى واجبه في النصح للجماعة^(١). فتحمل الإنسان مسؤولية عمله بشكل دافع للاستقامة.

- تنمية حالة الوسطية والتوازن من مرض الطغيان والاستضعاف، وهذا يمثل العافية والصحة النفسية والسلوكية، فإن قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن: ١٤) وحالة الرشد أي حالة التوازن بين الطغيان والاستضعاف، فإن "الطغيان مرض نفسي يصيب النخبة القوية فتطغى وتتجاوز رتبها الإنسانية إلى منزلة - التآله- أي ادعاء ملكية الأشياء والتصرف بمصائر الأشخاص. أما الاستضعاف فهو أيضاً مرض نفسي يصيب الأكثرية فيفقدوا إنسانيتها ويحيلها إلى قطعان بشرية مدجّنة لا تملك شيئاً ولا تشارك في تقرير مستقبلها ومصيرها. أما الوسطية فهي العودة بكل من الطغاة والمستضعفين إلى حالة العافية التي تجسدها طاعة الطرفين لله وإفراده بالملكية"^(٢)، ومحور الوسطية هو الاسترشاد بقيم العدل.

"وأهمية الوسطية أنها توفر أمرين اثنين: الأول؛ وعي الإنسان بإنسانيته وعدم السماح بتدجينه وتحويله إلى شيء من الأشياء المملوكة. والثانية؛ أنها توفر له انتماءً إلهياً يحقق له المساواة

(١) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٣٣.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٣٥.

مع الآخرين في تقرير مستقبله ومصيره"^(١). وإحساس الإنسان بإنسانيته وانتماؤه بوجودان فيه

الضمير الذي يجعله يرى في نفسه محور الكائنات المخلوقة، وبالتالي يحقق له الاستقامة.

- التعامل مع الدنيا: بأن يعرف العبد أنه لا راحة فيها، فلا يطلبها ولا يتعلق قلبه بالترفع والترفه

والرياسة فيها، وليس له منها إلا الكفاية، فلا يطلب منها إلا ما يطلبه المسافر مما يُبلِّغُه منزله.

وهذا لا يتم إلا بالبناء على قرب الأجل وسرعة الموت فإنه من أطال الأمل أساء العمل^(٢).

فالتزكية من خلال اليوم الآخر تحقق استقامة للنفس في الأعمال الصادرة عن الإنسان في الدنيا

بغية تحقيق رضا الله عز وجل، وتحقيق النفع في الآخرة.

(ب): استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم في مختلف أنحاء المعمورة وعلى مدار الحياة

الدنيا حتى نهايتها

من الأهداف الكبرى لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، هدف "استمرار شريعة

الله عز وجل وذكره الأعظم في مختلف أنحاء المعمورة وعلى مدار الحياة الدنيا (الغاية نهايتها)".

ويقصد بهذا الهدف أنّ الإسلام برسالاته العالمية والخاتمة لجميع الرسالات الإلهية، وبمنهجه الشامل

الذي يقصد إلى إعمار الكون وبناء حضارة عالمية شاهدة على كل الحضارات في الأرض، يجب

إنّ يستمر ظهوره وفاعليته حتى قيام الساعة.

وإنّ من مقتضيات عالمية الإسلام، إقامة شرع الله في أنحاء الأرض كلها وإعمار الكون بما

يتفق مع منهج الله الذي خلق الأرض ومن عليها، والتزام النفس بمنهج رباني في حياتها كلها، يقتضي

إنّ تتمسك بشريعة الله عز وجل وطاعته على مدار الحياة حتى قيام الساعة.

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٣٦.

(٢) السلطان، عبد العزيز المحمد، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، ط٧، ١٤١٠هـ.

فالتربية والتزكية للنفس من خلال الإيمان باليوم الآخر تعظيم لله تعالى، وتسليم بعالم حقيقي أصبح كعالمه المحسوس المشاهد، وإنّ هذا التعظيم والتسليم لله تعالى يورث ويستلزم تعظيم طاعته والالتزام بأوامره والابتعاد عن معصيته^(١).

يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٦﴾ يَوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٧٧﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٧٨﴾﴾ (الفرقان: ٢٧ - ٢٩). فالكافر يتحسر يوم القيامة على عدم اتباع الرسول الذي بعث إليه، فإنه يعضُّ على يديه ندماً على عدم اتباع شرع الله عز وجل المتمثل بدعوة الرسل. وإن اتباع شرع الله هو استمرار لذكر الله في الأرض وعلى مدار الحياة الدنيا.

فإنّ هدف الإسلام في تزكية النفس وصلاحها، لا يقتصر على الذات فقط، وإنما يشمل الإنسانية جميعها والخلائق كلها، فالإنسان التزكوي هو "الإنسان التقى الذي يعبد الله، ويهتدي بهديه، وهو الذي يعمر الأرض ويفي بشروط الخلافة فيها، وهو الذي يحيا حياة فاضلة سعيدة لأنه استجاب لله، ونظم أمور حياته بأحكام شريعته"^(٢).

ومما يدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنفال: ٢٤-٢٥). يقول السعدي في تفسير الآية: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان

(١) صالح، نهيل، وطاهر، سميرة، تربية السلوك الإنساني من خلال الإيمان بالغيب: مشاهد اليوم الآخر في أرض المحشر أنموذجاً، ص ١٣.

(٢) عمر، أحمد عمر، منهج التربية في القرآن والسنة، دمشق، دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٦، ص ٢٤.

منهم وهو الاستجابة لله والرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه. وقوله ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام. ثم حذر عن عدم الاستجابة لله والرسول، فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ﴿فَإِيَّاكُمْ إِنَّ تَرَدُّوا أَمْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ مَا يَأْتِيكُم، فَيَحَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَدْتُمُوهُ﴾ بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء...و﴿وَأَنَّهُ إِلَىٰ إِلَٰهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه"^(١). وقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا تَصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿(الأنفال: ٢٥)﴾، يقول السعدي: "لا تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يُغَيَّر، فإن عقوبته تعمُّ الفاعل وغيره، وأن اتقاء هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وألا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لمن تعرض لمساخطة، وجانب الرضا"^(٢). ويظهر من خلال الآيات السابقة أن الاستجابة والانقياد لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وتحكيم شرع الله عز وجل في الأرض، هو الحياة والمنهج السليم الذي يعم نفعه على الإنسانية جمعاء. وهو الهدف الأسمى من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

(١) السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٨.

(٢) السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٨.

وقد جعل الله تعالى علماء أهل الإيمان حكماً وشهوداً على الناس يوم القيامة ومن ذلك قوله

تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

وَالْكَتُوبُ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ (الروم: ٥٥-٥٦). يقول السعدي: "يخبر تعالى عن يوم القيامة وسرعة

مجيبته وأنه إذا قامت الساعة ﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ بالله أنهم ﴿ مَا لِيُثُوا ﴾ في الدنيا إلا ﴿

سَاعَةً ﴾ وذلك اعتذاراً منهم لعله ينفعم العذر واستقصار لمدة الدنيا. ولما كان قولهم كذباً لا حقيقة

له، فقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: ما زالوا - وهم في الدنيا - يؤفكون عن

الحقائق ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة أنكروا الأمر

المحسوس وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح، والعبد يبعث على ما مات عليه. ﴿

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ أي: من الله عليهم بهما وصارا وصفاً لهم العلم بالحق والإيمان

المستلزم إثبات الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم إن يكون قولهم مطابقاً للواقع مناسباً

لأحوالهم. فلماذا قالوا الحق: ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله

عليكم وفي حكمه ﴿ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ أي عمرتم عمراً يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر وبعد

فيه المعبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال. ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْكَتُوبُ كُنْتُمْ لَا

تَعْمُونَ ﴾ فلذلك أنكروتموه في الدنيا وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتاً تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة،

فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم"^(١). ويستخلص من ذلك إنّ أهل الإيمان والعلم هم أهل الحق، وهم الشهود على أهل الكفر والباطل يوم القيامة. وهذا يدل على أنّ شريعة الله في الأرض هي الحق الذي يجب إنّ يحكم الأرض كلها.

وبناءً على تقسيم الباحثة للأهداف إلى مستويات، وبعد ما تم عرضه لمستوى الأهداف الكبرى وهو هدف "استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم في مختلف أنحاء المعمورة وعلى مدار الحياة الدنيا ولغاية نهايتها"، فإنّ هذا الهدف الشامل والثابت، يتضمن سلسلة من الأهداف الرئيسة المنبثقة منه، وسيتم عرض هذه الأهداف بناءً على التقسيم الذي تم بيانه فيما سبق، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

الهدف الرئيس الأول: بناء مجتمع إسلامي قويم

من الأهداف الرئيسة في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر هدف "بناء مجتمع إسلامي قويم"، ويمثل هذا الهدف حالة جماعية تستهدف وجود أمة إسلامية، ذات رسالة سماوية، تحقق استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم إلى قيام الساعة.

إذ أنّ الأساس في بناء وسعادة الجماعة الإنسانية مرهون ببناء النفس الإنسانية وتقويمها وضبطها، وإنّ ضبط النفس الإنسانية في المجتمع الإسلامي يقوم على أساس مراقبة الله والخوف من عقابه يوم القيامة.

وبهذا تعد قضية الإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لبناء المجتمع الإنساني المنشود، الذي يرتقي فيه الفرد والجماعة في سلم الفضائل، ويعمل على حل مشكلات الجنوح الإنساني فيه^(٢).

(١) السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٤٥.

(٢) الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٦٢٥.

إنَّ من مقتضيات الإيمان إنَّ يتكافل الفرد مع الجماعة في ماله وكسبه، وفي جهده ونصحه، وفي إحقاق الحق في المجتمع وإزهاق الباطل، وفي تثبيت الخير والبر، وإزالة الشر، وكل أولئك يحسب له أو عليه في صحيفته يوم يلقى الله فرداً فيلتقى هنالك جزاءه^(١)، يقول سبحانه ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١١). فكل ما يقوم به الإنسان تجاه نفسه أو غيره فإنه يحاسب عليه.

وإنَّ تحقيق هدف بناء مجتمع إسلامي قويم في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، متوقف على تحقيق الأمور الآتية:

- بناء الأواصر والروابط حسب الوشيجة الدائمة التي لا تنقطع في دنيا ولا في آخرة، وشيجة العقيدة، أما بناء العلاقات في المجتمع على أساس الدم والقرباة والنسب فقط دون وشيجة العقيدة فإنَّ هذه الأواصر تنقطع يوم القيامة، وتقف كل نفس فيه وحيدة فردية، مجردة من كل عون ومن كل سند، موحشة من كل قربي، فقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ (لقمان: ٣٣) فكل فرد مأخوذ بعمله وكسبه، ومجرد من كل عون إلا شفاعة الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية.

و"جاءت الشريعة الإسلامية بمقاصدها، فجعلت من حفظ الدين إنَّ يربط الإنسان برابطة عاطفية بأفراد مجتمعه جماعته، وهي أرقى العواطف أقواها وهي رابطة الأخوة"^(٢). فيرتبط الفرد بعلاقة روحية مع الآخرين تربطهم رابطة الإيمان ومقتضياته.

(١) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٣٥.

(٢) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، دراسة تحليلية، ص ٥٨.

- انتماء الفرد إلى أمة ومجتمع يتميز بالوسطية في كل أموره، إذ أنها توفر له انتماءً إلهياً يحقق له المساواة مع الآخرين في تقرير مستقبله ومصيره. فتبني شخصية الإنسان المسلم على تركية نفسه بالوسطية التي تلائم الأمة الإسلامية^(١).

فالأمة التي تتبع منهج الإسلام وهومنهج الاعتدال هي الأمة المهدية التي تسير بحسب السلوك السوي والعمل الصالح وتعمل به. فلا بد من إسقاط أفضة القوة والزهو، فالجميع سيقف أمام خالق واحد، وهذا منتهى العدل الإلهي لسلوك المؤمنين^(٢). فتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر تحقق له الانتماء إلى مجتمع قويم.

الهدف الرئيس الثاني: إقامة حضارة إنسانية رصينة

من بين الأهداف الرئيسة الذي يتبناها المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، هدف "إقامة حضارة إنسانية رصينة"، لتحقيق الهدف الأكبر وهو استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم وإقامة حكم الله في الأرض، ويكون الدين في الأرض لله، في مختلف أنحاء المعمورة وعلى مدار الحياة النيا لغاية نهايتها بقيام الساعة.

إنّ عالمية رسالة الإسلام ومشروعها الدعوي الخاتمي، ومنهجها التزكوي الشامل، يفرض إنّ تكون الأهداف على مستوى عالمي، لكي تحقق الشهود الإنساني الحضاري. وقد كتب الله تعالى للأمة الإسلامية إنّ تكون حاملة للرسالة الأخيرة، التي سنظل باقية في الأرض إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾. كما إنّ التوجيهات القرآنية حددت المهمة التي خلق الإنسان للنهوض بها في هذه الحياة، والقرآن الكريم "يكرر على مسامع المسلمين كلهم سبل تسخير

(١) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، دراسة تحليلية، ص ٥٤.

(٢) الداود، وجدان محمد نصر، تربية النفس الإنسانية عند الشيخ الشعراوي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، ٢٠١٥، ص ٢٠٦.

الله الكون لعباده، ويبين لهم الطرق الكفيلة بجعل قيادة الدنيا في أيديهم، كما يظلّ يعرفهم على المنزقات السلوكية التي تعرّضهم للضياح، وتقصّيمهم عن مستوى القيادة في عمارة الأرض، ثم يحذّرهم من الاتجاه إليها، ويهدّدهم إنّ هم تساهلوا فأنحرفوا عن الجادة بالوقوع في مغبّتها وسوء عقابها^(١).
 إن محور الدين الذي ألزم الله به عباده بما فيه نُسك وعبادات، إنّما هو تزكية النفس البشرية، وتطهيرها ممّا قد يعلق بها عادة من الأردن، والأوضار، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤). وليست تزكية النفس بدورها إلا الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجدّ، فبمقدار ما تتزكى النفس وتصفو من كدورات الأهواء والرعونات، يُخلص صاحبها في تحمل كل ما يجب إن يتحمّله في سبيل بني جنسه من المهام والواجبات المختلفة. وبمقدار ما تنطوي تلك النفس على شوائبها ورعوناتها، يغدو صاحبها مجرد أداة للإفساد في الأرض، ولإهلاك الحرث والنّسل، ابتغاء مصالحة وأهوائه الشخصية^(٢).

فالوظيفة التي يحمّلها القرآن للإنسان في الحقيقة، إنّما هي عمارة الأرض، بمعناها العام الشامل، وهي تشمل إقامة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهرًا لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض. وينص القرآن الكريم على هذه الوظيفة في أكثر من موضع، فيقول الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١). أي كلفكم بعمارته. ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠). أي خليفة يحكم بالعدل بين خلقه^(٣).

إنّ المهمة الأساسية التي كُلف بها الإنسان في حياته الدنيوية، هي تحقيق جامعة إنسانية فعّالة، في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ١٢.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٢٤.

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٢٤-٢٥.

(العمارة) من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية. وإن نهوض الإنسان بهذه المهمة متوقفاً على تسامي نفسه وعلى تخلصها من عكر الآفات الأخلاقية وسموم الكبر والأنانية، لذلك رسم الله لهذا المخلوق السُّبُلَ التربوية والرياضية، بما ألزمه به من المبادئ الاعتقادية، وسلَّكه فيه من أنواع النُّسك والعبادات والفضائل الاخلاقية. وينبغي على الإنسان إن يجعل حياته كلها، لوجه الله تعالى، ويسخر جميع الأمور في سبيل مرضاة الله عز وجل ، ابتغاءً للدار الآخرة دون سواها. فقال تعالى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (القصص: ٧٧). ويعلم أصحاب الحضارة القرآنية حقيقة الحياة الدنيا الفانية، فكانت نظرتهم لها نظرة استهانة في سبيل عواقبها وآثارها، وتسخيرها من أجل الهدف الأكبر الذي تم اليقين به. لقد فهموا الحياة كما جاءت في القرآن الكريم جسراً إلى غاية، ووسيلة إلى هدف^(١).

إنَّ رجل الحضارة الذي يصوغه القرآن الكريم، يقبل على الحياة إقبال العارف بها، المستأنس لها، مهما كانت حاله وظروفه فلم يكن يتبرم بها لضيق ألمِّ به، ولم يكن ينتشي بها أو يلهث وراءها للذة نالته منها^(٢). فالمنهج القرآني يشكل بصيرة للنفس من خلال المعرفة الحقيقية للعلاقة بين الإنسان والحياة والكون، التي تشكل عناصر مهمة في تكوين الحضارات.

وإنَّ التزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسية، مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري. فالإصلاح في الواقع الإنساني لا معنى له إلا إذا تعلَّق بالإنسان، واستهدَفَ ترقيته في مراتب التزكية^(٣).

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ٢٥-٢٦.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ٦٨.

(٣) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد، التركيز، العمران، ص ١٨-١٩.

ويُعد هدف "إقامة حضارة إنسانية رصينة" من أهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وذلك للأسباب الآتية:

- إن الاعتقاد باليوم الآخر حافز على الخير في الحياة الدنيا. والحافز على إصلاحها وإنمائها، من أجل تحقيق حياة لائقة بالإنسان الذي كرمه الله تعالى على كثير من خلقه. وتمضي الحياة على سنتها في طريق الخير ومن ثم تصلح هذه الأرض لحياة البشر. وهكذا ترتبط الدنيا بالآخرة، والمبدأ بالمصير، والعمل بالجزاء، والتي تشعر الإنسان أنه لم يخلق عبثاً، ولن يترك سدى، وأن العدالة المطلقة في انتظاره، ليطمئن قلبه ويفيء إلى العمل الصالح.
- واليقين بالآخرة، يشعر الإنسان إن حياته على الأرض ذات قيمة في الحياة الإنسانية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤) فالآيات ربطت جزاء الفلاح وهو غاية الجزاء على القيام بواجب المؤمن الفاعل في التغيير وذلك بقوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
- إن الإيمان باليوم الآخر يرسم صورة مشرقة مضيئة من البشر، صورة القلب الخائف الوجل الذي يذكر الله ولا ينساه في السراء والضراء، والذي يعيش حياته على الأرض في حذر من الآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِلَةٍ لَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٩). هذه الحساسية المرهفة والرقابة اليقظة وهذا الصفاء يفتح البصيرة، وتمنح القلب نعمة الرؤية^(١). هذا الخوف من الآخرة يشكل حياة الإنسان على الأرض، ليرسم الصورة المضيئة للبشرية كلها، ويرسم علاقة الإنسان والحياة والكون، مع الخالق عز وجل، وهذا هو المنهج الذي يبني الحضارة الإنسانية التي أرادها الله عز وجل ليستمر حكم الله في الأرض.

(١) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٢١.

المبحث الثاني

قواعد تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

إن المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، منهج شامل وبناء شامل يقوم على أسس وقواعد، وهذه القواعد هي أسس لتزكية النفس التي بها تُتقن، وبدونها يكون الخل. وتحاول الباحثة في هذا الجزء من الدراسة تحديد أبرز القواعد التي يتشكل منها المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، والتي تمثل في جوهرها معالم هذا المنهج المستمد من آيات القرآن الكريم المتعلقة باليوم الآخر.

ولا بُدَّ من التأكيد على أنّ هذه الخطوة في دراسة القواعد هي خطوة على درجة كبيرة من الأهمية، لكونها تمثل الأساس الذي يُبنى عليه هذا المنهج في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وقد اجتهدت الباحثة، وبعد نظر وتأمّل في نصوص القرآن الكريم وشروحاتها. والأدب النظري المتعلق بالموضوع، في تحديد جملة من قواعد تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ويتم تقديمها على النحو الآتي:

القاعدة الأولى: الوحي الإلهي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية المصدر الرئيس

للتوجيهات التزكوية الرشيدة، الموصلة للفوز باليوم الآخر:

والمراد بهذه القاعدة إنّ عملية تزكية النفس والتوصل بها إلى الكمال، يجب إنّ تكون مرجعيتها القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه لا سبيل إلى النفس وإصلاحها إلا عن طريق الانقياد والتسليم لما جاء به الوحي الإلهي، فالذي خلق النفس وسواها هو أعلم بما يصلحها ويزكيها، وهو أعلم بكيفية جزائها على ذلك يوم القيامة.

فعملية التزقي بالنفس وإصلاحها وتزكيته على هذا الأساس، تكون عملية مباشرة أصيلة مستمدة من نبعها القرآني الأصيل، ومما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف الامة.

لذلك "إن العبادة والزهد وترقيق القلوب وتزكية النفوس وتطهيرها من الأمراض ومعالجتها من الأهواء: يجب فيها اتباع الصحابة رضي الله عنهم، فهم أعراف الناس وأفقههم بالقرآن والسنة"^(١). ولا تزال السنة النبوية مصدراً أساسياً في تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس، وفي صقل القلوب وتجليه مرآة النفوس، وما جاء في كتب الحديث والسيرة من أفعال وهيئات، وأمور محسوسة كقيام وقعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وغزوات ومعاملات مع الصديق والعدو، وأحكام وتشريعات. وكيفيات باطنية كانت تصاحب هذه الأفعال وهيئات عند الأداء، وتقصد من وراء هذه التشريعات الاخلاص والاحتساب، والصبر والتوكل، والخشوع، والزهد في زخارف الحياة وإيثار الآخرة على العاجلة، والشوق إلى لقاء الله، واعتدال الفطرة، ونبذ العواطف، والإنسانية الرقيقة الكريمة^(٢).

ومن الآيات الدالة على هذه القاعدة ما يأتي:

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

يقول ابن عاشور في تفسيره: "﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ هو من جملة الموحى به إليه.

أي يوحى إلي بوحدانية الإله وبالإثبات البعث وبالأعمال الصالحة. فجاء النظم بطريقة بدیعة في

(١) ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، فصل في تزكية النفس، اعتنى به: فواز محمد العوضي، الكويت، مكتبة النهج الواضح، ط ١، ٢٠١٨م، ص ٤.

(٢) أبو الحسن النووي، علي الحسني، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ص ١٣٦ - ١٣٧.

إفادة الأصول الثلاثة؛ إذ جعل التوحيد أصلاً لها فرع عليه الأصلان الآخريان، وأكد الأخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى^(١).

فالعَمَلُ الصَّالِحُ هو العمل الموافق للسنة، لأنَّ من شروط قبول العمل متابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم الشرك هو الإخلاص^(٢).

ونلاحظ الارتباط بين العمل الصالح الذي هو أساس تزكية النفس بالتوحيد وإثبات البعث ولقاء الله عز وجل في اليوم الآخر. وكل ذلك باتباع التعاليم الموحى بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة على أن الالتزام بطاعة الله عز وجل وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر رئيس لتزكية النفس:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا] (النساء: ٦٩ - ٧٠).

قال ابن عاشور: " ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ ﴾ من يتصف بتمام معنى الطاعة. أي ألا يعصي الله ورسوله. ودلت ﴿ مَعَ ﴾ على أن مكانة مدخولها أرسخ وأعرف، وفي الحديث الصحيح "أنت مع من أحببت". والصدِّيقون هم الذين صدقوا الأنبياء ابتداءً. مثل الحواريين والسابقين الأولين من المؤمنين. وأما الشهداء فهم من قُتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله. والصالِحون الذين لزمتهم الاستقامة. و ﴿ وَحَسُنَ ﴾ فعل مراد به المدح ملحق بنعم ومضمن معنى التعجيب من حسنهم. والتذييل بقوله:

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١٤٨.

(٢) فريد، أحمد، تزكية النفوس، الاسكندرية، دار العقيدة للتراث، د.ط، ١٩٩٣، م.ك، ص ٦.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ للإشارة إلى إن الذين تلبسوا بهذه المنقبة، وإن لم يعلمهم الناس، فإن الله يعلمهم والجزاء بيده فهو يوفيهم الجزاء على قدر ما علم منهم^(١).

ويظهر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ إن المرجعية الأصلية التي هي سبب الفوز بنعيم الله عز وجل في الآخرة هي الطاعة لله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم. فالتزام الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين لزمتهم الاستقامة بأمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم كانت سبب تزكيتهم وصلاحهم.

والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والسير على منهجه سبب في تزكية النفس، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). يقول ابن عاشور: "أقبل الكلام على خطاب المؤمنين في عموم جماعتهم ثناء على ثباتهم وتأسيسهم بالرسول صلى الله عليه وسلم على تفاوت درجاتهم في ذلك الانتساء. فالكلام خبر ولكن اقتترانه بحرفي التوكيد في ﴿لَقَدْ﴾ يومئ إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالإسوة الحسنة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض فلذلك أتى بالضمير مجملاً ابتداء من قوله: ﴿لَكُمْ﴾، ثم فصل بالبدل منه بقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ توكيد لللام التي في المبدل منه. والإسوة بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به، أي: يقتدى به ويعمل مثل عمله. وحق الأسوة إن يكون المؤتسى به هو القدوة ولذلك فحرف ﴿فِي﴾ جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة، فالأصل: رسول الله إسوة، فقيل: في رسول الله إسوة. وجعل مُتعلق الانتساء ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم دون وصف خاص ليشمل الانتساء به في أقواله بامتنال أوامره واجتناب ما ينهي عنه، والانتساء

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ١٨٢.

بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات... فالذين اتسوا بالرسول صلى الله عليه وسلم يومئذ ثبت لهم أنهم ممن يرجون الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً^(١).

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به دليل على صدق محبة الله تعالى؛ لأنّ الاتباع والافتداء به صلى الله عليه وسلم والسير على منهجه القويم هو عين التزكية. فالذي يريد التزكية لنفسه وجب الاتباع والافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم^(٢).

ويشير ابن عاشور على دلالة الآية: "على فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه الإسوة الحسنة لا محالة"^(٣). فالافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم بامتنال أوامره واجتناب ما ينهي عنه والانتساء به في كل أقواله وأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات، هو عين التزكية.

ومن الأدلة على التوجيهات الإلهية لتزكية النفس وإصلاحها من خلال الوحي بالرجوع إلى الله عز وجل، وأنها سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ (التحرير: ٨).

ويشير ابن عاشور في تفسير هذه الآية أنها أمر للمؤمنين بالتوبة من الذنوب إذا تلبسوا بها لأنّ ذلك من إصلاح أنفسهم. "وتكفير السيئات: غفرانها.... وقوله ﴿يَوْمَ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿يَأْتِيهَا﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ ﴿وهو تعليق تخلص إلى الثناء على الرسول صلى الله عليه

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) البدر، عبد الرزاق، عشر قواعد في تزكية النفس، د.ن، مكتبة اتقان، ط ١، ٢٠١٨، ص ٢٢.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٢٤.

وسلم والمؤمنين معه. وهو يوم القيامة وهذا الثناء عليهم بانتفاء خزي الله عنهم، تعريض بأن الذين لم يؤمنوا معه يخزيهم الله يوم القيامة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع الذين آمنوا لتشريف المؤمنين ولا علاقة له بالتعريض. والخزي: هو عذاب النار^(١).

وقد ناداهم سبحانه وتعالى في هذا النداء الأخير ليأمرهم بالتوبة إليه سبحانه وتعالى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: ارجعوا إليه بذكره وشكره وحسن عبادته رجوعاً صادقاً تزكياً بها نفوسهم وتطهراً أرواحهم، حتى يتأهلون للنزول بدار السلام حيث النبيون والصديقون والصالحون^(٢).

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخَشَّ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥٢). وقال ابن عاشور: "الواو اعتراضية أو عاطفة على جملة (وأولئك هم المفلحون). والتقدير: وهم الفائزون. فجاء نظم الكلام على هذا الإطناب ليحصل تعميم الحكم والمحكوم عليه. وموقع هذه الجملة موقع تذييل لأنها تعم ما ذكر قبلها من قول المؤمنين قَالَ تَعَالَى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وتشمل غيره من الطاعات بالقول والفعل، ومن شرطية عامة، وجملة ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ جواب الشرط، والفوز: الظفر بالمطلوب. والطاعة: امتثال الأوامر واجتتاب النواهي. والخشية: الخوف. وهي تتعلق بالخصوص بما عسى إن يكون قد فرط فيه من التكليف على إنها تعمم التقصير كله، والتقوى: الحذر من مخالفة التكليف في المستقبل. فجمعت الآية أسباب الفوز

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٣٢٩-٣٣١.

(٢) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ٢٠٠١، م.ك، ص ٢٤٥.

في الآخرة وأيضاً في الدنيا وصيغة الحسر للتعريض بالذين أعرضوا إذا دعوا إلى الله ورسوله وهي على وزن صيغة القصر التي تقدمتها^(١).

ويلاحظ إنّ عملية تزكية النفس وخشيتها وتقواها لله عز وجل نابع من الامتثال والطاعة لأوامر الله عز وجل ممّا جاء به في الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: عملية التزكية مستقبلية الأجر والجزاء في اليوم الآخر المتحقق لا

محالة

بمعنى إنّ وقوع الجزاء المؤجل في اليوم الآخر على تزكية النفس هو أمر واقع ومتحقق لا محالة، وأنه وعد حق من الله عز وجل. وينبغي الإشارة إلى إنّ هذه القاعدة لا تفيد الحصر بالآخرة فقط.

إن تحقيق الجزاء الأكمل يكون في اليوم الآخر (يوم الخلود)، فالجزاء المؤجل بالثواب أو العقاب يكون في مرحلة ما بعد الموت وهي فترة البرزخ. ومرحلة ما بعد البعث ويكون ذلك يوم الحساب، ويتم فيه من الجزاء بالثواب والعقاب أنواع مختلفة، مثل: الاستئصال بظل العرش، والمرور على الصراط المستقيم، ودينو الشمس على أهل الذنوب، وطول انتظار الحساب إلى غير ذلك. والمرحلة الأخيرة التي يتم فيها الثواب الأكبر بدخول أهل الجنة الجنة، والعقاب الأكبر بدخول أهل النار النار^(٢).

وإن الجزاء المؤجل على تزكية النفس في اليوم الآخر أمر واقع لا محالة، وأنّ هناك ثلاث حالات في نفوذ الجزاء المترتب على السلوك، وهي^(٣):

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٦١٠-٦١١.

(٣) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤٢٣-٤٢٤.

الحالة الأولى: تحقق أمر الثواب على تزكية النفس وصلاحها وذلك للمؤمنين، وهذا أمر لا محالة منه، ودلالة ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢).

الحالة الثانية: تحقق أمر العقاب على تدسية النفس وكفرها وذلك للكافرين، وهذا أمر محقق لا محالة منه، ومن الدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (البقرة: ١٦١ - ١٦٢).

الحالة الثالثة: تعليق أمر العقاب على السلوك السيء الصادر عن المؤمنين غير الشرك. وهؤلاء الذين فعلوا سلوكيات سيئة تصل لحد الكبيرة، فعقابهم معلق على مشيئة الله، إن شاء عاقبهم وإن شاء عفا عنهم. ودليل ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تُسرفوا، ولا تُزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تغطوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك) (١).

ومن الأدلة على إن عملية التزكية مستقبلية الأجر والجزاء:

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، باب علامة الإيمان حب الأنصار، حديث رقم ١٧.

- قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴿١٦﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً ﴿١٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٨﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٩﴾ فُطُوهُمُا دَانِيَةً ﴿٢٠﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحاقة: ١٩-٢٤)، فالجزء على تزكية الإنسان لنفسه متحقق في الآخرة لا محالة.

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآيات: 'فإيتاء الكتاب هو إيقاف كل واحد على صحيفة أعماله... وإيتاء الكتاب باليمين علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير، والخطاب في قوله ﴿ هَؤُومٌ ﴾ للصالحين من أهل المحشر، وقوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً ﴾ والمعنى: أي علمت في الدنيا أنني ألقى الحساب، أي آمنت بالبعث. وهذا الخبر مستعمل كناية عن استعدادده للحساب بتقديم الإيمان والأعمال الصالحة مما كان سبب سعادته. وجملة (إني ظننت إني ملاقي حسابيه) في موقع التعليل للفرح والبهجة التي دل عليها قوله: ﴿ هَؤُومٌ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴾ ووصف ﴿ عِيشَةٍ ﴾ بـ ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ مجاز عقلي لملازمة العيشة حالة صاحبها، والعيشة ليست راضية ولكنها لحسنها رضي صاحبها، فوصفها بـ ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ من إسناد الوصف إلى غير ما هو له، وهو من المبالغة لأنه يدل على شدة الرضا بسببها حتى سرى إليها، وجملة (في جنة عالية) والعلو: الارتفاع وهو من محاسن الجنات لأن صاحبها يشرف جهات من متسع النظر، ولأنه يبدو له كثير من محاسن جنته حين ينظر إليها من أعلاه أو وسطها مما لا يلوح لنظره لو كانت جنته في أرض منبسطة، وذلك من زيادة البهجة والمسرة، لأن جمال المناظر من مسرات النفس من النعم" (١).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٢٠-١٢٣.

وجملة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فهو "خطاب لجميع الفريق بعد حلولهم في الجنة، و ﴿بِمَا

أَسْلَفْتُمْ﴾ في موضع الحال من ضمير (كلوا واشربوا) والباء للسببية. وما صِدْقُ (ما) الموصولة هو

العمل، أي الصالح. والإسلاف: جعل الشيء سلفاً، أي سابقاً. والمراد أنه مقدم سابق لإبانه لينتفع به

عند الحاجة إليه، ومنه اشتق السلف للغرض، و ﴿الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية البعيدة^(١).

• قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ

عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧). يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "وهو كفرهم بإنكارهم

البعث والجزاء، والمراد بالذين كفروا هنا المشركون من أهل مكة ومن على دينهم. واجتلاب

حرف (لن) لتأكيد النفي فكانوا موقنين بانتفاء البعث، ولذلك جيء بإبطال زعمهم مؤكداً بالقسم

لينقض نفيهم بأشد منه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغهم عن الله إن البعث واقع

وخطبهم بذلك تسجيلاً عليهم إن لا يقولوا ما بلغناه ذلك. وجملة ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ للتراخي

الرتبي فإن إنباءهم بما عملوا أهم من إثبات البعث؛ إذ هو العلة للبعث. والإنباء: الإخبار،

وإنباؤهم بما عملوا كناية عن محاسبتهم عليه وجزاؤهم عما عملوه، فإن الجزاء يستلزم علم

المجازى بعمله الذي جُوزي عليه فكان حصول الجزاء بمنزلة إخباره بما عمله... وهذا وعيد

وتهديد بجزاء سيئ لأنَّ المقام دليل على إنَّ عملهم سيئٌ وهو تكذيب الرسول صلى الله عليه

وسلم وإنكار ما دعاهم إليه. وجملة (وذلك على الله يسير) تذييل، والواو اعتراضية. واسم

الإشارة إما عائد إلى البعث المفهوم من (لتبعثن)، وإما عائد إلى معنى المذكور من مجموع

(لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم). وأخبر عنه ب (يسير) دون إنَّ يقال: واقع، لأنَّ الكلام لرد

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٢٤-١٢٥.

إحالتهم البعث بعلّة إنّ أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها فذكروا بأن العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله^(١). ويظهر في الآية الكريمة الدلالة على المحاسبة والجزاء على الأعمال في الآخرة، وهذا الوعيد والتهديد لأهل الكفر بجزاء سيئ أعمالهم. ويظهر من ذلك الدلالة على قاعدة التزكية مستقبلية الجزاء فمن قصر في تزكية نفسه يجازى يوم القيامة.

- قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَبُ وَأَكْبَىٰ ۗ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَ ۗ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ فُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۗ ﴾ (الحاقة: ١٩-٢٤). يقول الألوسي موضحاً دلالة النص: "بما أسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية أي الماضية، وهي أيام الدنيا. وقيل أي الخالية من اللذائذ أي الحقيقية وهي أيام الدنيا أيضاً. وقيل أي التي أخليتموها من الشهوات النفسانية"^(٢). ويظهر من الآيات إنّ الجزاء مستقبلي في الآخرة يكون مقابل الأعمال الصالحة في الدنيا.

- قال الله تعالى في تحقيق الجزاء في الآخرة لا محالة: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الانعام: ١٣٤). يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ ﴾ (الانعام: ١٣٣) فإنّ المشيئة تشمل على الحالين: حال ترك إهلاكهم، وحال إيقاعه، فأفادت هذه الجملة إنّ مشيئة الله تعلقت بإيقاع ما أوعدهم به من الإذهاب، ولك إنّ تجعل الجملة استئنافاً بيانياً: جواباً عن إنّ يقول

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، م.ك، ج ١٥، ص ٥٤.

سائل من المشركين، متروكاً بالوعيد: إذا كنا قد أمهلنا وأُخر عنا الاستئصال فقد أفلتنا من الوعيد، ولعله يلقاه أقوام بعدنا، فورد قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ مورد الجواب عن هذا السؤال الناشئ عن الكلام السابق بتحقيق إنَّ ما أُوعد به المشركون واقع لا محالة وإن تأخر... وقول: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي بمفليتين من وعدي، أو بخارجين عن قدرتي^(١). وتشير الآية الكريمة إلى تحقيق الوعد في الآخرة وأنه واقع لا محالة وإن تأخر إلى يوم القيامة.

القاعدة الثالثة: جزاء تزكية النفس في الآخرة مصدره رباني وأساسه العدل

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر والحياة الآخرة، الإيمان بوجود جزاء إلهي يستحقه الإنسان على سلوكه في الحياة الدنيا. ومن أهم خصائص هذا الجزاء وقوعه وفق مبدأ العدل الإلهي. ويكون العدل في الجزاء يوم القيامة باستيفاء الأجر كاملاً على الأعمال الصالحة، وإن كانت مثقال ذرة من خير، ولا يترك أي عمل سيئ وإن كان مثقال ذرة. ولكن عند الجزاء يكون الثواب فضلاً منه، ويكون العقاب عدلاً أو عفواً أو تخفيفاً^(٢).

ومن الأدلة القرآنية على إنَّ الجزاء الإلهي أساسه العدل:

- قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧). فالجزاء الإلهي أساسه القسط أي العدل.

يقول ابن عاشور: "فيه بيان أنهم مجازون على جميع ما أسلفوه من الكفر وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم بياناً بطريق ذكر العموم بعد الخصوص في المجازيين، فشابه التذليل من أجل

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٦٦-٦٧.

(٢) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤١١.

عموم قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، وفي المجازى عليه من أجل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾، وفيه التفات لمناسبة الجزاء للأعمال كما يقال: أدى إليه الكيل صاعاً بصاع، ولذلك فرع عليه^(١). قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، "وقد اختلف علماء السلف في المراد من الموازين هنا: أهو الحقيقة أم المجاز، فذهب الجمهور إلى أنه حقيقة وأن الله يجعل في يوم الحشر موازين لوزن أعمال العباد تشبه الميزان المتعارف، وذهب مجاهد وقتادة والضحاك وروي عن ابن عباس أيضاً إن الميزان الواقع في القرآن مَثَلٌ للعدل في الجزاء كقوله: ﴿وَالْوِزْنَ يُؤَمِّدُ الْحَقُّ﴾ في سورة الأعراف، ومال إليه الطبري. وقال في الكشاف: "الموازين الحساب السوي والجزاء على الأعمال بالنصفة من غير إن يظلم أحد" أي فهو مستعار للعدل في الجزاء لمشابهته للميزان في ضبط العدل في المعاملة، واللام في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ تحتل إن تكون للعلة مع تقدير المضاف، أي لأجل يوم القيامة، أي الجزاء في يوم القيامة^(٢). ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: "أنه إن كان لنفس مثقال حبة من خردل من خير أو شر يؤت بها في ميزان أعمالها ويجاز عليها"^(٣).

- وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(يس: ٥٤). فالجزاء يوم القيامة على الأعمال يكون بالعدل.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٥٩.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٠-٦٢.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٣.

أورد ابن عاشور في تفسيره للآية فقال: "و(اليوم) ظرف وتعريفه للعهد، وهو عهد حضور يعني يوم الجزاء. وفائدة ذكر التنويه بذلك اليوم بأنه يوم العدل. وأشعر، قوله تعالى: ﴿لَا تُظَاهِرُ نَفْسُ شَيْئًا﴾ بالتعريض بأنهم سيلقون جزاء قاسياً لكنه عادل لا ظلم فيه؛ لأن نفي الظلم يشعر بأن الجزاء مما يخال أنه متجاوز معادلة الجريمة، وهو معنى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي إلا على وفاق ما كنتم تعملون وعلى مقداره. وانتصب ﴿شَيْئًا﴾ على المفعول المطلق، أي شيئاً من الظلم. ووقع ﴿نَفْسٌ﴾ و ﴿شَيْئًا﴾ وهما نكرتان في سياق النفي يعم انتفاء كل ذلك عن كل نفس وانتفاء كل شيء من حقيقة الظلم وذلك يعم جميع الأنفس... ولكن المقصود أنفس المعاقبين، أي إنّ جزاءهم على حسب سيئاتهم جزاء عادل" (١).

القاعدة الرابعة: النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها والجزاء عليه.

تأتي هذه القاعدة لكون النفس الإنسانية هي المسؤول الرئيس يوم القيامة عن أفعالها في الدنيا. وأن الدار الآخرة هي دار مسؤولية وجزاء، فجزاؤها إما إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وإما إلى جهنم وسوء المصير.

وبفرض الإيمان باليوم الآخر والعدالة الإلهية إنّ ترهن الثواب والعقاب مقابل سلوك النفس وما قدمته في الحياة الدنيا. وبذلك يشعر الإنسان بأنه مسؤول عن أعماله، وعليه إنّ يؤدي ما عليه من واجبات وطاعات، ويتعد عن كل المحرمات والردائل، بمعنى إنّ يقوم بتزكية ذاته.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٢٤٨.

"إن مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا قد يستطيع الإفلات منها بطريقة ما، ولكن المسؤولية في الدار الآخرة لا يمكن بحال إلا إن تكون سيفاً بتاراً على أعناق الظالمين والطغاة"^(١).

"علاقة الإنسان بالآخرة هي علاقة مسؤولية وجزاء، فإذا انتهت مدة الحياة المقررة لابتناء الإنسان طويت قاعة الامتحان - أو الأرض - وحل محلها عالم الآخرة. والآخرة هي المستقر النهائي الأبدي بعد رحلة الإنسان خلال الأطوار المختلفة. وأما المسؤولية فمعناها إن كل إنسان سوف يُسأل عن تفاصيل ما ابتلي به في قاعة الحياة الدنيا. وفي ضوء نجاحه أو فشله في هذه المسؤولية سوف يتقرر جزاؤه ومستقره؛ فإما النعيم الدائم في الجنة، وإما الشقاء الدائم في النار"^(٢). ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَوَرِيكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر: ٩٢-٩٣) والمقصود بالقسم في تفسير ابن عاشور هو: "تأكيد الخبر الذي فيه تهديد ﴿لَنَسْتَلَنَّهٗمْ﴾ وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، والسؤال مستعمل في لازم معناه وهو عقاب المسؤول، فهو وعيد للفريقين"^(٣).

ومن الأدلة على إن النفس الإنسانية هي المسؤولة والمحاسبة عن تزكية ذاتها:

- قوله تعالى: ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبْرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٣-١٥).

(١) بن حميد، الشيخ صالح بن عبدالله، نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، جدة، دار الوسيلة، ط٤، د.ت.، ص٤.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٩٧.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ٦٩-٧٠.

يقول ابن عاشور في دلالة النص: "إنَّ كلَّ إنسانٍ يعاملُ بعمله من خيرٍ أو شرٍّ لا ينقصُ

منه شيءٌ. وهذا غيرُ كتابةِ الأعمالِ التي ستذكرُ عقبَ هذا بقوله تعالى: ﴿وَمُخْرَجٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كِتَابًا﴾ وعطفُ هذه الجملة، إخبارٌ عن كونِ تلكِ الأعمالِ المعبرِ عنها بالطائرِ تظهرُ يومَ القيامةِ

مفصلةً معينةً لا تغادرُ منها صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا أحصيتُ للجزاءِ عليها، ونشرُ الكتابِ إظهاره ليقراً^(١).

و"جملةٌ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ واقعةٌ موقعُ التعليلِ لمضمونِ جملةٍ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا

يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لما في هذه من عمومِ الحكمِ فإنَّ عملَ أحدٍ لا يلحقُ نفسه ولا ضره بغيره"^(٢). وقد روعي

فيها، "إبطالُ أوهامِ قومٍ يظنونُ إنَّ أوزارهم يحملها عنهم غيرهم. وقد روي إنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ وهو

من أئمةِ الكفرِ كان يقولُ لقريشٍ: (اكْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ أَوْزَارِكُمْ)، أي تبعاتكم ومؤاخذتكم بتكذيبه إنَّ

كان فيه تبعه. ولعله قال ذلك لما رأى ترددهم في أمرِ الإسلامِ وميلهم إلى النظرِ في أدلةِ القرآنِ

خشيةَ الجزاءِ يومَ البعثِ، فأراد التمويه عليهم بأنه يتحملُ ذنوبهم إنَّ تبينَ إنَّ محمداً على حقٍّ، وكان

ذلك قد يروجُ على دهمائهم لأنهم اعتادوا بالحملاتِ والكفالاتِ والرهائنِ، فبين الله للناسِ إبطالَ ذلك

إنفاذاً لهم من الاغترارِ به الذي يهوي بهم إلى المهالكِ مع ما في هذا البيانِ من تعليمِ عظيمٍ في

الدين"^(٣). وهو ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فكانت هذه الآيةُ أصلاً عظيماً في الشريعةِ.

- وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾

(الفرقان: ٧٥). فالجزاءُ بالغرفِ في الجنةِ كان مقابلَ صبرِ النفسِ وصلاحها.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٣٩-٤٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٤١.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٤١.

ويقول ابن عاشور في تفسيره للآية: "التصدير باسم الإشارة للتنبيه على إن ما يرد بعده كانوا أحرىء به لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة وتلك مجموع إحدى عشرة خصلة، وهي: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، وترك الإقتار، والنتزه عن الشرك، وترك الزنا، وترك قتل النفس، والتوبة، وترك الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول دعوة الحق، وإظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء. و(الغرفة): البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعز منزلاً من البيت الأرضي، والمعنى: يجزون الغرف، أي من الجنة، والباء للسببية، و(ما) مصدرية في قوله ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، أي بصبرهم وهو صبرهم على ما لقوا من المشركين من أذى، وصبرهم على كبح شهواتهم لأجل إقامة شرائع الإسلام، وصبرهم على مشقة الطاعات، وقوله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ وقد استعير اللقي لسماع التحية والسلام، أي أنهم يسمعون ذلك في الجنة من غير إن يدخلوا على بأس أو يدخل عليهم بأس بل هم مصادفون تحية إكرام مثل تحيات العظماء والملوك التي يرتلها الشعراء المنشدون"^(١).

ويظهر كلام ابن عاشور إن استحقاق الجزاء بالغرف في الجنة، كان مقابل صفات التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، وترك الاقتداء، والنتزه عن الشرك، وترك الزنا، وترك قتل النفس، والتوبة، وترك الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول دعوة الحق، وإظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء، والصبر على مجاهدة النفس بتزكية الذات بكل هذه الأمور.

- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلًا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ ۚ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ١٠٢-١٠٣.

يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (فاطر: ١٨). فتزكية النفس وصلاحها تعود عليها

بالنفع ونيل رضا الله والفوز بجناته.

قال الطبري: "وقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل أئمةً إنتم

أخرى غيرها. ﴿وَأَنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ وإن تسأل ذات

ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل شيئاً منها ولو كان الذي سألته

ذا قرية من أب أو أخ، وقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ ذكره لنبيه محمد صلى

الله عليه وسلم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك،

ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون

بمواظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، كما حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال:

حدثنا سعيد، عن قتادة قول: (إننا تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أي: يخشون النار، وقوله ﴿وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم، وقوله ﴿وَمَنْ تَزَكَّى

فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ أي: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به،

والعمل بطاعته، فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجناته، والنجاة من عقابه

الذي أعده لأهل الكفر به. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ أي: من يعمل صالحاً فإنما يعمل

لنفسه، وقوله ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم

وكافركم، وبركم وفاجرکم، وهو مُجازٍ جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه^(١). فالنفس تتحمل مسؤولية تزكية ذاتها.

ويقول ابن عاشور: إنّ من لم يأت من المسلمين وزراً لا يناله جزاء الوزار في الآخرة، وهو تأمين للمسلمين من تعميم العقاب في الآخرة، وأنه يوم القيامة لا تحمل حاملة عمل أخرى، أي لا يحتمل الله نفساً حملاً جعله لنفس أخرى عدلاً منه تعالى، لأنّ الله يحب العدل، وقد نفى عن شأنه الظلم وإن كان تصرفه إنما هو في مخلوقاته. وجرى وصف الوزرة على التأنيث؛ لأنه أريد به النفس، وفي الآيات إشارة إلى ما سيكون في الآخرة، أي لو استصرخت نفس من يحمل عنها شيئاً من أوزارها، كما كانوا يزعمون إنّ أصنامهم تشفع لهم أو غيرهم، لا تجد من يجيبها لذلك، ولو كان المدعو ذا قربي؛ لأنّ ذا القربى أرقّ وأشفق على قريبه فقد يظن أنه يغني عنه في الآخرة بأن يقاسمه الثقل الذي يؤدي به إلى العذاب فيخفف عنه العذاب بالاقتسام. وهذا إبطال لاعتقاد الفناء الذاتي بالتضامن والتحمل فقد كان المشركون يقيسون أمور الآخرة على أمر الدنيا فيعللون أنفسهم إذا هُددوا بالبعث بأنه إنّ صح فإنّ لهم يومئذ شفعاء وأنصاراً^(٢). ويظهر من كلام ابن عاشور تحمل النفس الإنسانية تبعات أعمالها يوم القيامة بصفة فردية يدل على قاعدة أنّ النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها.

- قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣) فأداء السلوك والقيام بالأعمال سبب في تحصيل الثواب أو العقاب العائد على النفس. وهذا يدل على قاعدة أنّ النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها.

(١) الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٠، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٢) ابن عاشور، محد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٤٣-١٤٥.

فالثواب لا يحصل بالمجان ولا بالأمانى، والعقاب لا يترك لمن يستحقه متواكلاً متمنياً الأمانى الباطلة"^(١). وهذا يدفع إلى الإنجاز والعطاء لا التكاثر ولا الإفساد والفساد.

يقول السعدي في تفسير للآية: "أي: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر والنجاة والتزكية ﴿بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ والأمانى: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى مجردة لو عورضت بمثلها لكانت من جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟! ولهذا فقال تعالى: ﴿لَيْسَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا﴾ وهذا شامل لجميع العاملين؛ لأنّ السوء شامل لأي ذنب كان من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضاً لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي"^(٢).

- قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ذلك بما قدّمت أيديكم وأرت الله ليس بظلام للعبيد ﴿ (آل عمران: ١٨١-١٨٢).

هذه الآية تدل على استحقاق العقوبة نتيجة وجود سلوك سيء ناتج عن النفس الإنسانية ذاتها ويعود عليها في الآخرة، فتتحمل نتيجة أعمالها.

وقد أورد ابن عاشور في دلالة هذه الآية: " ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ عطف أثر الكتب أي سيجازون عن ذلك بدون صفح، ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا﴾ وهو أمر الله بأن يدخلوا النار. والذوق حقيقته إدراك الطعوم، واستعمل هنا مجازاً مرسلأ في الإحساس بالعذاب، والإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾

(١) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤١٥.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٠٥.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴿لِلْعَذَابِ الْمَشَاهِدِ يَوْمئِذٍ، وفيه تهويل للعذاب، والباء للسببية على إنَّ هذا العذاب لعظم هوله مما يتساءل عن سببه. وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ على مجرور الباء، ليكون لهذا العذاب سببان: ما قدمته أيديهم، وعدل الله تعالى، فما قدمت أيديهم أوجب حصول العذاب، وعدل الله أوجب كون هذا العذاب في مقداره المشاهد من الشدة حتى لا يظنون إنَّ في شدته إفراطاً عليهم في التعذيب" (١).

- قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠). فدلالة النص إنَّ النفس ستجرى ما عملت فهي الحاضن الرئيس لتزكية ذاتها.

و"هنا تنبيه للمسلمين للإقبال على دعاء الله بأسمائه الدالة على عظيم صفات الإلهية... والمراد من ترك ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الإمساك عن الاسترسال في محاجتهم لظهور أنهم غير قاصدين معرفة الحق، أو ترك الإصفاء لكلامهم لئلا يفتنوا عامة المؤمنين بشبهاتهم، أي اتركوهم ولا تغلبوا أنفسكم في مجادلتهم فإني سأجزئهم، ومعنى الإلحاد في أسماء الله تعالى جعلها مظهراً من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته تعالى بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له وهو الأحق بكمال مدلولها، فلذلك فصلت، أي لا تهتموا بإلحادهم ولا تحزنوا له، لأنَّ الله سيجزئهم بسوء صنيعهم، وسُمِّي إلحادهم عملاً لأنه من أعمال قلوبهم وألسنتهم، وقيل ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ما موصولة عامة أي سيجزون بجميع ما يعملون من الكفر، ومن جملة ذلك إلحادهم في أسمائه، وما كانوا يعملون، دون ما عملوا أو ما يعملون للدلالة على إنَّ ذلك العمل سنة لهم وامتجد منهم" (٢).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٦٤-٣٦٥.

- قول الله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ

سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ (النجم: ٣٨ - ٤٠). فأعمال الإنسان وسعيه لتزكية نفسه، سيهاهدها

عند الحساب. وهذا يؤكد قاعدة أنّ النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها.

ويورد ابن عاشور في معنى قوله: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أي: "لا تحصل

لأحد فائدة عمل إلا عمله بنفسه، فلا يكون عمل غيره، ولام الاختصاص يرجح أنّ المراد ما سعا

من الأعمال الصالحة، وبذلك يكون ذكر هذا تنميماً لمعنى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ احتراساً

من أنّ يخطر بالبال أنّ المدفوع عن فاعله هو الوزر، وإنّ الخير ينال غير فاعله" (١).

ومعنى ﴿ وَأَنَّ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي: "يشاهد عند الحساب، كما في قوله تعالى:

﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ (الكهف: ٤٩)، فيجوز إنّ تجسم الأعمال فتصير مشاهدة وأمور الآخرة

مخالفة لمعتاد أمور الدنيا. ويجوز إنّ تجعل علامات على الأعمال يعلن بها عنها، ويجوز إنّ يكون

ذلك بإشهار العمل، فتكون الرؤية مستعادة للعلم لقصد تحقق العلم وإشهاره. وحكمة ذلك تشريف

المحسنين بحسن السمعة وانكسار المسيئين بسوء الأحدثه" (٢).

القاعدة الخامسة: تكامل العلاقة بين تزكية مكونات البنية النفسية (جوانب تزكية

النفس).

تعني هذه القاعدة إنّ تزكية المكون الفكري تقتضي تزكية المكون الوجداني، وتزكية المكونين

المتقدمين تستدعي تزكية المكون العملي.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٣٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٤٠.

إنَّ علم النفس البشرية واستحضارها لليوم الآخر وما فيه من الأحداث والجزاء، واليقين بذلك، يتبعه يقظة القلب في كثير أوقاته وتذكر الآخرة، فتتغلب النفس على الهوى، وتسيطر على الشهوات ووسوسة الشيطان.

وبذلك لا يجتمع التصديق الجازم واليقين بالمعاد، مع التخلف عن العمل. وإذا اجتمع هذان الأمران فإن سببه ضعف العلم ونقصان اليقين^(١). "وهل في الطباع البشرية إنَّ يعلم العبد أنه مطلوب غداً إلى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشد عقوبة، أو يكرمه أتم كرامة، ويبيت ساهياً غافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك، ولا يستعد له، ولا يأخذ له أهيته"^(٢).

فتزكية المكون الفكري، بالتفكير والتأمل في الأحداث والجزاء واليقين بذلك، يقتضي يقظة القلب واستشعاره وتذكره الآخرة (وهذا تزكية للمكون الوجداني)، مما يستدعي تزكية المكون العملي بتغلب النفس على الهوى، ووسوسة الشيطان، والسيطرة على الشهوات، فيصلح العمل.

ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل. فللنفس نجاسة كما إنَّ للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة^(٣)، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

فالتكامل بين تزكية جوانب النفس يحقق التزكية على الوجه المطلوب، فالعبادات الرئيسة في الإسلام (صلاة، صوم، زكاة، حج، تلاوة القرآن) منورة ومطهّرة بقدر ما تُلاحظ معانيها الباطنة. فهي تؤثر التأثير الكامل إذا كانت كاملة بحيث يرافق عمل الظاهر فيها عمل الباطن، كأن يرافق الصلاة

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المغرب، دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٣٧.

(٢) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٣٧.

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، القاهرة، دار السلام، د.ط، ٢٠٠٧م، ص ٨٦ - ٨٧.

الخشوع، والزكاة حُسن النية، وتلاوة القرآن حُسن التَّدْبِير، والذكر الحضور، هذا النوع من الأداء هو المنور المطهّر على الكمال والتمام"^(١).

وإنّ زكاة النفس وطهاراتها تتحقق بالتقوى المتوقفة على العلم وكيفية العمل وأدائه على الوجه المطلوب والمُرضي لله عز وجل"^(٢).

"والذي يلزم تطهيره من النفس هو القوى الثلاث: قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم، وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود، وقوة الحمية بإسلاسها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم، ويتولد من اجتماع ذلك العدالة، فجميع الرذائل تنبعث من فساد هذه القوى الثلاث"^(٣).

وإنّ الفضائل النفسية تتلازم بعضها مع بعض، "فالعقل والشجاعة والعفة والجود والعدالة وسائر الفضائل تتلازم، فإنّ العقل إذا أشرق عقل صاحبه عن الإقدام على ما يورثه مذمة، ويحمّله على الإقدام على المخاوف التي تورثه المحمّدة، وعلى إنّ يسمح بفضل ما في يده لمن يحتاج إليه وأن يبذل لكل ذي حق حقه، وذلك هو العفة والشجاعة، والجود والعدالة، وكذلك إذا كان عدلاً يحمله عدله على ترك ما ليس له ممّا لا يجوز له تناوله... وإذا كان شجاعاً لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز له تناوله، وعلى ظلم غيره"^(٤).

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل؟ قال: (جهادك هواك)^(٥). إنّ جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه

(١) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، ص ٣١.

(٢) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص ١٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٨٨.

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٥) أبو الحسن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ص ٢٣، ترقيم المكتبة الشاملة.

أولاً، فيُعد نفسه للانتصار على النفس والهوى؛ والذي هو ممهّد للانتصار على الكفار في ساحات
الوغي^(١).

ومن الأدلة على طردية العلاقة بين تركية مكونات البنية النفسية:

- قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ٥١). فتركية المكون الفكري (الإنذار) تركية المكون
الوجداني (الخوف) يستلزم تركية المكون العملي (يتقون).

ويقول ابن عاشور في دلالة النص: "ضمير به عائد إلى ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الأنعام: ٥٠)

وهو القرآن وما يوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم غير مراد به الإعجاز، والذين يخافون إنَّ
يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون الممثلون بحال البصير، وعرفوا بالموصول لما تدل عليه الصلة من
المدح، ومن التعليل بتوجيه إنذاره إليهم دون غيرهم، لأنَّ الإنذار للذين يخافون إنَّ يحشروا إنذار نافع،
خلافًا لحال الذين ينكرون الحشر، فلا يخافونه فضلاً على الاحتياج إلى شفاء، و(أن يحشروا)
مفعول يخافون، أي يخافون الحشر إلى ربهم فهم يقدمون الأعمال الصالحة وينتهون عما نهاهم خيفة
إنَّ يلقوا الله وهو غير راض عنهم. وخوف الحشر يقتضي الإيمان بوقوعه، ففي الكلام تعريض بأن
المشركين لا ينجح فيهم الإنذار، لأنَّهم لا يؤمنون بالحشر فكيف يخافونه^(٢).

(١) السفاريني الحنبلي، محمد بن أحمد، غذاء الألبان شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد بن عبد العزيز الخالدي،
بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٩.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ص ٢٤٤.

القاعدة السادسة: العملية التزكوية مستوعبة لشطري البنية النفسية المادية والمعنوية،

مقتضية للجزاء الأخروي المادي والمعنوي

فالعملية التزكوية مستوعبة للشطر المادي كالجوارح الظاهرية، والشطر المعنوي كالعقل والقلب، وتنتج هذه القاعدة من إنَّ الجزء من جنس العمل، فجزء مادي معنوي يقتضي عملاً مادياً معنوياً.

والجزء على تركية النفس في الآخرة يكون مادياً ويكون معنوياً، فالجزء المادي هو كل ثواب أو عقاب يقدم للنفس الإنسانية في اليوم الآخر ويكون محسوساً بالنسبة لها. والجزء المعنوي هو كل ثواب أو عقاب يقدم للنفس الإنسانية في اليوم الآخر ويكون غير محسوس بطريقة مباشرة وإنما له آثاره الباطنية والبعديّة^(١).

إنَّ البعث الإنساني جسماني روحاني، فقد جاء في عقيدة البعث والجزاء في الإسلام: "أنَّ الإنسان في الحياة الآخرة يكون إنساناً كما كان في الدنيا، إلا إنَّ أصحاب الأنفس الزكية والأرواح العالية، يكونون أكمل أرواحاً وأجساداً ممَّا كانوا بتزكية أنفسهم في الدنيا، وأصحاب الأنفس الخبيثة والأرواح الساقلة يكونون أنقص وأخبث ممَّا كانوا بتدسية أنفسهم في الدنيا"^(٢).

ومن الأدلة على إنَّ النعيم في الآخرة مادي ومعنوي، تتعم أهل الجنة بلذة النظر إلى المولى عز وجل. ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٥).

(١) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٢) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٢٩.

يقول ابن عاشور: إنَّ المراد بـ ﴿يَوْمِذٍ﴾ يوم القيامة... وفي الآيات إجمال حال الناس يوم القيامة بين أهل سعادة وأهل شقاوة. فالوجوه الناضرة وجوه أهل السعادة والوجوه البائسة وجوه أهل الشقاء. والوجوه الناضرة الموصوفة بالنضرة هي حسن الوجه من أثر النعمة والفرح، وكني بنضرة الوجوه عن فرح أصحابها ونعيمهم فقال تعالى في أهل السعادة: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (المطففين: ٢٤) لأنَّ ما يحصل في النفس من الانفعالات يظهر أثره. وأخبر عنها خبراً ثانياً بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وظاهر لفظ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أنه من نظر بمعنى: عاين ببصره إعلاناً بتشريف تلك الوجوه أنها تنتظر إلى جانب الله تعالى نظراً خاصاً لا يشاركها فيه من يكون دون رتبهم^(١). وتدل الآية الكريمة على إنَّ الجزاء على تزكية النفس في الآخرة قد يكون معنوياً، وله آثاره الباطنية، وذلك ببيان حال المؤمن يوم القيامة وهو من أهل السعادة، ويظهر أثر ذلك في الوجوه الموصوفة بالناضرة من أثر النعمة والفرح، وهذا يشير إلى قاعدة عملية التزكية مقتضية للجزاء الأخروي المتضمن للجزاء المعنوي.

- قوله تعالى: ﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢ - ٦٣). جزاء مؤجل في الآخرة يكون مادياً ومعنوياً.

يقول ابن عاشور في تفسيره للآيات السابقة: في الآيات تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من الكفار من أذى وتهديد، إذ أعلن الله للنبي والمؤمنين بالأمن من مخافة أعدائهم،

(١) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٢٣٦ - ٣٢٧.

ومن الحزن من جراء ذلك، ولمح لهم بعاقبة النصر، ووعدهم البشرى في الآخرة وعداً لا يقبل التغيير ولا التخلف تطميناً لنفوسهم^(١). ويقول: "الكلام يفيد إنّ الله ضمن لأولياته إنّ لا يحصل لهم ما يخافونه وأن لا يحل بهم ما يحزنهم. ولما كان ما يخاف منه من شأنه إنّ يحزن من نصيبه كان نفي الحزن عنهم مؤكداً لمعنى نفي خوف خائف عليهم. وجمهور المفسرين حملوا الخوف والحزن المنفيين على ما يحصل لأهل الشقاوة في الآخرة بناء على إنّ الخوف والحزن يحصلان في الدنيا"^(٢). و"دلّ قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ على إنّ التقوى ملازمة لهم أخذاً من صيغة ﴿وَكَانُوا﴾ وأنها متجددة منهم أخذاً من صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَتَّقُونَ﴾^(٣). ويظهر من الآيات الكريمة أنّ الجزاء على التقوى في الآخرة يكون معنوياً بالأمن من الخوف والحزن، ويكون مادياً بالبشرى والعاقبة بالفوز العظيم.

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: "أنهم يبشرون بخيرات قبل حصولها: في الدنيا بما يتكرر من البشارات الواردة في كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الآخرة بما ينتقونه من الملائكة وما يسمعون من أمر الله بهم إلى النعيم المقيم، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (البقرة: ٢٥)"^(٤). فدلّت الآية على الجزاء المادي بالنعيم المقيم بجنات الخلد. وهذا يدل على قاعدة اقتضاء التزكية بالجزاء الآخروي المادي والمعنوي.

(١) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٢٢.

(٢) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٢٤.

(٣) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٢٤.

(٤) ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٢٥.

القاعدة السابعة: جزاء تزكية النفس في الآخرة يقسم إلى قسمين: جزاء حسن (الثواب بالجنة)، ويكون على تزكية النفس وتطهيرها، وجزاء سيئ (العقاب بالنار)، ويكون على تدسية النفس.

والمراد بتقسيم الجزاء الأخروي إلى ثواب بالجنة، أو عقاب بالنار، بحسب أعمال النفس الإنسانية وسلوكها في الحياة الدنيا بكل تفاصيلها. فإذا كانت النفس الإنسانية صالحة وهذه هي النفس المؤمنة التي تلتزم أوامر الله عز وجل، وتخلص له العبادة، فإن الجزاء في الآخرة يتبع العمل والسلوك فتفوز برضا الله تعالى وجنته. أما إذا كانت النفس الإنسانية غارقة في شهواتها، وبعيدة عن طاعة الله عز وجل، وتفضل الدنيا على الآخرة، فيكون العقاب في الآخرة بحسب ما قدمت في حياتها الدنيوية.

ومن الأدلة القرآنية على إن الجزاء على تزكية النفس يقسم إلى جزاء حسن وجزاء سيئ. قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم: ٣١).

جاء في تفسير ابن عاشور للآية السابقة أن: "معنى هذا التعليل ﴿لِيَجْزِيَ﴾ إن من الحقائق المرتبطة بثبوت ذلك الملك ارتباطاً أولياً في التعقل والاعتبار لا في إيجاد، فإن ملك الله لما في السموات وما في الأرض ناشئ عن إيجاد الله تلك المخلوقات والله حين أوجدها عالم أن لها حياتين وإن لها أفعالاً حسنة وسيئة في الحياة الدنيا وعالم أنه مجزيها على أعمالها بما يناسبها جزاءً خالداً في الحياة الآخرة فلا جرم كان الجزاء غايةً لإيجاد على الأرض فاعتبر هو العلة في إيجادهم وهي علة باعثة يحتمل إن يكون معها غيرها، لأن العلة الباعثة يمكن تعددها في الحكمة"^(١).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٢٣.

وقوله ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ تقديره: بمثل ما عملوا، أيّ جزء عاملاً مماثلاً لما عملوا، فلذلك جعل

بمنزلة عين ما عملوه على طريقة التشبيه البليغ^(١). وقوله ﴿بِالْحَسَنَى﴾: أي بالمتوبة الحسنة، أي

بأفضل ممّا عملوا، وفيه إشارة إلى مضاعفة الحسنات. و﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي الذين أحسنوا واجتنبوا

كبائر الإثم والفواحش، أي فعلوا الحسنات واجتنبوا المنهيات، وذلك جامع التقوى^(٢).

القاعدة الثامنة: الجزاء في الآخرة من جنس العمل.

معنى هذه القاعدة إنّ الإسلام يجعل الجزاء من جنس السلوك الذي يصدر عن الإنسان في

الحياة الدنيا. سواء أكان ثواباً أم عقاباً. وهذا أبلغ وأوقع أثراً على النفس الإنسانية.

ومن الأدلة القرآنية على أنّ الجزاء في الآخرة من جنس العمل، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

(النساء: ١٠).

تشير الآية الكريمة إلى أنّ من يأكل مال اليتيم ظلماً سيعاقب بنار تاكل بطونهم، وأنّ الجزاء

من جنس العمل.

والمعنى أنّهم حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهم إلى جهنم^(٣).

"أنّ من أكل مال يتيم ظلماً فإنما يأكل في بطنه ناراً.. أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب،

فإنما يأكلون ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة"^(٤).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٢٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٢٤.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٤٣.

(٤) ابن كثير، أبو الفراء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٢٢.

ومن الأدلة والأمثلة كذلك من السنة النبوية، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)^(١). وهذا دليل على إن العقاب بالحرمان من لبس الحرير للرجال في الآخرة، جاء من جنس السلوك المحرم وهو لبس الرجال للحرير في الدنيا.

القاعدة التاسعة: السببية والتأثير طرق لاستمرارية الجزاء على السلوك في اليوم الآخر.

المراد بهذه القاعدة أنّ الجزاء على السلوك يستمر إذا كان له تسبب في هذا السلوك رغم توقف الإنسان عن فعله وأدائه ويكون ذلك إذا تسبب بنشر سلوك وتعليمه للآخرين، كالإغواء والإضلال، أو كونه مطاعاً في قومه فقلّده في الضلالة واتبعوه. أو من يترك أثراً سواء حسناً كأنّ يسناً حسنةً، أو سيئاً، كالمغنين وأصحاب البدع والفتن^(٢).

ورغم إنّ الإنسان ليس له إلا ما سعى، فهذا فيما لا سبب له به، أما إنّ كان له به سبب أو تأثير فيستمر الجزاء على هذا السلوك نتيجة التأثير به وقبول دعوته، سواء أكان هذا الجزاء حسناً أو سيئاً^(٣).

وتأتي هذه القاعدة من أنّ مسؤولية الإنسان لا تتوقف عند إصلاح ذاته، بل تتسع لتمثل مسؤوليته في إصلاح الآخرين، من منطلق واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الأدلة على استمرار الجزاء على السلوك إذا تسبب بنشر هذا السلوك وتعليمه للآخرين،

قول الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا

سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (النحل: ٢٥).

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب لبس الحرير، حديث رقم (٥٣٨٦).

(٢) انظر، خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤٢٠.

(٣) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٤٢٠.

قال ابن عاشور في دلالة النص: "واللام مستعملة مجازاً في العاقبة، إذا حملوا بذلك أوزار الذين يضلونهم زيادة على أوزارهم. والأوزار، حقيقتها الأثقال، واستعمل الجرم والذنب، لأنه يُثْقَلُ فاعله على الخلاص من الألم والعناد، وحمل الأوزار تمثيل لحالة وقوعهم في تبعات جرائمهم بحالة حامل الثَّقَل لا يستطيع تفصيلاً منه. وإضافة الأوزار على ضمير (هم) لأنهم مصدرها. ووصفت الأوزار بـ(كاملة) تحقيقاً لوفائها وشدة ثقلها لِيَسْرِي ذلك إلى شدة ارتباكهم في تبعاتها، إذ هو المقصود من إضافة الحمل إلى الأوزار"^(١).

وقول الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ (العنكبوت: ١٣). فدل حمل الأثقال والأوزار على إنَّ السببية والتأثير من طرق استمرارية الجزاء يوم القيامة.

قال ابن كثير في دلالة النص: "إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً آخر بسبب من أضلوا من الناس، من غير إنَّ يُنْقَصَ من أوزار أولئك شيئاً"^(٢).

أورد القرطبي في تفسيرها: "وقد قيل: إنَّ المراد أعوان الظلمة. وقيل: أصحاب البدع إذا اتَّبَعُوا عليها وقيل: مُحَدِّثُوا السُّنَنَ الحَادِثَةَ إِذَا عُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ. والمعنى متقارب والحديث يجمع ذلك كله"^(٣).

وقال ابن عاشور: "مؤاخذتهم بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل سواء ما أضلوا به أتباعهم وما حاولوا به تضليل المسلمين فلم يقعوا في إشراكهم"^(٤).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ١٣٢

(٢) ابن كثير، أبو الفراء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ص ٢٦٦.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع في أحكام القرآن، ج ١٣، ص ٣٢٢.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٤٦.

القاعدة العاشرة: التزكية عملية منضبطة بشروط حتى تستحق الثواب في اليوم الآخر

المراد بهذه القاعدة إنّ لمنهج تزكية النفس ضوابط ينبغي إنّ يتبعها المسلم حتى لا يخطئ

الطريق الصحيح، وبالتالي يستحق الثواب في الآخرة.

وإنّ للتزكية ضوابط مهمة لا تتحقق إلاّ بها^(١):

١. التزكية لا تتم إلاّ بتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبودية لله وحده، والحرص على إنّ يكون العمل

لا رياء فيه ولا هوى، ولا حظّ نفسٍ ولا لطلب الدنيا، وهذا الأمر يحتاج إلى جهاد وصبر

ومثابرة.

٢. التمسك بالسنة في أمور التعبّد والتزكية، فإنّ لزوم السنة يحفظ من شر النفس والشيطان،

ويجعل السلوك مشروعاً.

٣. العلم السابق للتزكية يولد الخشية وحب التذکر، فهو حالة مصاحبة قبلها ومعها وبعدها. فقال

تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى ۝ ﴾ (الأعلى:

٩ - ١١).

٤. الصبر على مجاهدة النفس^(٢).

ودليل هذه القاعدة واضح بجلاء في النصوص، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ وَمَنْ يَأْتِهِ

مُؤْمِنًا فَدَعِمَلْ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۝ ﴾ (طه: ٧٤ - ٧٦).

(١) العلي، إبراهيم، رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس، ص ٣٣.

(٢) العلي، إبراهيم، رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس، ص ١٥٩.

ويقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "والمجرم: فاعل الجريمة، وهي المعصية والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن هو الكافر، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ ﴾ (المطففين: ٢٩) واللام في ﴿ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ لام الاستحقاق، أي هو صائر إليها لا محالة، ويكون عذابه متجدداً فيها"^(١). والتركي: التطهر من المعاصي.

ويظهر من الآيات الكريمة السابقة أن التزكية عملية منوطة بالإيمان وهو يشمل توحيد الله عز وجل وإخلاص العبودية له، واتباع الإيمان بالعمل الصالح الذي يقتضي لزوم الكتاب والسنة.

- قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣). فلا يقبل السلوك ولا تثاب عليه النفس الإنسانية إلا إذا ارتبط بالتوحيد والإخلاص والتزام شريعة الله عز وجل. يقول السعدي: "أي أعمالهم التي رجوا إن تكون خيراً لهم وتعبوا فيها، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ أي باطلاً مضمحلاً قد خسروه، وحُرموا أجره وعُوقبوا عليه؛ وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب الله ورسوله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسول المتبع لهم فيه"^(٢).

وأورد ابن عاشور في تفسير الآية أنه "في الظاهر أن المشركين إذا سمعوا آيات الوعيد يقولون في أنفسهم: لئن كان البعث حقاً لنجدن أعمالاً عملناها من البر تكون سبباً لنجاتنا، فعلم الله ما في نفوسهم فأخبر بأن أعمالهم تكون كالعدم يومئذ، والهباء: كائنات جسمية دقيقة لا ترى إلا في أشعة الشمس المنحصرة في كوةٍ ونحوها، تلوح كأنها سابحة في الهواء وهي أدق من الغبار، أي

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٥٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٠٥.

فجعلناه كهباء منثور، وهو تشبيه لأعمالهم في عدم الانتفاع بها مع كونها موجود بالهباء في عدم إمساكه مع كونه موجوداً^(١).

القاعدة الحادية عشرة: توزيع الدرجات في الآخرة على حسب تزكية النفس في الدنيا

مدعاة لاستمرارية العمل التزكوي (فقه درجات الآخرة)

إنَّ ارتقاء الإنسان للدرجات العليا أو الهبوط إلى الأسفل في الآخرة، إنما ينتج من تراكم الأعمال الدنيوية؛ ولما كانت الدرجات في الآخرة متفاوتة وغير محددة فإنَّ ذلك مدعاة لاستمرارية العمل التزكوي لبلوغ أعلى الدرجات.

فتوزيع الدرجات في الآخرة على حسب الحسنات والسيئات التي يعملها الإنسان في الدنيا، والناس في الآخرة على أربع درجات: الفائزون، والناجون، والمعذبون، والهالكون، وكل واحد من هؤلاء الأقسام متفاوتون في النعيم والعذاب على حسب أعمالهم في الدنيا^(٢).

ومن الأدلة على إنَّ الإنسان يرتقي في درجات الآخرة أو يهبط إلى الأسفل في دركات الآخرة، على حسب أعماله في الدنيا قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الانعام: ١٣٢).

قال ابن عاشور: "أي ولكلهم، أي كل أهل القرى المهلكة درجات يعني إنَّ أهلها تتفاوت أحوالهم في الآخرة. فالمؤمنون منهم لا يضاع إيمانهم، والكافرون يحشرون إلى العذاب في الآخرة، بعد إنَّ عُذِّبُوا في الدنيا. فالله قد ينجي المؤمنين من أهل القرى قبل نزول العذاب. فَنَلَّكَ دَرَجَةً نَالُوها في الدنيا، وهي درجة إظهار عناية الله بهم، وترفع درجاتهم في الآخرة، والكافرون يحيق بهم عذاب

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٣٤-٣٥.

(٢) التوجيهي، محمد بن إبراهيم، موسوعة فقه القلوب، د.م، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت، ج ٤، ص ٣٥١٦، ترقيم المكتبة الشاملة.

الإهلاك ثم يصيرون إلى عذاب الآخرة. وقد تهلك القرية بمؤمنيها ثم يصيرون إلى النعيم فيظهر تفاوت درجاتهم في الآخرة^(١).

والدرجات هي ما يرتقى عليه من أسفل إلى أعلى، في سلم أو بناء، وإن قصد بها النزول إلى محل منخفض من جب أو نحوه فهي دركات، ولذلك قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥)، ولما كان لفظ ﴿وَلِكُلِّ﴾ مراداً به جميع أهل القرية، وأتى بلفظ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ كان إيماءً إلى تغليب حال المؤمنين لتطمئن نفوس المسلمين من أهل مكة بأنهم لا بأس عليهم من عذاب مشركيها، ففيه إيماء إلى إن الله منجيهم من العذاب: في الدنيا بالهجرة، وفي الآخرة يحشرهم على أعمالهم ونياتهم لأنهم لم يقصروا في الإنكار على المشركين، وقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ تعليلية، أي من أعمالهم أي بسبب تفاوت أعماله^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٢١). فتوزيع الدرجات في الآخرة والتفاضل بين الناس منوط بصلاح الأعمال. قال ابن عاشور في دلالة النص: "والأمر بالنظر موجه إلى النبي صلى الله ترفيعاً في درجات علمه ويحصل به توجيه العبرة إلى غيره. والنظر حقيقته توجه آلة الحس البصري إلى المبصر. وقد شاع في كلام العرب استعماله في النظر المصحوب بالتدبر وتكرير مشاهدة أشياء في غرض ما، فيقوم مقام الظن، و﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام مستعمل في التنبيه، والمقصود من هذا التنظير التنبيه

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٦٣.

إلى إنَّ عطاء الدنيا غير منوط بصلاح الأعمال؛ ألا ترى إلى ما فيه من تفاضل بين أهل العمل المتحد، وقد يفضل المسلم فيه الكافر، ويفضل الكافر المسلم، ويفضل بعض المسلمين بعضاً، وبعض الكفرة بعضاً، وكفاك بذلك هادياً إلى إنَّ مناط عطاء الدنيا أسباب ليست من وادي العمل الصالح ولا ما يساق إلى النفوس الخيرة، والدرجات مستعارة بعظمة الشرف، والمعنى: النعمة في الآخرة أعظم من نعم الدنيا^(١).

القاعدة الثانية عشرة: التزكية عملية توفيقية من المولى عز وجل؛ يُكرم بها من يشاء

من عباده

إنَّ تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها، والسير بها في ركب الفضائل والابتعاد عن الرذائل ما هو إلا بتوفيق وهداية من الله عز وجل، وهذا فضل من الله على عباده، يُكرم بها من يشاء. ويترتب على هذه القاعدة أنه لا بد للنفس الإنسانية المؤمنة إنَّ تستشعر فضل الله عز وجل على عباده بهدايتهم إلى الإيمان، وأن تديم الدعاء والرجاء إلى الله عز وجل بطلب الهداية والتوفيق والسداد في كل الأعمال. فالسعادة التوفيقية هي الهداية والرشد والتسديد والتأييد. فيجب إنَّ يعلم إنَّ لا سبيل لأحد إلى شيء من الفضائل إلا بهداية الله تعالى ورحمته، فهو مبدأ الخيرات ومنتهائها^(٢)، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ نُورُهُ هَدَىٰ ۖ ﴾ (طه: ٥٠).

إنَّ الله عز وجل جعل الأعمال الصالحة وأعظمها التوحيد سبباً في دخول الجنة، وجعل الأعمال السيئة وأعظمها الشرك بالله سبباً لدخول النار. ولكن هذا السبب ليس كافياً في تحقيق المراد، بل لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله عز وجل^(٣).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٥١.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١١٩.

(٣) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٥٠، ترقيم المكتبة الشاملة.

فأصل دخول الجنة برحمة الله وفضله؛ وذلك لأنَّ الفضل هنا هو الامتتان، والفضل هو الإِطاء والإِكرام، والأعمال وإنَّ كان للعبد فيها أُجور فلو قوبلت بالنعمة لصارت القسمة أو لصار الشأن واضحاً في إنَّ العبد قوبلت أعماله بالنعمة التي كرمه الله عز وجل بها^(١).

وعن عائشة كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا؛ فإنه لن يُدخِلَ الجنةَ أحداً عمَلُهُ). قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمةٍ واعلموا إنَّ أحبَّ العملِ إلى الله أدومُهُ وإنَّ قَلَّ)^(٢). فالمراد إنَّ العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة، لولا إنَّ الله جعله بفضله ورحمته سبباً لذلك، والعمل نفسه من فضل الله ورحمته على عبده، فالجنة وأسبابها كل من فضل الله ورحمته^(٣)؛ إذ من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعات.

ومن الأدلة على إنَّ التزكية عملية توفيقية من الله عز وجل وهي فضل من الله عز وجل:

- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ (النور: ٢١).

يقول ابن عاشور في دلالة النص: "أي لولا فضله بأن هداكم إلى الخير ورحمته بالمغفرة عند التوبة ما كان أحد من الناس زاكياً، لأنَّ فتنة الشيطان عظيمة، لا يكاد يسلم منها الناس لولا إرشاد الدين، قال تعالى حكاية عن الشيطان"^(٤): ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ (ص: ٨٢ - ٨٣).

-
- (١) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٥٠.
- (٢) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار الجيل، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة، ج ٨، ص ١٤١، حديث رقم (٧٣٠٠).
- (٣) الأنصاري، إسماعيل بن محمد، التحفة الربانية في شرح الأربعين النووية، ترقيم المكتبة الشاملة، ج ٣٠، ص ٢.
- (٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ١٥٠.

- قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا ﴾ (النساء: ٤٩). فالله عز وجل هو الذي يزكي الإنسان بفضلٍ منه، قال الرازي: "أنه

لا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له"^(١).

وقال ابن عاشور في تفسيره للآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ تعجيب من حال

اليهود؛ إذ يقولون ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ﴾ (المائدة: ١٨). ونحو ذلك من إدلالهم الكاذب.

وقوله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ إبطال لمعتقداتهم بإثبات ضده، وهو إن التزكية شهادة

من الله، ولا ينفع أحدا إن يزكي نفسه، وفي تصدير الجملة بل تصريح بإبطال تزكيتهم. وأن الذين

زكوا أنفسهم لا حظ لهم من تزكية الله، وأنهم ليسوا مما يشاء الله تزكيتهم، ولو لم يذكر ﴿ بَلِ ﴾ ففيل

﴿ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ لكان لهم مطمع إن يكونوا ممن زكاه الله تعالى. ومعنى ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا ﴾ أي إن الله لم يحرمهم ما هم به أحرىء، وأن تزكية الله غيرهم لا تعد ظلماً لهم، لأن الله يقول

الحق وهو يهدي السبيل ولا يظلم أحداً. والفيتيل: شبه خيط في شق نواة التمر، وقد شاع استعارته

للقلعة؛ إذ هو لا ينتفع به ولا له مرأى واضح"^(٢).

القاعدة الثالثة عشرة: العلم هو المؤهل الأولي للعملية التزكوية

المراد بهذه القاعدة أنه لا يجب إن تتحرك الذات الإنسانية للتزكية قبل إن تنتظن لما ينبغي

عليها إن تزكيه، بمعنى إن يعي الفرد تماماً ما ينبغي تزكيتهم من نفسه سواء أكان تكوينياً كتنظيف

الجسم، أو كان وظيفياً كتنقية العقل والقلب.

(١) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

ط ٣، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص ١٠٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ١٥٤.

ولا بد للإنسان إن يعرف نفسه وقواها وخواصها حتى يعرف كيف يعالجها ويزكيها، يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩). والعلم بما ينبغي التحلي به من أوامر ومستحبات، وما ينبغي التحلي عنه من نواهٍ ومكروهات.

وإن تزكية الإنسان لنفسه تبدأ بتعليمها العلم النافع، فالعلم والتزكية يتجاوزان كثيراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١). وأول ما أمر الإنسان بالقراءة والكتابة، فهما مفاتيح العلوم^(١)، ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

ويعدُّ العلم والعبادات سبب الحياة الأخروية، فكما إن الماء يطهر البدن وهو سبب الحياة الدنيوية، فالعلم والعبادة حياة من حيث أن النفس متى فقدتهما هلكت هلاك الأبد^(٢)، فقال تعالى في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤). فالعلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو إحياء للنفوس.

وإن تقوى الله عز وجل هي طاعته، وطاعة رسوله، بفعل الأوامر واجتناب النواهي في حدود الطاقة البشرية، إلا أن هذه الطاعة متوقفة على معرفة الأوامر وكيفية فعلها، ومعرفة النواهي وبما تترك. وهنا يتعين طلب العلم وهو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته معرفة تثمر حبه تعالى في القلب، وخشيته في النفس، ومعرفة أوامره ونواهيه، ومعرفة محابه ومكارهه، ليحب العبد ما يحب ربه

(١) توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص ٦٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الذريعة إلى أحكام الشريعة، ص ٨٦ - ٨٧.

ويكره ما يكره، وبهذه التقوى تتحقق للعبد ولاية الرب عز وجل وفي ظفر العبد بهذا المطلب السامي؛ وهو ولاية الله تعالى فقد فاز بالسعادة في الدارين"^(١).

ودليل هذه القاعدة من النصوص:

من الأدلة التي جعلت السمع والعقل سبباً لتزكية النفس ونجاتها من العذاب في اليوم الآخر

قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠).

ويورد ابن عاشور دلالات النص مما قاله أهل جهنم بعضهم لبعض في النار. "وذكروا ما

يدل على انتفاء السمع والعقل عنهم في الدنيا، وهم يريدون سمعاً خاصاً وعقلاً خاصاً، فانتفاء السمع

بإعراضهم عن تلقي دعوة الرسل مثل ما حكى الله عن المشركين: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا

لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت: ٢٦)، وانتفاء العقل بترك التدبر في آيات

الرسل ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه"^(٢). و"يؤخذ من هذه الآية أن قوام الصلاح في حسن التلقي

وحسن النظر وأن الأثر والنظر، أي القياس هما أصلا الهدى، و ﴿ أَوْ ﴾ للتقسيم وهو تقسيم باعتبار

نوعي الأحوال التي تقتضي حسن الاستماع تارة إذا ألقى إليها إرشاد، وحسن التفهم والنظر تارة إذا

دعيت إلى النظر من داعٍ غير أنفسها أو من دواعي أنفسها، ووجه تقديم السمع على العقل بمنزلة

الكلي والسمع بمنزلة الجزئي ورعياً للترتيب الطبيعي ثم لأنَّ سَمَعَ دعوة النذير هو أول ما يتلقاه

المنذرون، ثم يعملون عقولهم في التدبير فيها"^(٣).

(١) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص ٣٧.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٢٥.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٢٦.

ويتضح من دلالات النص في تفسير ابن عاشور إنَّ حُسن التلقي لدعوة الرسل عن طريق السمع، وحُسن النظر والتدبر في آيات الرسل ودلائل صدقهم، هو علم النفس بأمر صلاحها ونجاتها في الآخرة.

والكثير من الآيات القرآنية كانت توبخ الكافرين والضالِّين بعدم استخدام الأدوات التي أودعها الله فيهم للعلم بما جاء به الرسل تشير أنَّ سبب ضلالهم عدم استعمال عقولهم.

قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَعَبُّ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت: ٦٣ - ٦٤).

أورد ابن عاشور في دلالات النص فقال: "أعيد أسلوب السؤال والجواب ليتصل ربط الأدلة بعضها ببعض على قرب. فقد كان المشركون لا يدعون أنَّ الأصنام تُنزل المطر كما صرحت به الآية فقامت الحجة عليهم ولم ينكروها وهي تفرع أسماعهم. وأدمج في الاستدلال عليهم بانفراده تعالى بإنزال المطر أنَّ الله أحيا به الأرض بعد موتها وإن كان أكثر المشركين ينسبون المسببات إلى أسبابها العادية كما تبين في بحث الحقيقة والمجاز العقليين في قولهم: أنبت الربيع البقل، أنه حقيقة عقلية في كلام أهل الشرك لأنهم مع ذلك لا ينسبون الإنبات إلى أصنامهم، وقد اعترفوا بأن سبب الإنبات وهو المطر منزل من عند الله فيلزمهم إنَّ الإنبات من الله على كل تقدير. وفي هذا الإدماج استدلال تقريبي لإثبات البعث^(١)، وتدل الآية على أصول صفات أفعال الله تعالى، وهي: الخلق والرزق والإحياء والإماتة. ولما اتضحت الحجة على المشركين بأن الله منفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب انتقال من حَمْدٍ على وضوح الحجج إلى ذمِّ

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٠٠.

المشركين بأن أكثرهم لا يتفطنون لنهوض تلك الحجج الواضحة فكأنهم لا عقل لهم؛ لأنّ وضوح الحجج يقتضي إنّ يفتن لتناجها كلّ ذي مسكة من عقل فنزلوا منزلة من لا عقول لهم" (١).

ويقول ابن عاشور في دلالات النص ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ : إنّ توجيه اسم الإشارة إلى الحياة هي إشارة تحقير وقلة اكتراث، وأنّ الحياة الآخرة هي الحياة الحقّ فصيح لها وزن الفعلان الذي هو صيغة تنبئ عن معنى التحرك توضيحاً لمعنى كمال الحياة، فإنّ التحرك والاضطراب أمارة على قوة الحيوية في الشيء. وهم قد جهلوا الحياة الآخرة من أصلها فلذلك قال تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

تشير الدلالات السابقة للنص إنّ عدم التفطن والتدبر والتأمل بالحجج الواضحة للإيمان بالله وحده والإيمان بالبعث، هو سبب للضلال عن الطريق الواضح لهداية النفس وتزكيتها. وأنّ الجهل بالآخرة أنها المعنى الكامل للحياة الحق هو سبب ضلال كثير من الناس.

والرسوخ في العلم هو كمال العقل والعلم والمعرفة وسبب للثبات على الحق، والسير في طريق الهداية، بحيث لا تضلّه شبهة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٧-٩).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٠١.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٠٢.

يقول ابن عاشور: "والمراد الراسخون في العلم: الذين تمكنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تروج عليهم الشبهة. والرسوخ في كلام العرب: الثبات والتمكن في المكان، يقال: رسخت القدم ترسخ رسوخاً إذا ثبتت عند المشي ولم تتزلزل، واستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم بحيث لا تضلله الشبه، ولا تتطرقه الأخطاء وغالباً، وشاعت هذه الاستعارة حتى صارت كالحقيقة. فالراسخون في العلم: الثابتون فيه العارفون بدقائقه، فهم يحسنون مواقع التأويل، ويعلمونه. ولذا فقوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم" (١).

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٨-٩).

"دعاء علمه النبي صلى الله عليه وسلم، تعليماً للأمة: لأنَّ الموقع المحكي موقع عبرة ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا من حرمانهم التوفيق، واللفظ، ووسائل الاهتداء" (٢).

وعند بدء نزول الوحي علم الله عز وجل الإنسان العلم، فأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، وعلمه القرآن والحكمة ولكن بسبب الجهل والظلم والطغيان تجبر عن الهدى، ونسي الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيَطْغَى ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ (العلق: ٣-٨).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٢٩.

أورد السعدي في دلالة النص: "في قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود الذي من كرمه علم بالعلم. و ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي تحفظ به العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس بهذه النعم التي لا يقدرّون لها على جزاء ولا شكور، ثم من عليهم بالغنى وسعة الرزق، ولكن الإنسان - بجهله وظلمه - إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغى وتجبر عن الهدى، ونسى أنّ إلى ربه الرجعى، ولم يخف الجزاء"^(١).

وتشير النصوص أنّ سبب دخول كثير من الناس النار، وضلالهم، كان نتيجة لعدم استخدام أدوات العلم والإدراك لتحصيل الخير الأبدي يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩). قال ابن عاشور عن قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ إلى قوله ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾، و"المعنى بهم المشركون وهم ينكرون أنهم في ضلال ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، وكانوا يحسبون أنهم أصحاب أحلام وأفهام"^(٢).

فقوله ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾ "حال أو صفة بخصوص الإنس، لأنهم لهم قلوب، وعقول وعيون وآذان، ولم يعرف للجن مثل ذلك، وقد قدّم الجن على الأُنس في الذكر، ليتعيّن كون الصفات الواردة من بعد صفات للإنس وبقرينة قوله: ﴿ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ ﴾ والقلوب اسم موقع العقول في اللغة

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٩٣٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٥٧.

العربية، عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٧)، والفقهاء عند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٦٥). ومعنى أنهم عطلوا أعمالها بترك استعمالها في أهم ما تصلح له: وهو معرفة ما يحصل به الخير والعلم خلقها الله لتحصيل المنافع ودفع المضارّ، فلمّا لم يستعملوها في جلب أفضل المنافع ودفع أكبر المضارّ، تقي عنهم عملها على النكرة، فهذا عامّ أريد به الخصوص للمبالغة لعدم الاعتداء بما يعملون من غير هذا، فالنفي استعارة بتشبيه بعض الموجود بالمعدوم كله^(١).

وجملة ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ "مستأنفة لابتداء كلام بنقضيح حالهم فجعل ابتداء كلام ليكون أدعى للسامعين. وعرفوا بالإشارة لزيادة تمييزهم بتلك الصفات، وللتببيه على أنهم بسببها أحرىاء ممّا سينكّر من تسويتهم بالأنعام أو جعلهم أضل من الأنعام، وتشبيهم بالأنعام في عدم الانتفاع بما ينتفع به العقلاء فكأن قلوبهم وأعينهم وآذانهم، قلوب الأنعام وأعينها وآذانها، في أنها لا تقيس الأشياء على أمثالها ولا تنتفع ببعض الدلائل العقلية فلا تعرف كثيراً ممّا يفضي بها إلى سوء العاقبة"^(٢). ووجه كونهم أضل من الأنعام: أنّ أهل الضلالة حجزوا أنفسهم عن مدركاتهم، بتقصير منهم وإعراض عن النظر والاستدلال منهم أضل سبيلاً من الأنعام التي سبب ضلالها ليس بتقصير منها^(٣). وجملة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ "تعليل لكونهم أضل من الأنعام وهو بلوغهم حد النهاية في الغفلة وهذه الغفلة كانت سبباً للشقاء الأبدي"^(٤).

وتشير الدلالات السابقة للنص على قاعدة العلم وهو المؤهل للعملية التزكوية، من حيث إنّ عدم التقطن لاستخدام وظائف القلب والحس (كالبصر والسمع) وهي أدوات العلم المفضي إلى النجاة

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٥٩.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٦٠.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٦٠.

من عذاب النار، فإنه تعطيلٌ لإعمالها بترك استعمالها في معرفة ما يحصل به الخير والمنفعة، بالانتفاع ببعض الدلائل العقلية التي تجنب النفس سوء العاقبة.

القاعدة الرابعة عشرة: التلازم الشرطي بين الوجود الإنساني والتحرك التزكوي

بمعنى إن النفس الإنسانية ما دامت موجودة وعلى قيد الحياة؛ اقتضى ذلك التحرك لتزكيتها، بصرف النظر عن حظها من الطاعة أو المعصية.

"فتزكية النفس عملية مستمرة، ولذلك فهي تحتاج إلى تغذية مستمرة بالوسائل التي كلف الله عز وجل بها عباده، وهو الأعم بالنفس، فمتى قصر الإنسان في العبادات وغيرها من وسائل التزكية سقطت النفس مباشرة"^(١). ويقول ابن القيم: "من زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد زنديق كافر بالله"^(٢).

وإن الحكمة من وراء إخفاء الوقت الذي تحلُّ فيه الساعة، وتقوم فيه القيامة، يتعلق بإصلاح النفس الإنسانية، فوقعها غيب، وأمرٌ عظيم يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفاجأ به، ويحلُّ بساحته، ويجعل النفس مترقية له باستمرار^(٣). وهذا يبقيها على سعي متواصل للعمل على تزكية النفس ما دامت على قيد الحياة.

ومن الأدلة القرآنية على إن النفس ما دامت موجودة على قيد الحياة الدنيا، اقتضى ذلك التحرك لتزكيتها، والاستمرار على ذلك، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). فالنفس معنية بالاستمرار على التقوى والالتزام بالإسلام ما دامت على قيد الحياة، وهذا لزيادة الصلاح والتحرك التزكوي.

(١) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفوس، ص ١٥٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ١، ص ١١١

(٣) الأشقر، عمر سليمان، اليوم الآخر: القيامة الصغرى، عمان، دار النفائس، ط ٤، ١٩٩١م، ص ١٢٠.

قال رضا: "أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فمعناه على المختار عند

الأستاذ الإمام: استمروا على الإسلام، وحافظوا على أعماله حتى الموت. فالمراد بالإسلام على هذا الدين إيمانه وعمله، ووجه الاختيار أنه في مقابلة قوله: (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) وبعد الأمر بالتقوى حق التقوى. وقيل أن المراد به الإخلاص، وقيل الإيمان دون العمل؛ لأنه هو الذي يستمر إلى الموت. أقول: وهذا النهي مبني على قاعدة أن المرء يموت غالباً على ما عاش عليه، فإذا عاش على اليقين حق التقوى والاحتباس مما ينافي الإسلام، مات على ذلك بفضل الله الذي كانت تلك القاعدة من سننه في خلقه"^(١).

والمراد عند ابن عاشور "تحريض المخاطبين على تمام التقوى، لأن في ذلك زيادة صلاح لهم ورسوخاً لإيمانهم، وهو خطاب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسري إلى جميع من يكون بعدهم. وهذه الآية أصل عظيم من أصول الأخلاق الإسلامية. والتقوى، امتثال الأمر، واجتناب المنهي عنه في الأعمال الظاهرة، والنوايا الباطنة، وحق التقوى هو إن لا يكون فيها تقصير، وتظاهر بما ليس من عمله"^(٢). وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن إن يموتوا على حالة في الدين إلا على حالة الإسلام"^(٣). فتشير دلالات النص إلى قاعدة التلازم الشرطي بين الوجود الإنساني والتحرك التركوي، من خلال الاستمرار بالعمل التركوي المشار إليه في حالة التدين (الإسلام) وأنه مرتبط بالوجود الإنساني ما دام على قيد الحياة في الدنيا.

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٤، ص ١٧.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٧٣.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٧٣.

المبحث الثالث

أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يتسم المنهج التربوي لآيات القرآن الكريم المتعلقة باليوم الآخر، بالتأثير على النفس الإنسانية وتزكيته والعمل على إصلاحها. وذلك بمخاطبة العقل تارة، وتوجيه الانفعالات، وإثارة العواطف تارة أخرى. أو بتكوين عادات حسنة لدى النفس. معتمداً في ذلك على أساليب عقلية علمية، وعاطفية تثير كوامن النفس، وتشبع رغباتها وأشواقها، وكذلك أساليب علمية وتسعى لتزكية النفس الإنسانية بالأعمال الصالحة، وإصلاح حياته بكل ما هو خير ونافع.

وتعرف الأساليب بأنها: "السبل والأنماط وما يتصل بها من المهارات والخبرات والفنون التي يستخدمها التربوي في تعليم وتزكية الفئة المستهدفة بما يحقق الأهداف التربوية الموضوعية للمحتوى التربوي. ويغلب عليها الصبغة النظرية والعقلية"^(١).

وهناك أساليب كثيرة لتحقيق تزكية شاملة للعقل والجسم والروح والقلب، وتشمل الجوانب النظرية والعملية. وقد استخدم القرآن الكريم هذه الأساليب للتأثير على النفس وتزكيته. وقد استقرت الباحثة مجموعة من الآيات الكريمة المتعلقة باليوم الآخر، وتم استنباط مجموعة من الأساليب التي تؤثر في تزكية النفس، يتم عرضها في ما يأتي:

الأسلوب الأول: أسلوب وعيد القرآن الكريم بعقوبة العذاب بالنار في اليوم الآخر

يُعد هذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في النفوس، ففيه من الوعيد لمن خالف الحق والتهديد بالعقوبة، وفيه بيان لحال الناس يوم القيامة، ولهذا الأثر البالغ الذي يحرك الشعور ويهزّ القلوب وحتى تستعد أشدّ الاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه، وتتقي عذابه.

(١) خطاطبة، عدنان، النظرة التربوية الإسلامية، ص ٥٢٠.

وإنّ النفس الإنسانية مجبولة على الخوف والكره للعذاب، والألم والضرر، وتتفر منه، لذلك فإنّ الوعيد بالعذاب في الدار الآخرة، من الأساليب التي تزكّي النفس الإنسانية وتهذبها. وتزدع بالتخويف من عواقب الأفعال.

وقد وصف الله عز وجل اليوم الآخر بصفات عديدة تبين هوله وشدته، وتُشعر الإنسان بالخوف، فهو يوصف بأنه يوم عقيم، وبأنه يوم الحسرة، ويوم يجعل الولدان شيباً ويوم الآزفة، والطامة الكبرى، وغيرها من الصفات.

ويعد أسلوب الوعيد والتهديد بالعقوبة، نتيجة اقرار الذنوب وعصيان الله عز وجل والشرك به، والتهاون في أداء فرائضه وتطبيق أحكامه وفق ما أمر به، بالغ الأثر في تزكية النفس.

ومما يشير لاستخدام أسلوب الوعيد بعقوبة العذاب بالنار، آيات تبين شدة النار التي تشتعل في نازلي جهنم، وهذا التهديد بالعقوبة بسبب الشرك بالله تعالى والاتباع لأهل الضلال، وهو تحذير للمؤمنين بأسلوب بيان عقوبة النار، التي تحرك الشعور، والخوف من العذاب، لتصبح رادعاً ودافعاً لتزكية النفس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَنُؤَدِّيهِمْ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٦٥ - ١٦٧)، يقول السعدي في تفسيره للآيات: إنّ الذين ظلموا باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد، وظلموا

الخلق بصددهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم، سيرون العذاب يوم القيامة عياناً بأبصارهم. وحينئذ يتمنى التابعون إن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعهم^(١).

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدَّنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَلَّذِي كَمَن مَّتَعْنَاهُ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا

كَانُوا إِلَّا نَا يَعْْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ

كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ (القصص: ٦١ - ٦٤)، يقول السعدي في تفسيره: أي هل يستوي مؤمن ساع

للاخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم

فهو لاقية من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام

بمرضاته، وجانب سخطه، ﴿ كَمَن مَّتَعْنَاهُ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب،

ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بديناه عن آخرته، ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيراً لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال^(٢)،

فتحت الآيات على الابتعاد عن مدارك النار، واجتناب العذاب وما يرتبط به من الآلام والمكاره.

ويظهر أسلوب وعيد القرآن بعقوبة العذاب بالنار جلياً في بيان طريقة سوق المجرمين إلى

النار، وهذا المشهد للوعيد بالنار، يثير مكان النفس لتجنب كل ما يؤدي إليها، وذلك عن طريق

تزكية النفس، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٦٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٩.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٢١.

إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٥ - ٨٦﴾ (مريم: ٨٥ - ٨٦). قال الطبري: "يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه فاجتنبوا لذلك معاصيه وأدوا فرائض ربهم وفداً أي ركباناً. وعن قتادة: وفداً إلى الجنة. ونسوق الكافرين بالله الذين أجزموا إلى جهنم عطاشاً"^(١). فيها توبيخ وإذلال لهم، وذلك لما فعلوه في الدنيا من العصيان وعدم الالتزام بما أمر الله به، وبيان الآية لهذه الطريقة له بالغ الأثر في النفوس لمحاولة تجنب هذا المشهد وذلك بتزكية النفس وإصلاحها.

ومن الأدلة في بيان استخدام أسلوب الوعيد بالعقاب، ببيان كيفية حشر الكافرين يوم القيامة، وقد ربطت الآيات الكريمة بين الله عن طريق الهداية والحق وبين كيفية جزاء هؤلاء الضالين. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا ۗ وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۗ كَمَا خَبَتْ زِدَادُهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء: ٩٧). قال الطبري: "ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة"^(٢). وقال القرطبي: "إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم كما يفعل بالدنيا بمن يباليغ في هوانه وتعذيبه"^(٣). إن هذه الصورة في الحشر تؤثر على المشاعر والأحاسيس وتحرك القلوب المؤمنة، وتجعل المؤمن دائماً في حالة بين الخوف والرجاء، فيخاف عذاب الله ويرجو رحمته، ويفعل ما يرضي الله عز وجل، ويبتعد عن غضبه فتزكو نفسه وتستقيم أموره. وإن استخدام هذه الأساليب في بيان كيفية الحشر وبيان صفة حشر الكافر، حيث إنّه يحشر على وجهه إذلالاً له واحتقاراً، وزيادة في العذاب، مما يحرك المشاعر ويهز القلوب.

(١) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٨، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٢) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٨، ص ١٥٢.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢١٦.

ومن الآيات التي تبين شيئاً من غلظة الملائكة (خزنة النار) مع أصحاب النار، قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (الزمر: ٧١ - ٧٢). يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ سَوْقًا عَنِيفًا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأضع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۗ﴾ (الطور: ١٣) أي: يدفعون إليها دفعا، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها ﴿زُمَرًا﴾ أي: فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتتساكّل سعيها، يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها ﴿فُتِحَتْ﴾ لهم أي: لأجلهم ﴿أَبْوَابُهَا﴾ لقومهم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ مهنتين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدى، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحلّ الفظيع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟ ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ التي أرسلهم الله بها، والدلالة على الحق اليقين بأوضح البراهين. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحرز من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذا الحال؟ ﴿قَالُوا﴾ مقرين بذنبهم، ﴿بَلَىٰ﴾ قد جاءتنا رسل ربنا. ﴿وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ أي: بسبب كفرهم

وجبت عليهم كلمة العذاب. ف ﴿ قِيلَ ﴾ لهم على وجه الإهانة والإذلال: ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أبداً، لا يظعنون عنها، ولا يفترُّ عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ﴿ فَيَسَّ مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: بنس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والإذلال والخزي^(١). وتشير دلالات النص إلى أسلوب الوعيد بعقوبة العذاب بالنار في اليوم الآخر؛ وذلك جزاءً للكافرين لتكذيبهم بالبعث، وجزاءً تكبرهم وعنادهم عن الحق. فبعدت نفوسهم عن ما يزيكها. وهذا الأسلوب يدعو المؤمن إلى تجنب الكبر والمعاندة، والعمل على اتباع الرسل، وهذا مدعاة لتزكية النفس.

ومما يوجب المشاعر، ويؤثر في النفوس، أسلوب القرآن في بيان طبيعة الحياة في النار إذ بيّن أنّ وقودها البشر والحجر، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٠)، يقول السعدي في تفسيره للآية الكريمة: يخبر الله تعالى أنّ الكفار به وبرسله، الجاحدين بدينه وكتابه، استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم، وأنه لا يغني عنهم مالهم ولا أولادهم شيئاً، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم، فيوم القيامة يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون. وليس للأولاد والأموال قدرٌ عند الله تعالى، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة. وأخبر هنا إنّ الكفار هم وقود النار، أي حطبها، الملازمون لها دائماً أبداً^(٢). وتشير دلالات النص إلى أنّ استحقاق العذاب كان بسبب الكفر والذنوب، والاعتزاز بالحياة الدنيا وزينتها كالمال والولد، وهذا الأسلوب في عرض

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٣٠.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٢٣.

مصير أهل الذنوب وكونهم حطب جهنم. فيه تحذير للمؤمنين من الاغترار بالحياة الدنيا وزينتها كالمال والولد وتركية المال والعمل الصالح الذي ينجي من النار وعذابها.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْاً أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:

٦)، يقول السعدي في تفسيره: أي يا من من الله عليهم بالإيمان قوموا بلوازمه وشروطه. ف ﴿قَوْاً

أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام

بأمره امتثالاً ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل (والأولاد)، بتأديبهم

وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، ووصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره،

فقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كما قال: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ أي: غليظة

أخلاقهم، شديد انتهازهم، يُفزعون بأصواتهم ويُخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون

فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب^(١).

فأسلوب القرآن الكريم في بيان عقوبة أصحاب النار وأنهم وقودها الذي تشتعل به، فيؤثر في

وجدان السامعين لهذا التهديد والوعيد بمثل هذه العقوبة الشديدة. فيدعو إلى اجتناب النار بالإيمان

ولوازمه وشروطه، ووقاية النفس بإلزامها بأمر الله واجتناب نواهيها، والبعد عما يسخطه، ووقاية الأهل

والولد بتأديبهم وتركيتهم.

وقال الحق مبيناً قوة النار ومدى تأثيرها في المعذبين كأسلوب للوعيد بالنار يوم القيامة،

وذلك لردع النفس وتجنيبها لكل ما يؤدي إلى هذا العذاب. ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٧٤.

﴿ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴾ ﴿ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ﴿ (المدثر: ٢٦ - ٣٠)، يقول السعدي في تفسيره للآيات: ﴿ سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾ ﴿ لَا يُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴾ ﴿ لا تبقى من الشدة، ولا على المعذب شيئاً إلا وبلغته. ﴿ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ أي: تلوحهم، ﴿ تصليهم ﴾ في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرها. ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ﴿ من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد^(١). فدلالة الآيات الكريمة على أسلوب الوعيد بالنار وبيان شدتها ليكون ذلك أنجع في الزجر للنفس للابتعاد عن كل سبب يوصلها إلى هذا العذاب.

ومن الأوصاف لعذاب الآخرة أنه العذاب السيء، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ (الزمر: ٢٤)، يقول السعدي في تفسيره للآية: أي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووقفه لسلك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن كان في الضلال واستمر على عناده حتى يوم القيامة، فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقي فيه سوء العذاب، لأنه قد غلّت يده ورجلاه، ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ﴾ أنفسهم، بالكفر والمعاصي، توبيخاً وتقريعاً^(٢). وهذا الأسلوب في الوعيد بالعقوبة الشديدة في النار، ولَفُحُّ وجه الكافر والعاصي في النار بما قدم من أعمال الظلم في حياته الدنيا، فيه تقريعٌ للنفوس وإيقاظها من الغفلة عن العمل على إصلاح وتزكية أحوالها.

وكذلك من أسلوب القرآن في بيان العقوبة الشديدة في النار، ما ورد من الآيات في التفصيل في كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، وإنّ بيان الآيات الكريمة لعقوبة العذاب الشديد في نار جهنم يوم القيامة، بطرائق متعددة، فيها وعيد وإنذار بهذه العقوبة وبيان أوصافها قبل وقوعها، والتهديد بذلك

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٩٦.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٢٣.

نتيجة اقتراف المعاصي والذنوب، واعتراف النفوس في معصية الله عز وجل. وفي ذلك الأسلوب تأثير في تربية النفس، وتقويمها في وضعها الصحيح وصولاً إلى تركيتها. وبيان ذلك في كثير من الآيات منها:

- أمر الله تعالى الملائكة إن تقيد الكافر في عنقه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الرعد: ٥)، يقول السعدي في تفسيره للآية: إن الذين كفروا بربهم وجدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلاها، ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَلُ ﴾ المانعة لهم من الهدى ﴿ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفندتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، و﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون فيها أبداً^(١).

- وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سبأ: ٣٣)، يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه^(٢). والدفع الشديد إلى نار جهنم:

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤١٣.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٨١.

- يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا

تُكذَّبُونَ﴾ (الطور: ١٣ - ١٤)، يقول السعدي في تفسيره: أي: يوم يدفعون إليها دفعاً،

ويساقون إليها سوقاً عنيفاً، وَيُجْرُونَ عَلَى وجوههم، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هَذِهِ النَّارُ

الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ﴾ فالיום ذوقوا عذاب الخلد الذي لا يبلغ قدرة، ولا يوصف

أمره^(١). وتشير دلالات النص إلى أنّ الوعيد بالعذاب الشديد في النار نتيجة التكذيب ومعصية

الله، وذلك لتقويم النفوس على المنهج الصحيح باتّباع الحق وتزكية النفس.

الأسلوب الثاني: أسلوب وعد القرآن الكريم بالجنة جزاءً لتزكية النفس

المراد بأسلوب وعد القرآن الكريم بالجنة، أنّ الله عز وجل وعد النفس المؤمنة وحبّب إليها

الجنة ونعيمها الآجل المؤكد في اليوم الآخر، وذلك مقابل الإيمان والطاعة التامة لله تعالى، وابتغاء

مرضاة الله تعالى، وهذا فضل ورحمة من الله عز وجل.

إذ أنّ وعود القرآن الكريم بالجنة من الأساليب الناجحة التي استخدمها لتزكية النفس وإصلاحها

وتهذيبها، وذلك لأنّ هذه الوعود تخاطب الروح وتلمس الوجدان.

ولقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين الصالحين حسن الثواب ونعيم الجنة في الآخرة، فكل

مؤمن يرجو الله إنجاز وعده بدخول الجنة، ويوقن بهذه الحقيقة، فوعد الله عز وجل واقع ناجز، لا

يعجز عن إنجازه ولا يخلف وعده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ (الرعد: ٣١).

والله تعالى سينجز وعده يوم القيامة، ويدخل المؤمنين الجنة يتبوؤن منها حيث شاؤوا، يقول

الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَعْدُهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨١٣.

حَيْثُ نَشَاءُ فَيَعْمَرُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾ (الزمر: ٧٤) فالْمُؤْمِنُونَ سَيُحْمَدُونَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُشْكِرُونَهُ

على إنجاز وعده لهم بالجنة ونعيمها، وذلك جزاء استقامتهم على طاعته، وتنفيذ أحكامه في الدنيا.

وإن الوعد بالجنة يُعد حافزاً لترك المعاصي، والحرص على فعل الطاعات، والسعي لنيل

مرضاة الله تعالى، فإنَّ النفس تميل إلى الشيء وتحبُّ الحصول على ما ترغب به من الأشياء المادية

والمعنوية، التي تشبع غرائزها، وتلبي دوافعها، وتشعرها بالسعادة، فإنَّ ذلك له تأثير كبير فيها.

وقد رغبت نصوص كثيرة من القرآن الكريم النفس بالجنات التي تنتعم فيها إذا آمنت وأطاعت

ربها، وهذا النعيم لا يقتصر على الأنواع المادية الحسية، وإنما يشمل الأنواع المعنوية الروحية التي

تستمتع بها النفس المؤمنة وتميل إليها، ومنها النظر إلى وجهه الكريم سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣).

ومن الآيات التي تحدثت عن الجنة وأحوالها، وعن رضا الله تبارك وتعالى وحسن ثوابه، قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ

رَبَّهُ ﴿٨﴾ (البينة: ٧-٨)، وإنَّ الآية القرآنية تحمل معنى الترغيب فيما أعده الله تعالى في الجنة،

وهذا الترغيب يبعث شعور الرضا بما عند الله من خير، فيكون هذا الرضا زيادة في الإيمان^(١)، وهذه

الزيادة تزكية للنفس وارتقاء بها. والترغيب إنما هو زيادة للتنافس على منزلة القرب من الله عز وجل

ونيل الرضا.

وقد وعد الله عز وجل أصحاب الجنة الموحِّدين المؤمنين المخلصين، الذين يعملون

الصالحات، فيوفون بالعهود، ولا ينقضون الميثاق ويصلون ما أمرهم الله بوصله، ويخشون ربه،

(١) جابر، تهاني عفيف، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، عمان، دار الفتح، ط١، ٢٠١٥، ص ١٩٨.

ويخافون من سوء العذاب، ويصبرون ويقومون الصلاة، وينفقون سراً وعلانية، ويدرون بالحسنة السيئة وعدهم بالنعيم، وكل هذه المواصفات التي ذكرت في حقيقتها تركية للنفوس وتهذيب لها. وذلك من خلال أسلوب الوعد بالجنة. قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ (الرعد: ١٩ - ٢٤). يقول السعدي في تفسيره للآيات: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الرزينة والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله بقوله: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ الذي عهده إليهم، ومن تمام الوفاء بها أنهم ﴿ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ أي: العهد الذي عاهدوا الله عليه، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والإيمان والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الأبواب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها. ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله، ويصلون آباءهم وأمهاتهم بربهم بالقول والفعل وعدم عقوبهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولاً وفعلًا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملاً موفراً من الحقوق الدينية والدنيوية. والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به إن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي يخافونه

فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، إِنَّ يَتَجَرَّؤُوا عَلَىٰ مَعَاصِي اللَّهِ، أو يقصروا في شيء. مما أمر الله به خوفاً من العقاب ورجاء للثواب. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الأمور بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعد تسخطها. لكن بشرط إن يكون ذلك الصبر ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه. و﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهراً وباطناً، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ دخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرّاً وعلانية، ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بغفلة، بل قابلوه بالإحسان إليه فيعطون من حرمهم، ويعفون عن ظلمهم ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة ﴿لَهُمْ عُقُبَى الدَّارِ﴾ فسرها بقوله: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة لا يزولون عنها، لا يبيغون عنها حولاً، لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات. ومن تمام نعيمهم وقرّة أعينهم أنهم ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل، والجنان العالية، ﴿فَنِعْمَ عُقُبَى الدَّارِ﴾ فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، إن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف

أولي الألباب بنصيب، ولعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون^(١).

والشاهد في الآيات السابقة إنّ الوعد بالجنة من أساليب تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، إذ أنّ الله عز وجل قد وعد بالجنة والمنازل العالية من نصح نفسه وجاهدتها بتزكيتها بالأعمال الصالحة والصبر على ذلك والسعي الحثيث في طلب الجنة ونعيمها.

الأسلوب الثالث: أسلوب الوصف التشويقي لنعيم الجنة

المراد بأسلوب الوصف التشويقي في المنهج التربوي في تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، تحبيب وإغراء النفس في لذة التمتع بنعيم الجنة وامتعتها الأجلة المؤكدة في اليوم الآخر، وذلك مقابل القيام بتزكية النفس، وإبعادها عن كل ما يمنع ويحجب عنها هذه المتعة الأبدية في الجنة، ويحقق مرضاة الله عز وجل.

وإنّ هذا الأسلوب الذي يُشوق ويُرغب النفس ويعدّها بالثواب، يخاطب العقل، ويلمس الروح والوجدان معاً، فيدخلان إلى النفس من منافذها، فتستجيب وتتأثر بفاعلية ذاتية تنحو بعدها لتحصيل ما تزكو به وتصلح أحوالها، لنيل هذا المقام العظيم في الجنة.

ويتضح هذا الأسلوب من خلال الآيات الكثيرة التي وصفت الجنة وما فيها من أنواع النعيم، من الطعام والشراب والزوجات والقصور، وكل هذه الأوصاف فيها تشويق وجذب للنفس المؤمنة إلى تلك المنازل العالية والحياة الطيبة الخالدة، التي لا يشوبها كدر. وهذه دعوة للعمل الصالح والتسابق في فعل الخيرات فيه إصلاح للنفس وتزكيتها.

ومن الأدلة التربوية على استخدام أسلوب الوصف التشويقي الذي يظهر النعيم في الجنة ويبشر المؤمن بالفلاح وذلك نتيجة تركية نفوسهم بالآيات والعمل الصالح، ومن ذلك قول الله تعالى:

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤١٦.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥)، قال الطبري: "ان قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ إنه يعني أخبرهم. والبشارة أصلها الخبر بما يسر به المخبر، إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه. وهذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند ربه، وصدقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وإنما عنى جلّ ذكره بذكر الجنة: ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغرسها دون أرضها، ولذلك قال: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ لأنه معلوم إنما أراد- جل ثناؤه- الخبر عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغرسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها. على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد^(١). وهذا الوصف التشويقي للجنة وأنهارها وثمرها يدعو النفس للزكاة والصالح والعمل الصالح لما فيه من أنواع الميزات المادية التي تشبع رغبات النفس وشهواتها.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الدخان: ٥١ - ٥٧)، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾: أي الله في الدنيا، ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ أي في الآخرة وهو الجنة، قد آمنوا من

(١) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١، ص ٢٠٥.

الموت والخروج، ومن كل همّ وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيدِه وسائر الآفات والمصائب، ومع هذا العطاء من الجنات والعيون والسرر مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين، ومهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر عليهم كلما أرادوا^(١). وإنّ هذا الوصف لمقام المتقين يثير في النفس دافعاً للعمل على تهذيب النفس وتزكيتها من أجل الوصول إلى منزلة الأتقياء المتعممين في مقام الأمن والسرور في جنات النعيم.

وإنّ السابقين المبادرين إلى فعل الخيرات في الحياة الدنيا، هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، وهم أول من يدخل الجنة، وهذا الوصف لنعيم الجنة جزاء المسارعة إلى فعل الخيرات، يشير دافع النفس للسبق في التزكية والصلاح ونيل درجة القرب من الله. يقول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿الواقعة: ١٠ - ١٢﴾. يقول السعدي في دلالات النص: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أي السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها. وهؤلاء المذكورون ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم^(٢).

وقول الله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ أَيُّومٍ وَلَقَهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاءُ لَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَرْسُلُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَطُفُوفٌ عَلَيْهِمْ بَانِيَةٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَطُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٥٨.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٣٢.

لُقُوا مَنُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ شِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ
مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ (الإنسان:

١١- ٢٢). قال السعدي في قوله تعالى: ﴿ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٢٠﴾ "تتجد الواحد منهم عنده من

المساكن والغرف المزينة المزخرفة ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة والثمار الدانية
والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطرية المشجية ما يأخذ القلوب ويفرح

النفوس، وعنده من الزوجات، اللاتي في غاية الحسن والإحسان الجامعات بجمال الظاهر والباطن،

الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سروراً، ولذة وحبوراً أو حوله من الولدان المُخَلَّدِينَ والخدم المؤبدين

ما تحصل الراحة والطمأنينة وتتم لذة العيش وتكمل الغبطة، ثم علاوة ذلك ومعظمه، الفوز برضا

الرب الرحيم، وسماع خطابه ولذة قربه، والابتهاج برضاه والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم،

كل وقت وحين" (١). هذه غاية المتسابقين العاملين لذلك اليوم، بنيل شرف النظر إلى ربه تبارك

وتعالى ورؤيته بأبصارهم. إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ تِلْكَ الْأَمْنِيَّةُ الْغَالِيَةُ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، إنها أعظم

مرغوب عند النفس المؤمنة وقمة السعادة والرضا. ولذا، فإنَّ استخدام أسلوب التشويق في وصف

نعيم الجنة، دعوة إلى تركية النفس بفعل الخيرات، والصبر على الطاعات، كما بينت الآيات الكريمة.

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة بأسلوب التشويق، حديث أبي هريرة

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا

عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فافزعوا إن شئتم) (٢). ﴿ فَلَا تَعَاوَنُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعَدْوِيِّ مِمَّا

أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ (السجدة: ١٧). إِنَّ وَصْفَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٣٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم مع شرحه المنهج، حديث رقم (٢٧٤٤)، ج ٧، ص ١٧٢.

من النعيم المقيم والخيرات الكثيرة والنعمة العظيمة وما فيها ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. يتحقق بأن النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة لا يمكن أن يوصف؛ لأنّ وسائل المعرفة البشرية هي: الرؤية والسمع والتفكير والخيال، وفي الجنة أمور لا تقع تحت وسيلة من هذه الوسائل^(١). وهذا الأسلوب في التشويق غاية في الروعة والوصف لنعيم الجنة.

وهذا كلّهُ ترغيب لكلّ مسلم ليكون من أهل الجنة وحثّ على الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة. وإنّ إثارة عاطفة الشوق للجنة، والازدراء والتحقير للدنيا حيث إنّها لا تساوي شيئاً مقارنة بالآخرة. وهذا الأسلوب يُعدّ من الأساليب التي ركزت عليها آيات اليوم الآخر لتزكية النفوس.

الأسلوب الرابع: أسلوب تزكية النفس بالانصهار والانكفاف الهادف

والمراد بأسلوب "الانصهار والانكفاف الهادف" انصهار في موارد ايجابية، وانكفاف عن موارد سلبية، وذلك لأنّ الإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة له ويؤمر بحسبها. فإذا عاش عباد الله الصالحين، غلب عليه حب الصلاح والفضل، وإذا جالس أهل الدنيا المبهورين بالمال واللذات والشهوات، مال لها، فالإنسان معرض للضعف والقلب في حال تغيّر وتأثر بالمحيط له.

لذلك فإنّ أسلوب الانصهار والانكفاف الهادف يعد من أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، فتزكية المحيط الخارجي للنفس الإنسانية بالاعتماد على انصهار النفس في الموارد الإيجابية من معاشرّة الصالحين، ورفقة الأخيار، والقرب من الأتقياء، والاستعانة بصحبتهم على الطاعة، والتواصي بالحق. ففيهم تتوفر الصحبة الحسنة والبيئة الصالحة، التي تنمو فيها الفضائل، وتزكو النفوس، فصحة الصالحين والانصهار في بيئتهم الفاضلة وسيلة فعّالة من وسائل التزكية،

(١) العوفي، عبد الله بن سمران بن سلمان، المناهج والأساليب الدعوية في أحاديث اليوم الآخر من الكتب الستة، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٣.

وسبيل المؤمن إلى النجاة يوم القيامة. وكذلك فإن الانكفاف عن الموارد السلبية، بالابتعاد عن صحبة الفاسدين التي تؤدي إلى الضلال في الدنيا والحسرة يوم القيامة، يعد من سبل تزكية النفس.

وقد بينت الآيات القرآنية أنّ صحبة الفاسدين سبب الندامة يوم القيامة، ومن ذلك قول الله

تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَوَيْلَئِي

لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فَلَانًا حَلِيلًا ﴿٧٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

خَذُولًا ﴿الفرقان: ٢٧ - ٢٩﴾. وأورد ابن عاشور في دلالات النص أنه يوم القيامة يعض الظالم

على يديه، والمراد بالظلم الشرك فيعم جميع المشركين الذين أشركوا بعد ظهور الدعوة المحمدية بقرينة

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، ويكون قوله: ﴿لِمَ أَخَذْتُ فَلَانًا حَلِيلًا﴾

إعلاماً بما لا تخلو عنه صحبة بعضهم مع بعض وإغراء بعضهم بعضاً على معاداة الإسلام. وإنه

لا يخلو أحد المشركين عن خليل مشرك مثله يصرفه عن متابعة الإسلام إذا هم بها، ويثبته على

دين الشرك فيندم يوم الجزاء على طاعته ويذكره باسمه، والعضُّ: الشدُّ بالأسنان على الشيء ليؤلمه

أو ليمسكه، وهو كناية عن الندامة، لأنهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام إنَّ يصحبوها بحركات

بالجسد. وهنا ينبغي على المرء ألا يضع خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء^(١).

ويضيف إنَّ الإضلال مستعار هنا للصرف عن الحق لمناسبة استعارة السبيل لهدى الرسول،

وقوله: ﴿أَضَلَّنِي﴾ مكنية تقتضي تشبيه الذكر بالسبيل الموصول إلى المنجى^(٢).

وتحدثت الآيات الكريمة عن صحبة الفاسدين ومحبتهم في الدنيا ستتقلب كرهاً وبغضاً وعداوةً

يوم القيامة، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٣٧ - ٤٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٤١.

يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف: ٦٦ - ٦٧).

يشير ابن عاشور إلى دلالات النص بأن: هذا العذاب واقع لا محالة سواء قَرَبَ زمان وقوعه أو بعد، فلا يريكم عدم تعجيله، وقد أشعر بهذا المعنى تقييد إتيان الساعة بقيد ﴿بَعْتَةً﴾ فَإِنَّ الشَّيْءَ لَا تَسْبِقُهُ أَمَارَةٌ لَا يَدْرِي وَقْتَ حُلُولِهِ. وعبر عن اليوم بالساعة تلميحاً لسرعة ما يحصل فيه. والأخلاء: جمع خليل، وهو صاحب الملازم، قيل: عنه مشتق من التخلل، لأنه كالمخلل لصاحبه والممتزج به، والعدو: المبغض، وتعريف ﴿الْأَخْلَاءِ﴾ تعريف الجنس وهو مفيد استغراقاً عرفياً، أي الأخلاء من فريقي المشركين والمؤمنين، أو الأخلاء من قريش المتحدث عنهم، وإلا فَإِنَّ من الأخلاء المؤمنين من لا عداوة بينهم يوم القيامة، وهم الذين لم يستخدموا خلتهم في إغراء بعضهم بعضاً على الشرك والكفر والمعاصي وإن اختلفوا في المنازل والدرجات يوم القيامة^(١).

والشاهد في النص القرآني أَنَّ الصحبة الفاسدة لأهل الشرك والفساد، تكون سبباً للضلال عن الطريق الصحيح الموصل إلى النجاة يوم القيامة، وَأَنَّ صحبة الفاسدين والمجرمين تنقلب يوم القيامة كرهاً وعداوة لبعضهم؛ لأنهم استخدموا هذه الصحبة في إغراء بعضهم بعضاً على الشرك والكفر والمعاصي، وعلى العكس من ذلك فَإِنَّ الانصهار في خلة الأتقياء والمؤمنين سببٌ في صلاحهم وزكاتهم. وبالتالي فوزهم ونجاتهم يوم القيامة.

وإنَّ الانصهار مع الجماعة المؤمنة والانتماء إليها لتركو نفس الفرد المؤمن وتسقيم حياته في الدنيا والآخرة. أما ولاية الضالين والمنحرفين والفاستدين فهي تؤدي بالنفس إلى الهلاك وسوء المصير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥). يقول ابن عاشور في

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

تفسيره للآية: المشاققة: المخالفة المقصودة مشتقة من الشق، لأن المخالف كأنه يختار شقاً يكون فيه غير شق الآخر. وسبيل كل قوم طريقته التي يسلكونها في وضعهم الخاص، فالسبيل مستعار للاعتقادات والأفعال والعادات، التي يلازمها أحد ولا يبتغي التحول عنها، كما يلازم قاصد المكان طريقاً يبلغه إلى قصده والمعنى اتباع سبيل المؤمنين في الإيمان^(١).

ويقول السعدي في تفسيره للآية: "أَيُّ وَمَنْ يَخَالَفَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعَانِدُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية. ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ أي: نتركه وما اختاره بنفسه، ونخذله فلا نوقفه للخير. لكونه رأى الحق وعلمه تركه، فجزاؤه من الله عدلاً إنَّ يبقيه في ضلاله حائراً ويزداد ضلالاً إلى ضلاله"^(٢).

"وإنَّ انتماء المؤمن إلى أمة الإيمان، تصديقاً وبقيناً في العقل والقلب، وعملاً في الممارسة والسلوك، يتعزز بالحياة مع المؤمنين، والولاء لهم، والاحتماء بهم من عوامل الانحراف المتمثلة في أهواء النفس، ووساوس الفاسدين من شياطين الإنس والجن، ودعاة الشر، فالجماعة رحمة والفرقة عذاب"^(٣). وهذا الأسلوب في تزكية النفس له غاية الأثر في النفس.

ولما للصديق من تأثير بالغ في صديقه، فقد يكون سبباً في تزكيته وصلاحه، وقد يكون سبباً في ضلاله، لذلك جاء التأكيد على اختيار الصاحب في كتاب الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٥٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٠٢.

(٣) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد، التزكية، العمران، ص ١١٨.

الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَّ مِنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿ (الكهف: ٢٨)، يقول

السعدي في تفسيره لهذه الآية: "يأمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر

والنواهي إن يصبر مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ أي: أول

النهار وآخره، يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار،

ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ﴾ فإن هذا ضارٌ غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا،

فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق الناظر،

وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضع وقته، وينفرط أمره،

فيخسر الخسارة الأبديّة، والندامة السرمديّة، وبهذا قال: ﴿ وَلَا تُطْعَمَنَّ مِنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا ﴾

غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره. ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ أي صار تبعاً لهواه، حيث ما اشتتهت

نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه، وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ ﴾

أي: مصالح دينه ودنياه ﴿ فُرُطًا ﴾ أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته

تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به^(١).

وإن الانصهار مع الصحبة الصالحة ومخالطة الأخيار من طرق تركية النفس ولزوم تعلقها

بالآخرة، فتوقظ القلب على ذكر الله، وتسيطر على الشهوات واللذات وتملاً وقتها بذكر الله وطاعته.

فيصلح له أمر دينه ودنياه.

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٥٧.

وتشير الآيات إلى أثر الانصهار في الصحبة الصالحة، فالصاحب الصالح يوم القيامة يشفع وينفذ صاحبه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ (غافر: ١٨ - ١٩)، أورد السعدي في تفسيره للآيات: "يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ﴾ أي يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وأن الوصول إلى أهوالها وقلقلها وزلازلها، ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ أي: قد ارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروح والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم. ﴿ كَظْمِينٌ ﴾ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وكاظمين على ما في قلوبهم من الروح الشديد والمزعجات الهائلة. ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: قريب ولا صاحب، ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قُدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها" (١).

وإن الصحبة لها أعظم الأثر في بعث الهمة، وتربية الأخلاق الرفيعة في النفس، وتعين على تزكية النفس وتهذيبها، فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه، والصدقة أو الصحبة الشريفة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس، وإبتاؤها ثمراً طيباً في كل حين فالصحبة المتينة لا تحل في نفس إلا هدّبت أخلاقها الذميمة (٢).

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٣٥.

(٢) العلي، إبراهيم، رياض الأُنس في بيان أصول تزكية النفس، ص ١٩٠.

وإنّ كثير من الصالحين يعزّون صلاحهم إلى أنهم رافقوا أصحاباً أثروا فيهم أثراً صالحاً، أو أنهم وقّفوا لاختيار الصحبة الصالحة. هكذا يكون الانصهار في الموارد الإيجابية من معاشرّة الصالحين وسيلة مهمة في تزكية النفس.

الأسلوب الخامس: أسلوب تزكية النفس بإبراز مواطن العوض والجزاء المتضادة

والمراد بهذا الأسلوب إبراز مواطن الكافرين في النار وحالهم المرير، وإبراز مواطن المؤمنين في الجنة وحالهم مع النعيم؛ لأنه كما هو معروف بالأضداد تبرز الأشياء، ممّا يجعل ذلك مدعاة للتحرك التزكوي لروم المكانة المحمودة في الآخرة.

يقول محمد قطب: "إنّ الغالبية العظمى من مشاهد يوم القيامة - باستثناءات قليلة جداً - تجمع بين مشاهد العذاب ومشاهد النعيم في سياق واحد؛ وذلك يجيء على خطين مختلفين يلتقيان في النهاية كأنهما شيء واحد"^(١). وإنّ الجمع بين مشاهد العذاب ومشاهد النعيم في سياق واحد، تبرز بذكر الأضداد حال الكافرين المرير، وحال المؤمنين مع النعيم، ويظهر الجزاء العادل لكلا الطرفين، فتحرك هذه المقابلات المشاعر والوجدان في النفس ليستقيم السلوك فتبلغ المكانة المرومة.

ومن الأدلة على أسلوب تزكية النفس بإبراز مواطن العوض والجزاء المتضادة، قول الله

تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ (القيامة: ٢٠-٢٥). قال السعدي: "ثم ذكر ما يدعو إلى

إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿وُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة

الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٨.

وعشياً، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثلته شيء، فإذا رآوه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم. وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ﴾ أي: معبسة ومكدرة، خاشعة ذليلة ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست^(١). وهذا الأسلوب في إبراز موطن المؤمنين وموطن الكافرين، يحرك روح العمل والمنافسة لنيل المكانة المحمودة في الجنة.

ومن الآيات التي تبرز موطن العوض والجزاء والمتضادة ما ورد في المقابلة بين المجرمين والمتزكّين، فوردت سنة شرطية عن المجرمين أهل النار مقابل سنة شرطية عن المتزكّين أهل الدرجات العلى في الجنة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَن يَأْتِهِ مُمُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٤﴾﴾ (طه: ٧٤ - ٧٦). أورد ابن عاشور في دلالات النص أنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ والمجرم في اصطلاح القرآن هو الكافر، واللام في ﴿لَهُ جَهَنَّمَ﴾ لام الاستحقاق، أي هو صائر إليها لا محالة، ويكون عذابهم تجديداً فيها؛ فلا هو ميت لأنه يحسُّ بالعذاب، ولا هو حيٌّ لأنه في حالة الموت أهون منها، فالحياة المنفية حياة خاصة وهي الحياة الخالصة من العذاب والآلام. وقوله تعالى عن المؤمنين ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٩٩.

لَهُمُ الدَّرَجَاتُ ﴿ الإتيان باسم الإشارة للتبنيح على أنهم أحرىء بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما سبق اسم الإشارة. وذلك سبب التزكي: أي: التطهر من المعاصي^(١).

"هذا النوع من المقابلة بين الفريقين أسلوب قرآني مفرد في عدد من المواضع القرآنية. إذ كلما اجتهد العبد في تزكية نفسه، بحيث تصبح ممثلة للأوامر، مجتنباً للنواهي، مضبوطة الغرائز، صالحة الأعمال، ارتقت درجته وزادت قيمته عند ربه، وكلما دسى العبد نفسه، وابتعد بها عن هدي ربه حطت به في دركات الإثم والعذاب"^(٢).

ويشير السعدي في تفسير الآيات الكريمة فيقول: "يخبر الله تعالى إن من أتاه، وقدم عليه مجرمًا - أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر - واستمر على ذلك حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك إن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له. نعم إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإذا دعا، أجيب ب ﴿ قَالَ أَحْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾^(١٨). ومن يأت ربه مؤمناً به مصدقاً

لرسله، متبعاً لكتبه ﴿ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾ الواجبة والمستحبة، ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ أي: المنازل العاليات، وفي الغرف المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. و ﴿ وَذَلِكَ الثَّوَابُ ﴾ ﴿ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ أي: تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما إن لا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، ص ١٩٥.

يفعلها بالكلية، أو يتوب مما فعله منها، وزكى أيضاً نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإنّ للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين^(١). وتظهر الآيات المقابلة بين مواطن أهل النار من المجرمين الذين أجزموا في حق أنفسهم بإضلالها بالكفر، فكانت لهم نار جهنم الشديد عذابها، وبين مواطن أهل الإيمان، والعمل الصالح في الدرجات العاليات جزاء تطهير وتزكية أنفسهم من الشرك والكفر والفسوق والعصيان. فكان التزكي سبباً للنجاة، والاجتهاد في تزكية النفس سبباً للارتقاء في الدرجات العالية في الجنة.

ومن الآيات التي تظهر موطن الجزاء للكافرين مقابل موطن أهل الإيمان ما جاء في قوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ

رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ

أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَلْؤَلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتَّيَهُمْ عَذَابًا

ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ

عَيْنًا مِّن فَضْلِ فِدْوَقُوا الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٠٩.

صُدُّوهُمْ مِّنْ غَلِيٍّ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا
 أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجِنَّةُ أُوْرَثَتْ مُوَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿الأعراف: ٣٦ - ٤٣﴾، يقول ابن عاشور في معنى الآيات الكريمة: المراد بالذين كذبوا بآياتنا
 آيات القرآن الكريم، ومعنى التكذيب بها العناد بإنكارها وجحدها. وجملة (فمن اتقى وأصلح) جملة
 شرطية جوابها ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي فمن اتبع رسلي فانتقاني وأصلح نفسه وعمله
 فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أي لا خوف عليهم من عقوبة الله في الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون
 من شيء من ذلك، فالخوف والحزن المنفيان هما ما يوجبهما العقاب، وقد ينتفي عنهما الخوف والحزن
 مطلقاً بمقدار قوة التقوى والصلاح، وهذا من الأسرار التي بين الله وعباده الصالحين^(١).

ويقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾، والافتراء الكذب، والمراد
 بهم المشركون من العرب الذين كذبوا بآيات الله التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وافتروا
 على الله الكذب فيما زعموا إن الله أمرهم به من الفواحش. ويستفاد التهويل من الاستفهام الذي
 يستدعي السامع إن يسأل عما سيلاقونه من الله الذي افتروا عليه وكذبوا بآياته. وكلمة (حتى) في
 قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ ابتدائية تدل على إن مضمون الكلام الذي بعدها أهم بالاعتناء
 للالتقاء عند المتكلم، لأنه أجدى في الغرض المسوق له الكلام، وهذا الكلام الواقع هنا بعد (حتى)
 فيه تهويل ما يصيبهم عند قبض أرواحهم، وهو أدخل في تهديدهم وترويعهم وموعظتهم، من الوعيد
 المتعارف عليه^(٢).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٨٦ - ٨٩.

ويقول ابن عاشور في تفسير لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، أي: تصف

أحوالهم في النار، ونفطيتها للسامع، ليعتظ أمثالهم ويستبشر المؤمنون بالسلامة مما أصابهم. والمراد

بـ ﴿أُخْتَهَا﴾ أي كل أمة تدخل تلعن كل أخت لها، والمراد (بأختها) المماثلة لها في الدين الذي أوجب

لها الدخول في النار. وإنما يقع ذلك بعد إن يتبين لهم إن ما كانوا عليه من الدين هو ضلال وباطل،

وبذلك تقع في نفوسهم كراهية ما كانوا عليه؛ لأنّ النفوس تكره الضلال والباطل بعد تبيّنه، ولأنهم رأوا

أنّ عاقبة ذلك كانت مجلبة العقاب لهم، فيزدادون بذلك كراهية لدينهم، وقوله تعالى: ﴿أَدَارَكُوا﴾

أي تلاحقوا واجتمعوا في النار. أي اجتمعت أمم الضلال كلها. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾

إخبار عن حالهم في الآخرة وتحقيق لخلودهم في النار^(١).

ثم أعقب الإنذار والوعيد للمكذّبين، بالبشارة والوعد للمؤمنين المصدقين على عادة القرآن في

تعقيب أحد الغرضين بالآخر. وعطف على ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ أي: وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات،

لأنّ بين مضمون الجملتين مناسبة متوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وهو التضادّ بين

وصف المسند إليهما في الجملتين، وهو التكذيب والإيمان بها، وبين حكم المسندين وهو العذاب

والنعيم، وهذا من قبل الجامع الوهمي المذكور في أحكام الفصل والوصل من علم المعاني^(٢).

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾

اتساق النظم يقتضي إن تكون جملة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ حالاً من الضمير في قوله ﴿هُمْ﴾

فيها خلدوت ﴿وَنَزَعْنَا﴾ معترضة بين جملة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا﴾

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٩٢ - ٩٨.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٩٩ - ١٠٠.

خَالِدُونَ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ اعتراضاً بين به حال نفوسهم في المعاملة في الجنة، ليقابل الاعتراض الذي أدمج في أثناء وصف عذاب أهل النار، والمبين به حال نفوسهم في المعاملة بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه^(١).

والظاهر من دلالة النصوص السابقة الجمع بين حال المؤمنين في الجنة، مقابل حال الكافرين في عذاب النار، مدعاة لمحبة إن تكون النفس مع أهل الجنة، وتتفر من مصير أهل الضلالة والكفر، وفي ذلك تزكية للنفس، والعمل على إصلاحها واستقامتها.

الأسلوب السادس: أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية بين الدنيا والآخرة

يُعد أسلوب المفاضلة الجزائية من أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ويعني إن يعمد الفرد إلى إحداث المفاضلة والمقارنة بين الجزاء الدنيوي المحدود، وبين الجزاء الأخروي الأبدي؛ ليكون ذلك مدعاة لاستقامة النفس وتزكيتها.

إن المنهج التربوي في آيات القرآن الكريم استخدم أسلوب الموازنة العقلية والمقاسية الواقعية بين الدنيا والآخرة، ليظهر بهذه المقارنة ذلك التباين بين كل منهما، فيترجح للعقل أفضلية الآخرة على الدنيا، وأفضلية أهل الجنة على أهل النار، ليكون ذلك أجلى للحقيقة، وأدعى لتزكية النفوس. ويظهر أسلوب القرآن الكريم في عقد الموازنة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، من خلال بيان إن الحياة الدنيا صغيرة ومحدودة، وأمّا الآخرة فهي واسعة تشمل جنة عرضها السماوات والأرض. وأمّا من حيث الزمن فإنّ الحياة الدنيا قصيرة وفانية، والحياة الآخرة باقية ودائمة وخالدة لا تغني ولا تزول، وهذا يترك أثره في الفكر وفي تزكية النفس على أساسها، ويتضح ذلك في قول الله تعالى:

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٠٠-١٠١.

﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُوْرِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوْا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿٢١﴾﴾ (الحديد: ٢٠ - ٢١)، يقول السعدي في تفسيره للآيات الكريمة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ ﴿إِنَّ الله عز وجل يخبر عن حقيقة الدنيا وما هي عليه ويبين غايتها وغاية أهلها،
بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقة ما هو موجود وواقع من أبناء
الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله، واما أمامهم من
الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم
معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع
القاصر. وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب والمراكب والقصور والجاه وغير
ذلك، وتفاحر وتكاثر من المال والولد وهذا مصداقة وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف
من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبراً ولم يجعلها مستقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل
التي توصله إلى الله، وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة^(١).

ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس
والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى
الدنيا، جاءها من أمر الله (ما أتلفها) فهاجت وبيست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٤١.

خضراء، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، إذ أصابها القدر أذيتها، وأزال تسلطه عليها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتباً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه. وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدّخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد. ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجراً على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله. وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها. فهذا كله ممّا يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة^(١).

وإن المتتبع للمنهج القرآني في الآيات السابقة، يجد أنّ أسلوب الموازنة العقلية والمفاضلة الجزائية بين الدنيا والآخرة، واضحاً وجلياً ممّا يترك أثره في الفكر والوجدان والسلوك، لتزكو النفس، إذ أنّه قد بينت الآيات من سورة الحديد أنّ الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ، يسيطر على قلوب الغافلين عن ذكر الله تعالى، وغرور وتنافس بالأموال والأولاد، وذلك لمن جعل همه الدنيا. أما من اتخذ الدنيا معبراً للآخرة، ولم يجعلها مستقراً، فنافس بما يقربه إلى الله واتخذ الوسائل الموصلة لذلك، فهذا قد عرف الدنيا على حقيقتها.

وإنّ الموازنة العقلية بين الحياة الدنيا الفانية والحياة الآخرة الكريمة الخالدة، توفظ فكر الإنسان وتحميه من الجهل والضلالة في إثثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة النعيم الخالد والراحة الأبدية مقابل الكدح والتعب والشهوات الدنيوية المؤقتة الفانية. قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٤١.

وَالْحَرْثُ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ۖ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن

ذَٰلِكُمْ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ (آل عمران: ١٤ - ١٥)، يقول ابن عاشور في تفسيره

للآيات الكريمة: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ﴾ استئناف نشأ عن قوله: ﴿إِنَّ لَنْ تَغْفَى عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ

وَلَا أَوْلَادَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٠)، إذا كانت إضافة أموال وأولاد إلى ضمير (هم) على أنها معلومة

للمسلمين، قصد منه عظة المسلمين ألا يغتروا بأولادهم بحال الذين كفروا فتعجبهم زينة الدنيا، وتلهبهم

عن التهمم بها عن الفوز في الآخرة، فإن التحذير يستدعي التحذير من البدايات، وقد صدر هذا

الوعظ والتأديب ببيان مدخل هذه الحالة إلى النفوس، حتى يكونوا على أشد الحذر منها؛ لأن ما

قرارته النفس ينساب إليها من الأنفاس. والترين تصيير الشيء زينة أي حسناً فهو تحسين الشيء

المحتاج إلى التحسين، وإزالة ما يعتريه من القبح أو التشويه. فالزينة هي ما في الشيء من المحاسن.

وسياق الآية تفضيل معالي الأمور وصالح الأعمال على المشتبهات المخلوطة أنواعها بحلال منها

وحرام، والمعرضة للزوال، فإن الكمال بتزكية النفس لتبلغ الدرجات القاسية، وتناول النعيم الأبدى

العظيم، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ۖ﴾.

وبيان الشهوات بالنساء والبنين وما بعدهما، بيان بأصول الشهوات البشرية. فالميل إلى النساء والبنين

مركز في الطبع، وضعه الله عز وجل لحكمة. والذهب والفضة شهوتان لما أودع الله في النفوس من

حب النقود والقناطر والخيل والأنعام، والاشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى جميع ما

تقدم ذكره، وإفراد كاف الخطاب، علامة على إن المخاطب الواحد هي الغالب في الاقتران بأسماء

الإشارة لإرادة البعد، والبعد هنا بُعد مجازي بمعنى الرفعة والنفاسة. والمتاع مؤذن بالقلّة وهو ما يستمتع

به مدة. ومعنى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ ﴿ أن ثواب الله خير من ذلك والمآب: المرجع، والمراد العاقبة في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِحَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ استئناف بياني، فإنه نشأ عن قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ المقتضي إن الكلام مسوق مساق الغض من هذه الشهوات. وفي الآية بيان لما أعده الله تعالى للذين اتقوا في الجنة من نعيم ورضوان الله تعالى. وجملة ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ اعتراض لبيان الوعد أي أنه عليم بالذين اتقوا ومراتب تقواهم، فهو يجازيهم^(١).

وإن أسلوب الموازنة العقلية التي استخدمتها الآيات السابقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، في إيضاح حقيقة الدنيا بأنه زينة واغترار بالشهوات الفانية، تحذير للنفس، وتأديب ووعظ ببيان مداخل الشهوات الدنيوية وزينتها إلى النفوس، وبيان مواطن الكمال بتزكية النفس لتبلغ الدرجات العالية والنعيم الأبدي في الآخرة.

وإن الكثير من الآيات القرآنية أظهرت أسلوب المفاضلة الجزائية بين الجزاء الدنيوي والجزاء الآخروي، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (النحل: ٩٥ - ٦٩)، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكداها بأيمانكم، تطلبون بنفضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يثبكم الله على الوفاء به، فإنما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، فضل ما بين العوضين

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٣٧-٤٢.

الذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به، ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا، وإن كثر فنافد فإن، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باقٍ غير فانٍ، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا . وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وليثيبن الله الذي صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوأها، وليغفرن الله لهم سيئها بفضله^(١).

فالجزاء الذي عند الله عز وجل لا ينفذ، وما عند الناس ينفذ، وفرق بين العوضين وهذا مدعاة إلى تزكية النفوس بالالتزام بالطاعات وفعل الخيرات، فإن عقد المفاضلة الجزائية بين جزاء الدنيا والآخرة، والموازنة العقلية والمقايسة بينهما، مدعاة لإثارة الحرص على اختيار أفضل الخيارات المتاحة، بناءً على القياس العقلي السليم.

الأسلوب السابع: أسلوب النظر في الإشارات الدنيوية المناظرة للمعالم الآخروية

والمراد بهذا الأسلوب هو نظر النفس في الإشارات والعلامات الحاصلة في الحياة الدنيا؛ والتي تأتي مقابلة ومشابهة لمعالم الآخرة، ويأتي ذلك لتزكية التفكير عبر تذكر الآخرة واستبصار ما سيحدث حينها، ولتزكية الوجدان عبر الخوف أو الفرح من معالم الآخرة، وكذا تزكية السلوك.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، النظر في النوم كنظير للموت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٧، ص ٢٨٩.

وَيُرْسَلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الزمر: ٤٢﴾، يقول

ابن عاشور في تفسيره للآية: إنَّ فيها استدلالاً على تفرد الله تعالى بالتصرف في الأحوال، فاستدلَّ بحالة عجيبة من أحوال أنفس المخلوقات وهي حالة الموت وحالة النوم. وأبرزت الآية حقيقتين عظيمتين من نواميس الحياتين النفسية والجسدية. وتقديم اسم الجلالة على الخبر الفعلي؛ لإفادة تخصصيه بمضمون الخبر، أي الله يتوفى لا غيره، فهو قصر حقيقي لإظهار فساد إنَّ أشركوا به آلهة لا تملك تصرفاً في أحوال الناس. و﴿الْأَنْفُسُ﴾ جمع نفس، وهي الشخص والذات، وتطلق على الروح الذي به الحياة والإدراك، ومعنى التوفي يتعلق بالأنفس على كلا الإطلاقين. والمعنى: يتوفى الناس الذين يموتون، فإنَّ الذي يوصف بالموت هو الذات لا الروح، وأنَّ توفيتها سلبُ الأرواح عنها. وقوله ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ عطف على الأنفس باعتبار قيد ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ لأنه في معنى الوصف فكأنه قيل يتوفى الأنفس التي تموت في حالة نومها، والأنفس التي لم تمت في نومها فأفاقت. ويتعلق ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ بقوله: ﴿يَتَوَفَّى﴾، أي ويتوفى أنفساً لم تمت يتوفاها في منامها كل يوم، فعلم أنَّ المراد بتوفيتها هو منامها، وهذا جارٍ على وجه التشبيه بحسب عرف اللغة، إذ لا يطلق على النائم ميّت ولا متوفى. وهو تشبيه نُحي به مَنحَى التنبيه إلى حقيقة علمية، فإنَّ حالة النوم حالة انقطاع أهم فوائد الحياة عن الجسد وهي الإدراك، والإمساك: الشد باليد، والمعنى فيبقى ولا يرد النفس التي قضى عليها الموت، أي يمنعها إنَّ ترجع إلى الحياة، والإرسال: الإطلاق والتمكين من مبارحة المكان للرجوع إلى ما كان. والمراد بـ ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ التي لم تمت، ولكن الله جعلها بمنزلة الميتة. والمعنى: يردُّ إليها الحياة كاملة. والمقصود من هذا إبراز الفرق بين الوفاتين^(١).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٩٩ - ١٠٠.

إن الناظر في الإشارات الدنيوية في التوقّي والإمساك والإرسال للأنفس، يدرك أنّها آياتٌ دالة على كمال قدرة الله تعالى، ودلالاتٌ للنفس المتفكرة في ذلك. وإنّ هذه المعالم لها نظيرها في الآخرة، فإنّ "النوم أخو الموت، بل هو موتة صغرى، فالله تعالى يتوقّي الأنفس بالموت والنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها، قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها" (١). وإنّ هذا التفكّر لهو تزكية للتفكير عبر تذكّر الآخرة، وتزكية للوجدان بالوجل والخوف من معالم الآخرة، وتزكية للسلوك بالعمل على إصلاح الأحوال قبل القدوم إلى الله.

ويظهر أسلوب النظر في الإشارات الدنيوية المناظرة للمعالم الآخروية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَتْهُ لِبَدَائِمْ مَوْتًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧). يشير ابن عاشور في معنى الآية إلى أنّ الرياح تنتشر السحاب، وأنها تأتي من جهات مختلفة تتعاقب فيكون ذلك سبباً في امتلاء الأسحابة بالماء، وأنها تحيي الأرض بعد موتها، وأنها تبشر الناس بهبوبها فيدخل عليهم بها سروراً. والمقصد من قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ تفرّيع للمشركين وتفنيد إشراكهم، وتبعية تذكير المؤمنين وإثارة اعتبارهم، لأنّ المشركين يعلمون إنّ للرياح مصرفاً وأنّ للمطر منزلاً، غير أنهم يذهلون أو يتذاهلون عن تعيين ذلك الفاعل، ولذلك يجيئون في الكلام بأفعال نزول المطر مبنية إلى المجهول غالباً، فأخبر الله تعالى بأنّ فاعل تلك الأفعال هو الله، وذلك بإسناد الموصول إلى ضمير الجلالة، وقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي جميع الثمرات قد أخرجها الله بواسطة الماء وجملة ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ معترضة استطراداً للموعظة والاستدلال

(١) الصلابي، علي محمد، الإيمان باليوم الآخر - فقه القدوم على الله، ص ١٣٧.

على تقريب البعث الذي يستبعدونه، والإشارة بـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى الإخراج المتضمن له فعل ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ باعتبار ما قبله من كون البلد ميتاً، ثم إحياءه، أي إحياء ما فيه من أثر الزرع والثمر، فوجه الشبه هو إحياء بعد موت. ولا شك أنّ لذلك الإحياء كيفية قدرها الله وأجمل ذكرها لقصور الإفهام عن تصورها^(١).

إنّ دعوة الآيات إلى تذكرة النفوس من خلال أسلوب النظر في الإشارات الدنيوية بإخراج الثمرات أو إحياء البلد الميت، كمنظير لإخراج الموتى من الأجداث في اليوم الآخر، وإنّ هذا مدعاة لتزكية النفس واستقامتها.

الأسلوب الثامن: أسلوب ضرب المثل لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يُعد أسلوب ضرب المثل من الأساليب التي استخدمت في القرآن الكريم، وذلك من أجل تحقيق الموعظة والعبرة في النفوس. إذ أنّ المثل يؤدي إلى تقريب الأفكار وجعلها مفهومة، فيكون التأثير في النفس أبلغ وأقوى من الأفكار المجردة، إضافة إلى ما يحدثه ضرب المثل من الإثارة وإيقاظ الفكر والتحفيز. ويُعرّف العلماء المثل في القرآن الكريم بأنه "إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلًا"^(٢). وقد استخدم القرآن الكريم المثل بلفظ صريح، أو يدل على التشبيه، بما تحويه هذه الأمثال من عبر وعظة وإقناع.

وإنّ إيراد المثل في القرآن الكريم في آيات اليوم الآخر، "يؤكد في أذهان البشر حقيقة واقعة عن الجنة ومنتعها ونعيمها وأحوالها، وعن النار وعذابها وشدتها وأحوالها، حتى يتسنى للإنسان إن

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٣٨ - ١٤١.

(٢) عبود، باسمه هلال، الأساليب التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، عدد ٤٨، ٢٠١٦، ص ٦٢.

يقف على صورة قريبة من ذلك، ولا بد إنَّ تكون هذه الصورة من جنس ما يعرفه، وأن يكون التشبيه من واقع ما يعلمه، وأن يكون المثل ممَّا مرَّ به^(١).

ومن الآيات القرآنية التي تبين أسلوب الضرب بالمثل لتصوير الجنة، وتقريب المعنى

للأذهان، حيث بدأت بضرب المثل، وذلك في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ

مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾

(محمد: ١٥)، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: عن إطلاق الأنهار على أنهار الماء فهو حقيقة،

وأما إطلاق الأنهار على ما هو من لبن وخمر وعسل فذلك على طريقة التشبيه البليغ، أي مماثلة

للأنهار، فيجوز إنَّ تكون المماثلة تامة في أنهار كالأنهار مستبحرة في أحاديث من أرض الجنة، فإنَّ

أحوال الآخرة خارقة للعادة المعروفة في الدنيا، فإنَّ مرأى أنهار من هذه الأصناف مرأى مبهج،

ويجوز إنَّ تكون مماثلة هذه الأصناف للأنهار في بعض صفات الأنهار وهي الاستبحار وهذه

الأصناف الخمسة المذكورة في الآية كانت أفضل ما يتنافسون فيه ومن أعز ما يبتسر الحصول

عليه، فكيف الكثير منها، فكيف إذا كان منها أنهار في الجنة. وتناول هذه الأصناف من التفكّة الذي

هو تتعم أهل اليسار والرفاهية. وقد ذكر هنا أربعة أشربة هي أجناس أشربتهم^(٢).

وإن الآية الكريمة استخدمت أسلوب ضرب المثل وبدأت به بالتمثيل للجنة التي وعد المنقون

فيها، وليس بإيراد أوصاف حرفية، فإنَّ هذا لا يمكن تصويره، فكان ضرب المثل لتقريب صورة الجنة

من الأذهان، وتمثيلها بجنس ما يعرفه من أمور واقعية في حياته، فيقف على صورة قريبة منها.

تركز في فكره ووجدانه فتحدث في نفسه أثراً بالغاً في تركيبها.

(١) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١١٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٨٠ - ٨١.

ومن الأساليب البيانية التمثيلية التي استخدم فيها التشبيه في وصف الحور العين بأنها

الياقوت والمرجان، في قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨).

فالياقوت والمرجان معروفان، وذلك باجتماع البياض مع الصفاء، وهذا من صفات الحور

العين التي تشبه الياقوت والمرجان في بياضها وصفائها وحمرة خدودها، وهذا كمال الحسن. وبهذا

تشكلت المعرفة في العقل للأمر المجهول، فتولد معرفتها استشعاراً بجميل الجزاء من الله تعالى^(١).

وذلك إذا آمن الإنسان وعمل صالحاً، يعني إذا قام بتزكية نفسه كما أراد الله عز وجل.

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وذلك لصفائهن وجمال

منظرهن وبهائهن^(٢). وإن في هذا التمثيل بالياقوت والمرجان تقريباً للمعنى إلى الأذهان. فتستشعر

النفس الجزاء الجميل فيكون دافعاً لتزكيتها.

الأسلوب التاسع: أسلوب التصوير والتجسيم الفني

أسلوب لتزكية النفس الإنسانية في ضوء آيات اليوم الآخر وأحداثه، يعتمد على تصوير

الحقائق في اليوم الآخر، في صورة فنية، وتجسيمها كأنها حية على أرض الواقع، مما يكون له الأثر

البالغ في تزكية النفس.

يقول سيد قطب: "لقد عني القرآن بمشاهد القيامة: البعث والحساب، والنعيم والعذاب؛ فلم يعد

ذلك العالم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفاً فحسب، بل عاد مصوراً

محسوساً، وحيّاً متحركاً، وبارزاً شاخصاً؛ وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهدته،

وتأثروا بها؛ وخفقت قلوبهم تارة، واقتشعرت جلودهم تارة أخرى؛ وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم

الاطمئنان أخرى؛ ولفحهم من النار شواظ، ورفّ إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا

(١) جابر، تهاني عفيف، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، ص ١٨٩.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٣١.

العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود^(١). فمشاهد يوم القيامة التي تجسمها وتصورها الآيات القرآنية لها أثر بالغ في النفس الإنسانية.

ومن الأدلة القرآنية على أسلوب التصوير الفني لمشاهد يوم القيامة، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ

يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا

مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ

يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُؤًا

فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ

تَمَتَّرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ

وَإِسْتَبْرَقٍ مَّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ مِحْرًا وَعَيْنٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ

ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾

(الدخان: ٤٠-٥٦).

قال سيد قطب: "ويبدأ المشهد بعرض لشجرة الزقوم، بعد تقرير أنها طعام الأثيم، عرض مفرع

مرعب مخيف، إن هذا الطعام مثل دردي الزيت المغلي، يغلي في البطنون كغلي الحميم، وهناك هذا

الأثيم، هذا المتعالي على ربه وعلى الرسول الأمين، خذوه أخذاً واعتلوه عتلاً، وشدوه في إهانة وجفوة

فلا كرامة ولا هوادة، وهناك صبوا فوق رأسه من ذلك الحميم المغلي الذي يشوي ويكوي، ومع الشد

والجذب والعتل والكيّ والمشي التأنيب والترذيل: ذق إن كانت العزيز الكريم، وهذا جزاء الكريم في

غير ما عزة ولا كرامة، فقد كان ذلك على الله وعلى المرسلين. وبينما الأخذ والعتل، والصب والكي،

(١) قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، ص ٣٧.

والتأنيب والخزي في جانب من جوانب الساحة يمتد البصر بعين الخيال إلى جانب آخر. فإذا (المتقون) يلبسون من سندس - وهو الحرير الرقيق - ومن استبرق - وهو الحرير السميك - ويجلسون متقابلين في مجالسهم يسمرون^(١).

فإنّ عرض مشاهد يوم القيامة بهذه الصورة الفنية الدقيقة، وكأنها ماثلة للأنظار، وبارزة شاخصة، ومصوّرة محسوسة، إنّ ذلك ممّا يحدث أثراً في النفس فتفرع لمشاهد أهل النار، وترق إلى نسيم الجنة.

والتجسيم هو تشبيهات لإحالة المعاني والحالات صوراً وهيئات، ومنه تجسيم المعنويات، لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل على وجه التصيير والتحويل^(٢)، ومنه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٠).

فيجعل كأن هذا العمل المعنوي مادة محسوسة. تُحضر (على وجه التجسيم) أو تحضر هي (على وجه التشخيص) أو توجد عند الله كأنها وديعة تُسلم هذا فتتسلم هناك^(٣).

وقريب من هذا تجسيم الذنوب كأنها أحمال (تحمل على الظهر زيادة في التجسيم): ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ (الأنعام: ٣١) ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر: ١٨). ومن

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص ٣٢١٧.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص ٦٩.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص ٦٩.

تجسيم المعنويات أمثال: ﴿ وَتَرَوُّوْا فَاِتَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّقْوَى ﴾ (البقرة: ١٩٧) فالتقوى زاد.

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة: ١٣٨) فدين الله صبغة معلمة.

وتتحدث الآيات عن حالة نفسية معنوية هي حالة التضايق والضجر والحرج، فتجسمها،

كحركة جثمانية، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ

مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر: ١٨) فالقلوب كأنما تفارق مواضعها وتبلغ

الحناجر حقاً من شدة الضيق ومنه: ﴿ فَكَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(الواقعة: ٨٣-٨٤)، كأنما الروح شيء مجسم، يبلغ الحلقوم في حركة محسوسة^(١).

ومنه ما يكون الوصف حسياً بطبيعته فيختار عن الوصف هيئة تجسمه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ

يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (العنكبوت: ٥٥) في مكان: يأتيهم من كل جانب

أو يحيط بهم، لأنَّ هيئة الغشيان من فوق ومن تحت أدخل في الحسية من الوصف بالإحاطة^(٢).

ومن التجسيم وصف المعنوي بمحسوس: كوصف العذاب بأنه غليظ ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ

غَلِيظٌ ﴾ (ابراهيم: ١٧)، واليوم بأنه ثقيل: ﴿ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٧) فينتقل

العذاب من معنى مجرد إلى شيء ذي غلظ وسمك؛ وينتقل اليوم من زمن لا يمسك إلى شيء ذي

كثافة ووزن^(٣).

(١) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٦٩-٧٠.

(٢) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص ٧٠.

(٣) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص ٧١.

ومن السياقات القرآنية التي تدل على التصوير الفني الدقيق لمشاهد يوم القيامة، شهادة

أعضاء الجسم على الإنسان:

فالتصوير الفني الدقيق لهذا الموقف الرهيب، والمشهد الذي سيحدث في الآخرة حقيقة أمام

العين بشهادة أعضاء الجسم على الإنسان كما تصوره الآيات الكريمة، جعل هذا المشهد ماثلاً أمام

الأنظار، ومن الآيات التي عرضت لهذا المشهد ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ (النور:

٢٣ - ٢٤).

- وقوله تعالى: ﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ (يس: ٦٥).

- وقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ

عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ

عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

(فصت: ١٩ - ٢١).

وإن الآيات الكريمة عرضت لمشاهد تخاصم الإنسان مع أعضائه، وشهادة الأعضاء عليه،

بطريقة فنية ماثلة أمام العيان، بما يحدث أثراً بالغاً في نفسه فهذه الأعضاء التي يستخدمها الإنسان

في حياته الدنيا في عصيان الله عز وجل، ومخالفة أوامره، وفعل المنكرات، سوف تشهد عليه يوم

القيامة، معلنة براءتها منه ومن أعماله السيئة.

ومن السياقات القرآنية التي يدل التحول فيها إلى الماضي على سرعة تحقق الفعل وحدوثه،

قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

وَكَلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ (النمل: ٨٧)، فقد تحوّل السياق القرآني من الفعل المضارع "يُنْفَخُ" إلى

الماضي "فَفَزِعَ"، وهما فعلا نعتيان للإخبار عن المستقبل، ولكن تختلف دلالتهما، فدلالة

المضارع في الإخبار عن المستقبل تفيد استحضر صورة الحدث من المستقبل البعيد، وهو يوم

القيامة حتى وكأنها ماثلة أمام الأنظار. ودلالة الماضي في الفعل "ففرغ" تفيد تحقق حدوثه وحصوله،

وإنّ فيه مزيداً من تأكيد أمر البعث والنشور ودلالة على السرعة والدهشة والذهول^(١).

فهذا التصوير الفني من خلال السياقات القرآنية في استعمال الفعل المضارع يجعل صورة

الحدث ماثلة أمام الانظار، تستشعر فيها النفس هذا التصور عن المستقبل البعيد وهو يوم القيامة،

مما يحدث الأثر البالغ في نفوس العباد، فيكون وسيلة من وسائل تركيتها.

الأسلوب العاشر: أسلوب تقريب البعيد من الأذهان وتصوير الأمور الغيبية بأمر

محسوسة

المراد بأسلوب تقريب البعيد من الأذهان وتصوير الأمور الغيبية بأمر محسوسة، أي تقريب

الأمور الغيبية بأمر محسوسة عن الإنسان، مما يزيد في إيمانه بهذا الأمر، فيكون لذلك الأثر البالغ

في التأثير على النفس الإنسانية وإن تقرب حقيقة الحياة الآخرة إلى الأذهان، يلفت الحس إلى التعرف

على المحسوسات للوصول عن طريقها إلى القناعات.

(١) العبدلي، أمير فاضل والتهاري، عبد الله علي، دلائل البيان في أساليب القرآن (مباحث بيانية في أساليب

القرآن الكريم)، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١١٥.

إن تشبيه المعاني الذهنية المجردة بالأشياء الحسية الملموسة، يؤدي إلى وضوحها، وإدراك المعنى وتكوين صورة له في الخيال، ويكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى فعالية من الأفكار المجردة، بالإضافة إلى ما في التصوير والتشخيص الحي من الإثارة والمتعة، مما يطرد السأم، ويوقد الذهن، ويحضر القلب^(١).

ومن أساليب القرآن في تصوير المعاني الذهنية التي تخرج في صورة حسية، قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (ال عمران: ٧٧)،

ويريد إن يثبت معنى الحرمان والإهمال في الآخرة لهؤلاء الذين أعطاهم الله الكتاب من قبل الإسلام فأهملوه، وعاهدتهم على الإيمان فعاهدوه، ثم أخفوه، ابتغاء نفع مادي قليل، شأن من لا عهد له، ولا احترام لكلمته فيرسم لهذا الإهمال المعنوي صورة حسية. فيوضح معنى الإهمال لا بألفاظ الإهمال، ولكن برسم الحركات الدالة عليه: لا كلام ولا نظر ولا تزكية وإنما عذاب أليم^(٢).

وإن المتأمل في النص القرآني السابق، الذي يرسم صورة حسية للمعاني الذهنية المجردة،

يرسم الإهمال المعنوي بصورة حسية وحركات ماثلة أمام الأنظار، فلا كلام ولا نظر ولا تزكية، ولكن عذاب أليم تجد النفس في هذا السياق إلى الوصول إلى قناعات تشير فيها إلى الحث على الالتزام بأوامر الله ومنهجه، ومن خلال تزكية النفس.

ومن السياقات القرآنية التي تستخدم أسلوب تقريب البعيد من الأذهان ولفت الحس إلى التعرف

إلى المحسوسات للوصول عن طريقها إلى القناعات، دلالة البعث بأمر حسي واقع معروف لا ينكره

(١) عمر، أحمد عمر، منهج التربية في القرآن والسنة، ص ٢٣٢.

(٢) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص ٤٠.

أحد، ومن ذلك، قول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتِ وَحَبَّ الْحَصِيدِ

﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَزَقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (ق: ٩

-١١). قال الطبري: ونزلنا من السماء مطراً مباركاً، فأنبتنا به بساتين، أشجاراً وحباً الزرع المحصود

من البر والشعير وسائر الحبوب ﴿ رَزَقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ أي انبتنا بهذا الماء الذي أنزل قوتاً للعباد. وأحيينا

بهذا الماء بلدة ميتاً. ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ يراد بذلك أنه كما إنَّ الله تعالى أنبت بهذا الماء الأرض

الميتة فأحياها به وأخرج نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم

فيها بما ينزل عليها من الماء^(١).

قال ابن كثير: "قوله: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ وهي الأرض التي كانت هامة فلما نزل

عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك ممّا يحار الطرف في

حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتزّ خضراء، فهذا مثال للبعث والهلاك كذلك

يحيي الله الموتى، وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم ممّا أنكره الجاحدون للبعث"^(٢).

وهذا الأسلوب في لفت الحس إلى إنزال المطر وظهور النبات وهو مشاهد محسوس، للوصول

إلى إثبات البعث بعد الموت وإحياء الأجساد.

الأسلوب الحادي عشر: أسلوب تزكية النفس بالمراقبة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يُعد أسلوب تزكية النفس بالمراقبة لله تعالى، وإبقاء النفس في حالة يقظة دائمة لكل صغيرة

وكبيرة، تعد أنفاسها وخلجاتها وتشعر بمراقبة الله عز وجل لها في السر والعلن، من أكثر أساليب

(١) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١١، ص ٤١٠ - ٤١٢.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٣٨.

ووسائل التزكية أهمية. وبالأخص عند الربط بين تزكية النفس بالمراقبة لله تعالى وبين الجزاء في اليوم الآخر.

وإنّ زرع وازع المراقبة لله تعالى في النفوس، دافع لها حتى تزكو وتكمن أهمية المراقبة أنها تربي في المؤمن الحس الإيماني الدائم بأنّ الله رقيب عليه، مطّلع عليه في السر والعلن، ومُحصٍ عليه كلّ شيء، فيلاحظ أنفاسه وخطراته؛ هل هي لله؟ هذا من أهم ما يحتاجه المؤمن في حياته ليصلح حاله^(١). وقد حث القرآن الكريم النفس على مراقبة الله تعالى في كل أوقاتها. وبينت الآيات الكريمة إنّ كل أعمال الإنسان، الصغيرة منها والكبيرة، السيئة والحسنة، تسجل وتحفظ في صحيفة أعماله، وتبقى لتعرض عليه يوم القيامة، فيحاسب عليها.

وإنّ المراقبة تقي النفس من تحكّم الهوى وتسلط الشهوة، لأنّ ذلك يعمي صاحبها عن عيوبها، ويوقعه في العجب والأنانية فلا يميز بين الضارّ والنافع إلا بما يلي عليه هواه. وهذه المراقبة لا تقتصر على ساعة من نهار وإنما هي يقظة دائمة^(٢). واليقظة الدائمة سبب في تزكية النفس وفوزها في اليوم الآخر.

وقد حذر الله عز وجل العباد من علمه فيهم، ومعرفته لعلّهم وسرهم، وهذا مدعاة لتزكية نفوسهم على تقوى الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)، يقول ابن كثير: "يُخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حقّ الحياء، ويتقوه حقّ تقواه،

(١) ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، ص ١٣١.

(٢) كرزون، أنس أحمد، أمراض النفس، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧، ص ١٣٤.

ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانةً، ويعلم ما تتطوي عليه خبايا الصُّدْف من الضمائر والسرائر" (١).

ويقول السعدي في تفسيره للآية: "﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ وهو النظر الذي يخفيه العبد من جلسه ومقارنه، وهو نظر المسارقة، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ مما لم يبينه (العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى" (٢).

والشاهد في الآية أن الله عز وجل حذر من يوم القيامة الذي يعرض فيه كل أعمال العباد، التي يعلمها الله تعالى صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيقتها، ظاهرها وباطنها، ليكونوا على استعداد لذلك اليوم العظيم، فينتقوا الله عز وجل ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه.

وقد ربطت كثير من آيات القرآن الكريم بين تزكية المؤمن نفسه على المراقبة لله تعالى وبين الجزاء في الآخرة، من حيث إحصاء كل صغيرة وكبيرة، وحساب الإنسان على ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق: ١٦ - ١٨)، فالنفس مراقبة في كل الأوقات، وكل صغيرة وكبيرة تُعَدُّ وتحصى، وسوف يحاسب عليها أمام الله عز وجل.

وبينت الآيات أن الله مطلع على كل أعمال العباد ولو كانت صغيرة كحبة الخردل، التي تشبه حبة السمسم في دقتها وصغرها، وإن الله سيجازي الإنسان عليها يوم القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١٣٧.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٣.

خَرَدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿ (الأنبياء: ٤٧)، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: إنَّ الميزان مناسب لعظمة ذلك لا يشبه ميزان الدنيا ولكنه على مثاله تقريباً، وعلى هذا التفسير يكون الوضع مستعملاً في معناه الحقيقي وهو النصب والإرصاد. وقيل إنَّ الميزان الواقع في القرآن مَثَلٌ للعدل في الجزاء والقسط: العدل، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدَلٍ﴾، إنه إنَّ كان لنفس حبة من خردل من خير أو شر يؤت بها في ميزان أعمالها ويجاز عليها. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ أي كفاهم نحن حاسبين أنهم لا يتطلعون إلى حاسب آخر يَعْدِل مثلنا، وهذا تأمين للناس من إنَّ يجازى أحد منهم بما لا يستحقه، وفي ذلك تحذير من العذاب وترغيب في الثواب^(١).

وكثير من آيات القرآن تدعو النفس الإنسانية إلى وجوب الحذر من الذنوب، والمراقبة لله تعالى فيها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠)، ويقول الطبري في تفسير هذه الآية: "يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ويحذركم الله نفسه، في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً موقراً، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ يعني غاية بعيدة، فإنَّ مصيركم أيها القوم يومئذ إليه، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم"^(٢). وهذا يبين أهمية مراقبة الله وأنها أفضل الطاعات إلى الله، وأنها سبب في تزكية النفوس من خلال حذرنا من الذنوب.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٠ - ٦٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٦، ص ٣١٩.

وإن النفس لا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بحاسبتها قبل إن تُحاسب. يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي حاسبوا أنفسكم قبل إن تحاسبوا

وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ... واعلموا أنه

عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية"^(١) فلا بد للمسلم من محاسبة ومعاينة نفسه

ومعاينتها ولومها على كل صغيرة وكبيرة، وهذا من فوائد مراقبة النفس لله عز وجل.

وقد أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة التي تندم على ما فات وتحاسب وتلوم نفسها وذكرها مع

يوم القيامة دلالة على أهمية المحاسبة والمراقبة لهذه النفس، فقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ ۝٢﴾ (القيامة: ١ - ٢).

يقول ابن عاشور في تفسيره: "والقسم ﴿بِیَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ باعتبارها ظرفاً بما يجري فيه من عدل

الله وإفاضة فضله وما يحضره من الملائكة والنفوس المباركة. وقوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ

اللّوَامَةِ﴾. أي الأنفس اللوامة. والمراد نفوس المؤمنين. ووصف اللوامة مبالغة، لأنها تكثر لوم

صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة. وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة،

ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي. قال الحسن: ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على ما فات، ويندم

على الشرِّ لِمَ فعله، وعلى الخير لِمَ لم يستكثر منه فهذه نفوس خيرة حقيقية إن تشرف بالقسم بها وما

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

كان يوم القيامة إلا لكرامتها. والمراد اللوامة في الدنيا لوماً تنشأ عنه التوبة والتقوى. ومناسبة القسم بها مع يوم القيامة أنها النفوس ذات الفوز في ذلك اليوم^(١).

والشاهد من الآيات دلالتها على إن النفس التي تلوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة، وتحاسب نفسها لأنها تعلم أنها سوف تحاسب يوم القيامة. وهذا مدعاة لتزكية النفوس على التقوى والطاعة.

وإن كل أعمال الإنسان وحركاته وأفعاله ونواياه تسجل وتحفظ في صحيفة أعماله، وتبقى ليوم القيامة، لينال عندها جزاء أعماله، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ

﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (الزلزلة: ٦-٨). يقول

ابن عاشور في تفسيره لهذه الآيات: تشير الآيات إلى خروج الناس إلى الحشر جماعات، أو انصرافهم من المحشر إلى ماويهم من الجنة أو النار، ويصدرون أشتاتاً، أي متفرقين جماعات، كل إلى جهة بحسب أعمالهم، وما عيّن لهم في منازلهم. وأشير إلى تفرقهم على حسب تناسب كل جماعة في أعمالها من مراتب الخير ومنازل الشر بقوله: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، أي يصدرون لأجل تلقي جزاء

الأعمال التي عملوها في الحياة الدنيا فيقال لكل جماعة: انظروا أعمالكم، أو انظروا مآلكم. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، والمتقال ما يعرف به ثقل الشيء، وهو ما يقدر به الوزن. والذرة:

النملة الصغيرة في ابتداء حياتها. و ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ مثل في أقل القلة، وذلك للمؤمنين ظاهر، وبالنسبة للكافرين فالمقصود ما عملوا من شر، وأما بالنسبة إلى أعمالهم من الخير فهي كالعدم فلا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣١٣ - ٣١٤.

توصف بخير عند الله ،لأنَّ عمل الخير مشروط بالإيمان . وهذه الآية معدودة من جوامع الكلم، وقد وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالجامعة الفائزة^(١).

والشاهد في الآيات الكريمة إنّ أعمال الإنسان تحفظ له وتبقى ليوم القيامة حتى ينال الجزاء على أعماله، فيكون هذا دافعاً قوياً إلى إبقاء النفس في حالة يقظة لكل ما يصدر عنها، لأنّها سوف تحاسب عليه يوم القيامة.

ومن السياقات القرآنية التي تدل على المراقبة لكل ما يصدر عن الإنسان، يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق: ١٦- ١٨). يشير ابن

عاشور في دلالات النص فيقول: هذا تفصيل لبعض الخلق الأول بذكر خلق الإنسان، وهو أهم في

هذا المقام للتنبيه على أنه المراد من الخلق الأول وليبني عليه ﴿وَنَعَّمْ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ الذي

هو تتميم لإحاطة صفة العلم في قوله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ (ق: ٤) ولينقل الإنذار

بإحصاء أعمال الناس عليها، وهو ما استرسل في وصفه من قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ﴾. وفائدة

الإخبار بأن الله يعلم ما توسوس به نفس كل إنسان التنبيه على سعة علم الله تعالى بأحوالهم كلها

فإذا كان يعلم حديث النفس فلا عجب إنَّ يعلم ما تنقص الأرض عنهم. والإخبار عن فعل الخلق

بصيغة المضىّ ظاهر، وأما الإخبار عن علم ما توسوس به النفس بصيغة المضارع فللدلالة على

أنَّ تعلق علمه تعالى بالوسوسة متجدد غير منقضى ولا محدود، لإثبات عموم علم الله تعالى، والكناية

عن التحذير من إضمار ما لا يرضي الله. وجملة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ والمقصود منها

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

تأكيد عاملها وتحقيق استمرار العلم بباطن الإنسان. ومعنى ﴿تُسْوِسُ﴾ تتكلم كلاماً خفياً همساً. ومصدره الوسواس، والوسوسة أطلقت هنا مجازاً على ما يجول في النفس من الخواطر والتفكيرات والعزائم. و﴿الْوَرِيدِ﴾: واحد من الشرايين، وهو ثاني شريانين يخرجان من التجويف الأيسر من القلب. واسمه في علم الطب (أورطي). والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال؛ لأنَّ القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قريباً بالمكان بقريئة المشاهدة، فالَّ الكلامُ إلى التشبيه البليغ تشبيه معقولٍ بمحسوسٍ. ومن لطائف هذا التمثيل إنَّ حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان، فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد^(١).

وقوله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ﴾ يتعلق ﴿إِذْ﴾ بقوله ﴿أَقْرَبُ﴾ لأنَّ اسم التفضيل يعمل في الظرف، وإن كان لا يعمل في الفاعل ولا في المفعول به، واللغة تتوسع في الظروف والمجرورات مالا تتوسع في غيرها، وهذه قاعدة مشهورة ثابتة، والكلام تخلَّص للموعظة والتهديد بالجزاء يوم البعث والجزاء من إحصاء الأعمال خيرها وشرها. والقعيد مستعار للملازم الذي لا ينفك عنه، كما أطلقوا القعيد على الحافظ الذي يلزم الشيء الموكل بحفظه، وجملة ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ تعود على الإنسان، وقوله ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ استثناء من أحوال عامة، أي ما يقول قولاً في حالة إلا في حالة وجود رقيب عتيد لديه. والأظهر أنَّ هذا العموم مراد به الخصوص بقريئة قوله: ﴿مَا إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ لأنَّ المراقبة هنا تتعلق بما في الأقوال من خير أو شر ليكون عليه الجزاء فلا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

يكتب الحفظة إلا ما يتعلق به صلاح الإنسان أو فساده، إذ لا حكمة في كتابة ذلك، وإنما يكتب ما يترتب عليه الجزاء^(١).

ويستدل من تفسير الآيات الكريمة أنّ قرب الله عز وجل من الإنسان، وعلمه بباطنه وكل ما يجول في النفس من الخواطر والتقديرية والعزائم، وما يصدر عنها من الأقوال والأعمال، لهو تحذير للنفس من إضرار ما لا يرضى الله تعالى، وتهديد وموعظة بالجزاء يوم البعث وإحصاء الأعمال خيرا وشرها. وأنّ شعور النفس بهذه المراقبة، من العوامل المهمة لتزكيتها وتهذيبها والإلتفات إليها، لتكون تحت السيطرة.

وإن المراقبة عامل مهم لتزكية النفس والسيطرة عليها، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ (ال عمران: ٢٩ - ٣٠)، وقد أشار ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾، انتقال من التحذير المجمل إلى ضرب من ضروب تفصيله، وهو إشعار المُحذَرُ باطلاع الله على ما يخفونه من الأمر. وذكر الصدور هنا والمراد البواطن والضمائر: جرياً على معروف اللغة من إضافة الخواطر النفسية إلى الصدر والقلب، لأنّ الانفعالات النفسانية وترددات التفكير ونوايا النفوس كلها يشعر لها بحركات في الصدور. وزاد ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ فأفاد تعميم العلم تعليماً لهم بسعة علم الله تعالى، لأنّ مقام إثبات صفات الله تعالى يقتضي الإيضاح. وقوله ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ "إعلام بأنه مع العلم ذو

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

قدرة على كل شيء، وهذا من التهديد؛ إذ المُهْدَد لا يَحُولُ بينه وبين تحقيق وعيده إلا أحد أمرين: الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عنه، فلما أعلمهم بعموم علمه، وعموم قدرته، علموا أن الله لا يفلتهم من عقابه^(١). ويضيف ابن عاشور في تفسيره للآية: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ﴾ أي: يحضر لكل نفس يوم الإحضار ما عملت من خير وما عملت من سوء، فتود في ذلك اليوم لو إنَّ بينها وبين ما عملت من سوء أمداً بعيداً، أي زماناً متأخراً، وأنه لم يحضر ذلك اليوم. وقوله: ﴿وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ والخطاب للمؤمنين، ولذلك سَمِيَ الموعظة تحذيراً: لأنَّ المحذر لا يكون متلبساً بالوقوع في الخطر، فإنَّ التحذير تبعيد من الوقوع وليس انتشالاً بعد الوقوع، وذيلُه بقوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ للتذكير بأن هذا التحذير لمصلحة المحذرين^(٢).

إن هذه الآيات من الآيات الكريمة استخدمت أسلوب المراقبة، وإطلاع الله عز وجل على ما تخفيه النفوس من بواطن وخواطر ونوايا، وإثبات سعة علم الله تعالى وإطلاعه، وعموم قدرته، مع التهديد بعدم الإفلات من عقابه، يوم تحضر النفوس، وتحذير النفس بالابتعاد من الوقوع في المحظورات والمحرمات، لأنَّ كل أعمال الإنسان تسجل وتحفظ وتبقى ليوم القيامة فينال عندها جزاء أعماله.

الأسلوب الثاني عشر: أسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة

في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المراد بأسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر: أي أن يوظف الإنسان ما يملك من مقومات شأنها إنَّ تزكِّي نفسه؛ فيوظف ما يملك

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٧٦.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٧٧ - ٧٨.

من مال، وما يملك من العلم في العمل، ويوظف ما يملك من الوقت والشباب في سبيل تطهير النفس وتزكيتها، وذلك استعداداً للحساب في اليوم الآخر.

ويحرص الإنسان على توظيف كل ما يملك من مقومات في تزكية نفسه، وذلك لأنه يعلم أنه محاسبٌ ومسؤولٌ عن كل صغيرة وكبيرة من عمره وماله وعمله وحياته كلها. فيستعد للحساب أمام الله عز وجل. فالإنسان يوم القيامة يُسأل عن جميع أعماله في الحياة الدنيا، ومن الأدلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢). يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَسْتَلْتَهُمْ﴾ الفاء للتفريع على ما سبق، ووصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم، إيماء إلى إن في السؤال المقسم عليه خطأً من التتويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله عليه الصلاة والسلام. والسؤال مستعمل في لازم معناه وهو عقاب المسؤول كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَسْتَلْنَا يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيرِ﴾ (التكاثر: ٨) فهو وعيد^(١).

وتشير دلالات النص إلى أسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وذلك من خلال بيان النص لمحاسبة الفرد على الأعمال وأنها تستلزم الجزاء، فالله تعالى يعلم ويحصي للإنسان أعماله، وسوف يُسأل عنها، وهذا مدعاة للنفس لتوظيف كل ما تملك من مقومات التزكية في سبيل النجاة من العقاب يوم القيامة.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ٦٩ - ٧٠.

- وقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَلْنَا الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلْنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ

وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿﴾ (الأعراف: ٦ - ٧)، أورد ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَلْنَا ﴾

الفاء عاطفة، لترتيب الأخبار لأن وجود لام القسم علامة على أنه كلامٌ أنْفٌ، انتقالٌ من خبر

إلى خبر، ومن قصة إلى قصة، وانتقال من الخبر عن حالتهم الدنيوية إلى الخبر عن أحوالهم

في الآخرة. وأكد بلام القسم ونون التوكيد لإزالة الشك في ذلك. وسؤال الذين أرسل إليهم سؤال

عن بلوغ الرسالة. وهو سؤالٌ تفرّيع في ذلك المحشر. وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة

سؤال إرهابٍ لأممهم، لأنهم إذا سمعوا شهادة رسلهم عليهم أيقنوا بأنهم مسوقون إلى العذاب،

والفاء في قوله: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ للتفرّيع والترتيب على قوله: ﴿ فَاسْتَلْنَا ﴾، أي لنسألهم ثم

نخبرهم بتفصيل ما أجمله جوابهم، أي فلنقصن عليهم تفاصيل أحوالهم، أي فعلمنا غني عن

جوابهم، ولكن السؤال لغرض آخر. وقد دل على إرادة التفصيل تنكير (علم) في قوله ﴿ بِعِلْمٍ ﴾

أي علم عظيم^(١).

ويتضح من دلالات النص في الدلالة على أسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات

الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، أنّ كل التفاصيل الدقيقة لأحوال النفس في الحياة

الدنيوية، يُسأل عنها في الآخرة. وهذا مدعاة لتوظيف كل القدرات والطاقات من مال ووقت وعلم وكل

حركة وسكنة من أحوال النفس في سبيل تزكيتها وصلاحها.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص 22 - 21.

- ومن السنة النبوية، في سنن الترمذي عن أبي بَرزَةَ الأسلمي رضي الله عنه إنَّ رسول قال: (لا تزولُ قَدَمًا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن عُمرِهِ فيما أفناه، وعن عِلْمِهِ فيمَ فعل، وعن مالِهِ مِن أينَ اكْتَسَبَهُ وفيمَ أنفقَهُ؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟) هذا حديث حسن صحيح^(١).

- عن عبد الله بن مسعود الترمذي رضي الله عنه إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزولُ قَدَمًا ابن آدم يومَ القيامةِ من عند ربه، حتَّى يُسألَ عن خمس: عَن عُمرِهِ فيما أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وماله مِن أينَ اكْتَسَبَهُ، وفيما أنفقَهُ؟ وماذا عمل فيما علم)^(٢).

والشاهد من الأحاديث استخدام أسلوب تزكية النفس بالتوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، من خلال حثَّ الفرد على توظيف كل ما يملك من العمر والشباب والمال والعمل والعلم، وكل التفاصيل الدقيقة في حياته في سبيل تزكية نفسه. وذلك استعداداً للحساب يوم القيامة. فيوظف ما يملك من الوقت في طاعة الله، وما يملك من قوة الشباب في العمل بما يرضي الله، وكذلك ينفق ماله في سبيل الله، ويوظف علمه بأن يعمل به، ويوظف كل ذلك في سبيل تطهير النفس وتركيتها.

الأسلوب الثالثة عشر: أسلوب تزكية النفس بالذكر

يقصد بأسلوب تزكية النفس بالذكر، إنَّ ذكر الله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته، وحضوره عز وجلّ في قلب المؤمن ب فكره وقلبه وعمله، عاملٌ مؤثّرٌ في تزكية النفس واستقامتها ويترتب على ذلك سعادتها في الدنيا والآخرة.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨، حديث رقم (٢٤١٧)، مجلد ٤، ج ٤، ص ١٩٠.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، باب في القيامة، حديث رقم (٢٤١٦)، ج ٤، ص ٦١٢.

ومن الأدلة على أسلوب تزكية النفس بذكر الله عز وجل، أن الذكر قرن بالتزكية، ومن ذلك

قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٤ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (الأعلى: ١٤ - ١٥)، وأورد ابن عاشور في دلالات النص إنَّ المراد ب ﴿تَزَكَّىٰ﴾

من ذكر اسم ربه، فلا جرم إنَّ ذكر اسم ربه هو التذكر بالذكرى، فالتذكر هو غاية الذكرى المأمور

بها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرْ﴾، وقد جمعت أنواع الخير في قوله: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ﴾ فإنَّ الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه فهو يجمع معني الفوز والنفع وذلك هو الظفر

بالمُبْتَغَى من الخير، والإبتان بفعل المضى في قوله ﴿أَفْلَحَ﴾ للتنبيه على المحقق وقوعه من

الآخرة. ومعنى تزكى: عالج إنَّ يكون ذكياً، أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها، فمادة

التفعل للتكلف وبذل الجهد، وأصل ذلك هو التوحيد والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها

الإسلام. وقدم التزكى على ذكر الله والصلاة، لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهّرت النفس

أشرقت فيها أنوار الهداية، فعلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها. فالتركية: الارتياض على قبول

الخير والمراد تزكى بالإيمان. وفعل ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ يجوز إنَّ يكون من الذكر اللساني الذي هو

بكسر الذال فتكون كلمة ﴿اسْمَ رَبِّهِ﴾ مراداً بها ذكر أسماء الله بالتعظيم مثل قول لا إله إلا الله،

وقول الله أكبر ونحو ذلك. ويجوز إنَّ يكون من الذكر بضم الذال وهو حضور الشيء في النفس

الذاكرة والمفكرة، فتكون كلمة (اسم) مُقْحَمَةً لتدلَّ على شأن الله وصفات عظمته، فإنَّ أسماء الله

أوصاف كمال. وتفریع ﴿فَصَلَّى﴾ على (ذكر اسم الله) على كلا الوجهين، لأنَّ الذكر بمعنييه يبعث

الذاكر على تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بالصلاة التي هي خضوع وثناء^(١).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

ويظهر من الآيات الكريمة الربط بين التزكية والذكر والصلاة، وإنّ هناك علاقة تجمع بين تزكية النفس والذكر والصلاة، فبالذكر والصلاة تزكو النفس، فالذكر وسيلة لتزكية النفس إذ أنّ الإنسان يبقى على وعي وبقظة بطاعة الله ودوام الصلوة به عز وجل.

قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠) يشير ابن

عاشور في تفسيره للآية بأنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فهو احتراس من الانصباب في أشغال الدنيا انصباباً ينسي ذكر الله، أو يشغله عن الصلوات، فإنّ الفلاح في الإقبال على مرضاة الله تعالى^(١). فذكر الله عز وجل يبقى النفس على صلة دائمة بالله عز وجل، وهذا أساس الفلاح في الدنيا والآخرة. وهو وسيلة لتزكية النفس التي توصل إلى الفلاح في الآخرة.

فالذكر يبقى النفس في صلة دائمة بخالقها، ويهتز الوجدان بإخلاص العبودية لله تعالى وحده، ويطهر الفكر فتمنح النفس محبتها وخوفها ورجاءها لله وحده.

ويعد ذكر الله عز وجل من أهم أساليب التزكية، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

(العنكبوت: ٤٥)، أورد ابن عاشور في دلالات النص أنّ المعنى: واذكر الله، فإنّ ذكر الله أمر عظيم، فيصح إنّ يكون المراد من الذكر تذكّر عظمة الله تعالى، ويجوز إنّ يكون المراد ذكر الله باللسان ليعمم ذكر الله في الصلاة وغيرها. ويجوز إنّ يكون المراد بالذكر تذكّر ما أمر الله به ونهى عنه، أي مراقبة الله تعالى وحذر غضبه، أي ولذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة في ذلك النهي. وذلك لإمكان تكرار هذا الذكر أكثر من تكرار الصلاة فيكون قريباً من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل من شُكِرَ الله باللسان ذُكِرَ الله عند أمره ونهيه^(٢). وبديل ذلك

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٢٠٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٨٠.

على إن ذكر الله عز وجل من أساليب تزكية النفس، إذ إن ذكر الله عز وجل أمر عظيم، لأنه يذكر النفس بعظمة خالقها، وإدامة ذكر الله باللسان في كل الأوقات، يذكر النفس بما أمر الله به ونهى عنه، فتشعر النفس بمراقبة الله تعالى وتحذر غضبه وعقابه، فتزكو النفس وتنتهي عن الفحشاء والمنكر.

الأسلوب الرابع عشر: أسلوب تزكية النفس بالتفكير بالموت والتذكير بالآخرة في ضوء

الاعتقاد باليوم الآخر

المراد بأسلوب تزكية النفس والتفكير في الموت، وأحوال الموتى، وأحوال الآخرة، هذا التفكير الواعي بأحوال الآخرة، يشكل لدى النفس ضابطاً داخلياً على تصرفاتها وأعمالها، فيكون بذلك طريقاً لتزكية النفس. وقد استفاضت الآيات القرآنية بالحديث عن اليوم الآخر والتذكير به، وتكرار ذكره في مواضع كثيرة، وذلك لما له من الأثر البالغ في تزكية النفوس.

يقول القرطبي: "من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة، فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته"^(١). فذكر الموت يذكر الإنسان بالآخرة، وهذا يبقي النفس على حذر ويقظة دائمة ومستمرة لكل أعمالها وحركاتها، فلا تسلم وتركن إلى الدنيا التي يغنيها الموت، وإنما تسعى إلى دار البقاء والخلود.

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ١٢٦.

وإن التذكير الدائم والمستمر للآخرة والتفكير في العاقبة، يحقق اليقظة في نفس المؤمن، واليقظة كما يقول ابن القيم هي: "انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، والله ما أنفع هذه الروعة وما أعظم قدرها وخطرها، وما أشد إعانتها على السلوك"^(١).

فإن لتذكر الموت أثراً كبيراً في إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك إنَّ النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمح في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائماً على بال العبد، فإنه يُصغر الدنيا في عينه، ويجعله يسعى في إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره^(٢).

والإنسان الذي يفكر بوعي من جميع الجهات، فيتفكر في موت الصديق والعدو، الفقير والغني، الجاهل والمفكر، السلاطين والأنبياء، فيتدبر في أحوالهم، ولسان حاله يقول: "أين رفقاؤنا وإخواننا أين ذهب معارفنا وجيراننا، أين أصدقاؤنا، أين زملاؤنا، وأقراننا، أين علماؤنا العاملون بعلمهم، أين آباؤنا وأجدادنا، رحلوا وقلَّ والله بعدهم بقاؤنا. هذه مساكنهم فيها غيرهم قد نسيناهم ونسيهم محبهم وجفاهم. أين أصحاب القصور الحصينة، والأنساب العالية الرصينة، والعقول الراجحة الرزينة، قبضت عليهم يد المنايا فظفرت، ونقلوا إلى أجداث ما مهدت إذ حفرت، ورحلوا بذنوب لا يدرون هل غفرت أو بقيت"^(٣).

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) الأشقر، عمر، اليوم الآخر: القيامة الصغرى، ص ٨١.

(٣) السلطان، عبد العزيز، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ج ١، ص ٣٥٢.

وغفلة الناس عن الموت لقلّة فكرهم فيه وذكرهم له، وإذا باشر العبد ذكر الموت، فإنه لا يتفكر إلا فيه، فيوشك إن يؤثر فيه، وعند ذلك يقلّ فرحه وسروره بالدنيا، وينكسر قلبه، ويقلّ خضوعه للشهوات الزائلة^(١). وبذلك يستطيع الإنسان السيطرة على نفسه، والعمل على تزكيتها واستقامتها.

ركزت كثير من الآيات على التذكير بالموت، وذلك ليكون سبباً في تزكية النفس، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ (التكاثر: ١-٢)، ويقول ابن عاشور في تفسيره للآيات الكريمة: إنّ سورة التكاثر اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى إن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبير فيما ينجبهم من الجحيم وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم. ومعنى قوله: ﴿ أَهْلَكُمُ ﴾ أي شغلكم عما يجب عليكم الاشتغال به، لأنّ اللهو شغل يصرف عن تحصيل أمر مهم. و ﴿ التَّكَاثُرُ ﴾: تفاعل في الكثر أي التباري في الإكثار من شيء مرغوب في كثرته. فمنه تكاثر في الأموال، ومنه تكاثر في العدد من الأولاد والأحلاف للإعزاز بهم. وروى مسلم عن عبد الله بن الشخير قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: (ألهكم التكاثر) قال: "يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت". فهذا جار مجرى التفسير لمعنى من معاني التكاثر اقتضاه حال الموعظة ساعتئذ وتحتمة الآية^(٢). ويظهر من الآيات الكريمة أنّ في تذكّر الموت وحتمية انتهاء النفس إلى المقابر، إيقاظ للنفس من الاغترار بالدنيا

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، البذور السافرة في أحوال الآخرة، تحقيق: أبي عبد الله محمد حسن محمد

حسن اسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٥٦.

وشهواتها الفانية من المال والولد، والحذر من إيثار هذه الأمور والاشتغال بها، ونسيان شكر المنعم الخالق، فتذكر الموت وتذكر البعث يُعد من أساليب تزكية النفس.

ومهما تكبرت النفس وتجبرت أو غفلت فإن ذكر الموت، يرجعها إلى عبوديتها، فتعرف أنها مقهورة، لذلك، فإن من أساليب تزكية النفس تذكر الموت، يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ (٦١) ثُمَّ

رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (الأنعام: ٦١ - ٦٢)، يقول

ابن عاشور في تفسيره للآيات الكريمة: قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ ﴾ أي سبحانه من قهر العباد

بالموت. ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾، أي هو الذي يرسل عليكم حفظة دون غيره، والمقصود الإعلام

بهذا الخبر الحق ليحذر السامعون من ارتكاب المعاصي. ومعنى ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ الاستعلاء المجازي،

أي إرسال قهر والزام. والمراد بحفظ الحفظة الإحصاء والضبط، وليس هو من حفظ الرعاية والتعهد،

فالحفظة ملائكة وظيفتهم إحصاء أعمال العباد من خير وشر. وقوله: ﴿ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾

غاية لما دلّ عليه اسم الحفظة من معنى الإحصاء، أي فينتهي الإحصاء بالموت، فإذا جاء الوقت

الذي ينتهي إليه أجل الحياة توفاه الملائكة المرسلون لقبض الأرواح. والمراد من الرسل التي تتوفى

رسل غير الحفظة المرسلين على العباد. وقوله: ﴿ أَحَدَكُمُ ﴾ هو في معنى الذات. وجملة: ﴿ لَا

يُفْرِطُونَ ﴾ معناها أنهم لا يتركون أحداً قد تمّ أجله ولا يؤخّرون توفيه. وقوله ﴿ رُدُّوهُ ﴾ أي ثم يرد

المتوفون إلى الله. والمراد رجوع الناس إلى أمر الله يوم القيامة، أي ردوا إلى حكمه من نعيم وعذاب.

وقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ أي ألا له الحساب، وهو أسرع من يحاسب فلا يتأخر جزاؤه^(١).

فالنفس إذا تفكرت في الموت، تزكو وذلك وجلاً وخوفاً من عتاب الله عز وجل.

ومن الآيات الدالة على أسلوب تزكية النفس بتذكر الموت، قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا

فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ

حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٥)، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة: قوله تعالى

﴿يَنْظُرُوا﴾ المراد بالنظر التأمل والتدبر، وهو التفكر العميق المتغلغل في أصناف الموجودات.

والملكوت الملك العظيم، وإضافته إلى السماء والأرض بيانية، أي الملك الذي هو السماوات والأرض،

أي ملك الله لهما، فالمراد السماء بمجموعها والأرض بمجموعها، الدالين على عظم ملك الله تعالى.

وقسم النظر إلى نظر في ملك الله تعالى، وإلى نظر في مخلوقاته ودقائق أحوالها الدالة على عظيم

قدرة الله تعالى. واسم ﴿يَكُونُ﴾ ضمير شأنٍ محذوف، معناه ألم ينظروا في توقع قرب أجلهم،

وصيغ الكلام على هذا النظم لإفادة تهويل الأمر عليهم وتخويفهم، بجعل متعلق النظر من معنى

الإخبار، للدلالة على أنه أمر من شأنه إن يخطر في النفوس، وأن يتحدث به الناس، وأنه قد صار

حديثاً مخبراً فكأنه أمر مسلم مقرر. ومعنى النظر في توقع اقتراب الأجل، التخويف من ذلك،

والتخويف من الجزاء. ثم فرع على التهديد والوعيد توبيخهم والإنكار عليهم بطريقة الاستفهام التعجبي

المفيد للاستبعاد بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، أي فبأي شيء يستدل عليهم غير ما ذكر

بعد إن لم ينتفعوا بدلالة ما ذكر ولم يؤمنوا له فلا يرجى منهم إيمان بعد ذلك^(٢).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٧٠.

والشاهد في الآية الكريمة إنّ التفكّر في الموت الذي هو قريب من الإنسان، يكفل تخويف النفس وتحذيرها من قرب الأجل، والجزاء على الأعمال، وهذا أسلوب في تزكية النفس وحثها على الطاعات.

وتقرر الآيات الكريمة أنّ كل الخلق لا بد إنّ يموت، بأسلوب يوقظ الحسّ والمشاعر ويحفّز النفس على الانتباه والاعتاظ بذلك، فهم صائرون إلى الموت، وسيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ (الزمر: ٣٠-٣١). يقول ابن عاشور في تفسيره للآيات: بأنّ الناس كلهم صائرون إلى الموت، فإنّ الموت آخر ما يذكر السادر في غلوائه إذا كان قد اغتر بعظمة الحياة ولم يتفكر في اختيار طريق السلامة والنجاة، وهذا من انتهاز القرآن فرص الإرشاد والموعظة. فالمقصود هو قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فاعتنم هذا الغرض ليجلب معه موعظة بما يتقدمه من الحوادث عسى إنّ يكون لهم بها معتبر، فحصلت بهذا فوائد منها تمهيد ذكر يوم القيامة، ومنها التذكير بزوال هذه الحياة. فهذان عامان للمشركين والمؤمنين، ومنها حثّ المؤمنين على المبادرة للعمل الصالح، ومنها إشعارهم بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يموت كما مات النبيون من قبله ليغتنموا الانتفاع به في حياته ويحرصوا على ملازمة مجلسه، ومنها إنّ لا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره، ومنها تعليم المسلمين أنّ الله سوى في الموت بين الخلق دون رعي لتفاضلهم في الحياة لتكثر السلوة وثقل الحسرة^(١). ويظهر من دلالات النص استخدام القرآن الكريم لأسلوب التفكير بالموت والتذكير بالآخرة لتزكية النفس، وذلك بالحثّ على المبادرة للعمل الصالح، واغتنام فرصة الانتفاع بالحياة الدنيا للسير على منهج النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ ذلك زكاة للنفوس وتطهيرها.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٨٢-٨٣.

الأسلوب الخامس عشر: أسلوب تزكية النفس بالإكثار من الباقيات الصالحات في

ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

من أساليب القرآن الكريم في تزكية النفس الحثّ على الإكثار من الباقيات الصالحات من

الأعمال التي يثاب عليها الإنسان وتكون سبباً في طهارة نفسه وتزكيتها.

إذ أنّ الإكثار من العمل الصالح، يغذي القلب ويزداد إيماناً وتغلباً على دواعي الشهوات

والتعلق بها، فتكون التزكية والوقاية للنفس من أمراضها. فكل عمل صالح يقوم به العبد ابتغاء مرضاة

الله سبحانه فإنه يُعدُّ من الباقيات الصالحات التي تغذي القلب وتنوره.

وتنقسم أساليب التزكية بالباقيات الصالحة من الأعمال إلى: أعمال القلوب: كمحبة الله

تعالى، وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد، والنوافل (تلاوة

القرآن، والذكر، والدعاء، وقيام الليل). كل هذه الأعمال تعد من أساليب التزكية حيث إنّ النفس تنمو

وتتطهر بواسطة الأعمال التي تترك أثراً فيها، حيث يجعل لها الدور الأكبر في التطهير، والتخلق

بالفضائل ومكارم الاخلاق، وتأديب ظاهر النفس وباطنها وتزكية النفس تدور حول هذا.

ومن الآيات الكريمة التي تدل على أسلوب الإكثار من الباقيات الصالحات لتزكية النفس من

خلال الاعتقاد باليوم الآخر. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (الكهف: ٤٦). يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: اعتراض أريد به الموعظة

والعبرة للمؤمنين بأنّ ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين ما هو إلا زينة الحياة الدنيا التي

علمتم أنها إلى زوال، وأنّ ما أعد الله للمؤمنين خيرٌ عند الله أملاً وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾

أي الأعمال الصالحات الباقيات، أي التي لا زوال لها، أي لا زوال لخيرها، وهو ثوابها الخالد، فهي

خير من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية. ولفظ الصالحات يدل على عمل الخير وقدمت ﴿

وَالْبَقِيَّةُ ﴿﴾ للتببيه على إنَّ ما ذكر قبله إنما كان مفصلاً، لأنَّه ليس بباقي، وهو المال والبنون، فكان هذا التقديم قاضياً لحق الإيجاز لإغنائه عن كلام محذوف، تقديره: أنَّ ذلك زائل أو ما هو بباقي والباقيات من الصالحات خير منه. وتقديم المال على البنين في الذكر، لأنَّه أسبق خطوراً لأذهان الناس، لأنَّه يرغب فيه الصغير والكبير والشابُّ والشيخ. ومعنى قوله: ﴿﴾ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿﴾ أن أمل الآمل في المال والبنين إنما يأمل حصولَ أمرٍ مشكوكٍ في حصوله ومقصودٍ على مدته. وأما الآمل لثواب الأعمال الصالحة فهو يأمل حصولَ أمرٍ موعودٍ به من صادق الوعد. ويأمل شيئاً تحصل منه منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة. كما قال تعالى: ﴿﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ (النحل: ٩٧)، فلا جرم كان قوله: ﴿﴾ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿﴾ بالتحقق والعموم تذييلاً لما قبله^(١).

والشاهد في الآية الكريمة أنَّ الأمل في ثواب الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة يعد أسلوباً في تزكية النفس. فالنفس التي تتطلع إلى الثواب في الآخرة وحصول المنفعة الآبدية، تسعى إلى التزكية والتطهير من شوائب الدنيا وشهواتها، من خلال الإقدام على الأعمال الصالحة، وهي طريق للثواب في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُمْ ﴿﴾ (الرعد: ٢٩) يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: إنه وصف لحسن حال المؤمنين الذين يتدبرون القرآن لتطمئن قلوبهم، وكلمة ﴿﴾ طُوبَىٰ ﴿﴾ مصدر من طاب طيباً إذا حسن، وهي بوزن (البُشرى والزُلُفَى) قلبت ياءؤها وواواً

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٧٦-٧٨.

لمناسبة الضمة، أي لهم الخير الكامل، لأنهم اطمأنت قلوبهم بالذكر، فهم في طيب حال: في الدنيا بالاطمئنان، وفي الآخرة بالنعيم الدائم، وهو حسن المآب وهو مرجعهم في آخر أمرهم^(١).

ويقول السعدي في تفسيره للآية: أي: "آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها، ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك لما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها"^(٢).

والشاهد في الآية الكريمة أنها ربطت بين الإيمان والعمل الصالح وبين الأجر والثواب الذي يناله الإنسان من رضوان الله تعالى والفوز بالجنة، وهذا يؤكد إن الأعمال الصالحة طريقة لتزكية النفس حتى تنال رضا الله عز وجل.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (هود: ٢٣)، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: إن الإخبات هو الخضوع والتواضع، أي أطاعوا ربهم أحسن طاعة.

وإن تكرار النفس الإنسانية للأعمال الصالحة، تزكية لها بتكوين عادات حسنة لدى النفس، وقد ارتبط الجزاء في الآخرة بالأعمال ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٨٢.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤١٨.

- وقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُم ﴾ (الرعد: ٢٩)، فالأجر والثواب مرتبط بالعمل الصالح.

الأسلوب السادس عشر: أسلوب تزكية النفس بالتمسك بكتاب الله تعالى في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المراد بهذا الأسلوب أن التمسك بالكتاب، يورث التقوى عند النفس، ومن يتقي الله يعلم إنَّ الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يؤثر الدنيا على الآخرة، ويتفكر في الدنيا وزوالها والآخرة ويقائها. فتزكو نفسه ويعمل لآخرته. ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات القرآن الكريم إلا وتذكر الإنسان بالآخرة، ومن يتدبر آيات القرآن الكريم تزهو حياته بالتقى والصالح.

ويأتي الأسلوب في مستويات، حيث يشرع الفرد بالقراءة، ثم يفهم الآيات من أمهات التفاسير، ثم التفعيل في دوائر الحياة العملية.

"وإنَّ تلاوة القرآن الكريم وتدبره، والاهتداء بهديه أساس لكل أنواع التزكية، ففيه من تزكية اللغة: تقويم ألفاظ اللسان، وترقية أساليب البيان، وفيه من تزكية القلب: ما تطمئن به القلوب، وفيه من تزكية المال: تطهير النفس من الشح، وتحقيق البركة في المال ومضاعفته. فمن أراد التزكية فعليه بالحياة في ظلال القرآن^(١). لذلك ليس ثمة تزكية لا تبدأ بالقرآن وتنتهي إليه.

ومن الآيات الدالة على أسلوب التزكية بقراءة القرآن وتدبره، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٤)

(١) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد، التزكية، العمران، ص ١١٣.

قال السعدي: ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به والدعوة إليه، فهؤلاء نذروا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار فكيف يصبرون عليها، وأتى لهم الجَدَّ عليها^(١). ويستخلص من معنى الآية أنّ من أسباب التزكية العمل بكتاب الله عز وجل والاهتداء به لتجنب العذاب يوم القيامة. وقد استخدمت آيات القرآن الكريم وأساليبه في تزكية النفس، من خلال العمل بكتاب الله. حيث قرنت الآيات بين العمل بالكتاب والتزكية وبين الجزاء في يوم القيامة.

ومن الآيات التي تدل على أسلوب تزكية النفس من خلال التمسك بأحكام الكتاب وتلاوة الآيات، قول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٥١)، يذكر البقاعي في تفسيره للآية أن: "أنبأهم بأن هذا التنزيل لأنفسهم بمنزلة الغذاء للأبدان، فكما تتنامى أجسادهم بماء المزن وما منه فكذلك تتنامى أنفسهم بأحكام الكتاب وتلاوة الآيات، وذلك زكاؤها ونماؤها، لتتأكد فيه رغبتهم، لأنّ للمغذّي رغبة في الغذاء إذا تحقّقه، فمن علم أنّ التزام الأحكام غذاء لنفسه حرص عليها ومتى نمت النفس وزكت قويت على ما شأنها إنّ تناله قواها، كما أنّ البدن إذا قوي بالغذاء تمكن ممّا شأنه عمله"^(٢). ويتضح من ذلك أنّ تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته وتطبيق أحكامه من أساليب تزكية النفس ونماؤها.

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٢.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر، تفسير البقاعي، ج ١، ص ٢٧٥.

وكذلك يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ يقول تعالى: أن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك بيدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقته، وأمانته وكماله ونصحه. وقوله: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني، وقوله: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كنتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية. و﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ أي: القرآن، والحكمة هي السنة^(١). ويتضح من ذلك إن الهداية التامة، والعلم اليقيني، يأتي من تلاوة الآيات القرآنية، هذا يطهر ويزكي النفوس.

وإن العمل بالقرآن سبب للشفاعة في الآخرة، فقد روي عن النواس بن سمعان الكلبي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران). وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيئهنَّ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤.

بعد قال: (كأنهما غمامتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما رزقان من طير صواقٍ تُحاجَّان عن صاحبهما^(١)).

والشاهد في الحديث أنّ من أسباب الشفاعة في الآخرة، والنجاة يوم القيامة، ودخول الجنة، العمل بالقرآن، والتمسك بما جاء به، وهذا من أساليب تزكية النفس.

الأسلوب السابع عشر: أسلوب السؤال في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المراد بأسلوب السؤال في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، استخدام صيغة السؤال والاستفهام عن اليوم الآخر وأحداثه وربط ذلك بتزكية النفس، ليوثق الفكر، ويحفز النفس على التطهير والتزكية للفوز بالجنة والنجاة من النار.

ويعد أسلوب السؤال من الأساليب القرآنية البديعة تكرر في عدة مواضع، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا

إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْفُومٌ ﴿المطففين: ٧-٩﴾، أورد ابن

عاشور في تفسيره للآيات فقال: (كلا) إبطال وردع لما تضمنته جملة ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ

مَبْعُوثُونَ﴾ (المطففين:) من التعجب من فعلهم التطفيف، والمعنى: كلا بل هم مبعوثون لذلك اليوم

العظيم ولتلقى قضاء رب العالمين، وقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ استئناف ابتدائي بمناسبة

ذكر يوم القيامة. وهو تعريض بالتهديد للمطففين بأن يكون عملهم موجباً كتبه في كتاب الفجار. و﴿

الْفَجَارِ﴾ غلب على المشركين ومن عسى إنَّ يكون متلبساً بالتطفيف بعد سماع النهي عنه من

المسلمين الذي ربما كان بعضهم يفعله في الجاهلية. و﴿كِتَابٌ﴾ المكتوب، أي الصحيفة وهو هنا

يحتمل شيئاً تحصى فيه الأعمال، ويحتمل إنَّ يكون كناية عن إحصاء أعمالهم وتوفيقيهم عليها.

و﴿سِجِّينٍ﴾ علم لوادٍ في جهنم، صيغ بزنة فعيل من مادة السجن للمبالغة. ومحمل قوله: ﴿لَفِي

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم (٤٢)، حديث رقم (١٩١٢)، ج ٢، ص ١٩٧.

﴿سَجِّين﴾ أن كتب أعمال الفجار مودعة في مكان اسمه ﴿سَجِّين﴾ وذلك يؤذن بتحقيقه، أي تحقير ما احتوى عليه من أعمالهم المكتوبة فيه، وجملة ﴿كَلَّا وَمَا آدْرَاكَ مَا سَجِّينُ﴾ معترضة بين جملة ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ﴾ وجملة ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ وهو تهويل لأمر السجن تهويل تفضيع لحال الواقعين فيه^(١).

ويظهر من الآيات الكريمة الربط بين التذكير بالبعث مع تسجيل الأعمال، وخص بالذكر التطفيف من أعمال الفجار، في صحائف أعمالهم المودعة في مكان اسمه سجين وهو وادٍ في جهنم، وجاء ذلك بأسلوب السؤال ليكون أنجع في الردع وأبلغ في التأثير في النفس للابتعاد عن أعمال الفجار الموصلة لجهنم، وفي ذلك تزكية للنفس.

ومن أمثلة استخدام أسلوب السؤال قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا آدْرَاكَ مَا

الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة: ١ - ٣). أورد ابن عاشور في تفسيره للآيات أن المراد بالحاقة لقبٌ ليوم القيامة، لأنه يوم محققٌ وقوعه، أو لأنه تُحَقَّقُ فيه الحقوق ولا يضاع الجزاء عليها. و ﴿مَا﴾ اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم كأنه قيل: أتدري ما الحاقة؟ أي ما هي الحاقة، أي شيء عظيم الحاقة. و ﴿مَا﴾ الثانية استفهامية، والاستفهام بها مكنى عن تعذر إحاطة علم الناس لكونه الحاقة، لأن الشيء الخارج عن الحد المألوف لا يتصور بسهولة فمن شأنه إن يتساءل عن فهمه. والخطاب في قوله: ﴿وَمَا آدْرَاكَ﴾ لغير معين. والمعنى: الحاقة أمر عظيم لا تدركون كنهه. وهو أمر محقق الوقوع لأن الاستفهام فيه للتهويل^(٢). وإن استخدام صيغة السؤال عن أحداث يوم القيامة، فيه تهويل وتعظيم، وله أثر يقع على النفس لتكون على حذر دائم من اليوم الآخر، وتستعد لذلك أشد الاستعداد بتزكية النفس والسيطرة عليها.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٠٣ - ١٠٦.

ومن ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الانفطار: ١٧)، يقول ابن

عاشور في تفسيره للآية: تركيب مركب من ﴿مَا﴾ الاستفهامية وفعل الدراية المُعدى بالهمزة فصار فاعله مفعولاً زائداً على مفعولي (درى)، وهو من قبيل: أعلم وأرى، فالكاف مفعوله الأول، وقد علق على المفعولين الآخرين بـ ﴿مَا﴾ الاستفهامية الثانية. والاستفهام الأول مستعمل كنايةً عن تعظيم أمر اليوم وتهويله بحيث يسأل المتكلم من يسمعه عن الشيء الذي يحصل له الدراية بكنه ذلك اليوم، والمقصود أنه لا تصل إلى كنهه دراية دارٍ. والاستفهام الثاني حقيقي، أي سؤال سائل عن حقيقة يوم الدين^(١). وإنّ استخدام أسلوب السؤال يثير في النفس التعظيم والتهويل لأمر اليوم الآخر، وذلك مدعاة للتأثير في النفس وتزكيته.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ١٦٣.

الفصل الثالث

تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الأول: تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الثاني: تزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المبحث الثالث: تزكية الجانب العملي في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

الفصل الثالث

تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

مما لا شك فيه إنّ تزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، تتعلق بتزكية جميع جوانب النفس، الفكرية والوجدانية والعملية، فقد وازنت العقيدة الإسلامية في الإنسان بين عقله وروحه وجسده، لتجعله إنساناً سوياً، لذلك يُعنى هذا الفصل من الدراسة في دراسة تزكية جوانب النفس الإنسانية، والتي استقتها الباحثة من روح النصوص الشرعية، ومن هنا يبسط الفصل الحالي تزكية جانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ويعرض تزكية جوانب النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ويعرض تزكية النفس في جملة من الأبعاد التي يعول عليها في تزكية الجوانب الفكرية والوجدانية والعملية، ويقدم الفصل منظومة من الإجراءات العملية لتزكية النفس. وعليه، قامت الباحثة بتقسيم الفصل الحالي إلى ثلاثة مباحث، اعتمد كل مبحث على عرض لجانب من جوانب النفس الإنسانية.

المبحث الأول

تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يشير الجانب الفكري من الإنسان في هذه الدراسة إلى العقل والفكر والمعرفة والاعتقاد، وقد ذكر العقل في القرآن الكريم باعتباره الغريزة البشرية التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، وكذلك أساساً لفهم الدين وغرس الإيمان والعقيدة في النفوس.

وأشار القرآن الكريم إلى العقل ما يقارب الخمسين مرة، وذكر أولي الألباب أي العقول في بضع عشرة مرة، وقد وردت أسماء التفكير والتدبر والنظر وهي أعظم وظائف العقل، كطرق لخطاب الدين الموجه إلى العقل^(١). فقد حث الإسلام على حرية التفكير والنظر والتدبر، ودعا إلى استقلال العقل، وحرر العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى واتباع الهوى.

وإن تزكية الجانب الفكري للنفس الإنسانية، تعتمد على تزكية العقل بالنظر والتدبر والتأمل والتفكير، ولا بد من استخدام أدوات التعقل من سمع وبصر وغيرها.

والسبب في الأهمية الخاصة للعقل في القرآن الكريم إنّ الإنسان يفكر بواسطة عقله، ويدرك الحقائق به، وبه يشخص الحسن والسيئ، المفيد والمضر، يعرف ربه بواسطة عقله، ويعرف نفسه، ويشخص وظائفه، والإنسان الذي يعرف ربه بواسطة عقله، يعرف كيف يعبد، ويعتقد بالمعاد ويتجهز له، ويعتقد بالأنبياء ويطيعهم، ويتعرف على مكارم الأخلاق، ويربي نفسه عليها، ويعرف الرذائل ويتجنبها^(٢).

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص ١٧٦.

(٢) الأميني، إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، ص ٥١.

وتزكية الجانب الفكري تعد أول خطوة في تزكية النفس، إذ أنّ التفكير وإعمال العقل ينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية ويزيل الغفلة منها، ويرسخ المفاهيم الدينية فيكون دافعاً لتزكية النفس وتهذيبها اعتقاداً وسلوكاً.

لذلك، فإنّ تزكية الجانب الفكري للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، والتركيز على عملية البناء العقدي للنفس المؤمنة فكرياً يحدث أثراً على السلوك في واقع الحياة؛ فوجود العقيدة المؤثرة وتمثلها في الفكر يستلزم وجود آثارها السلوكية في النفس.

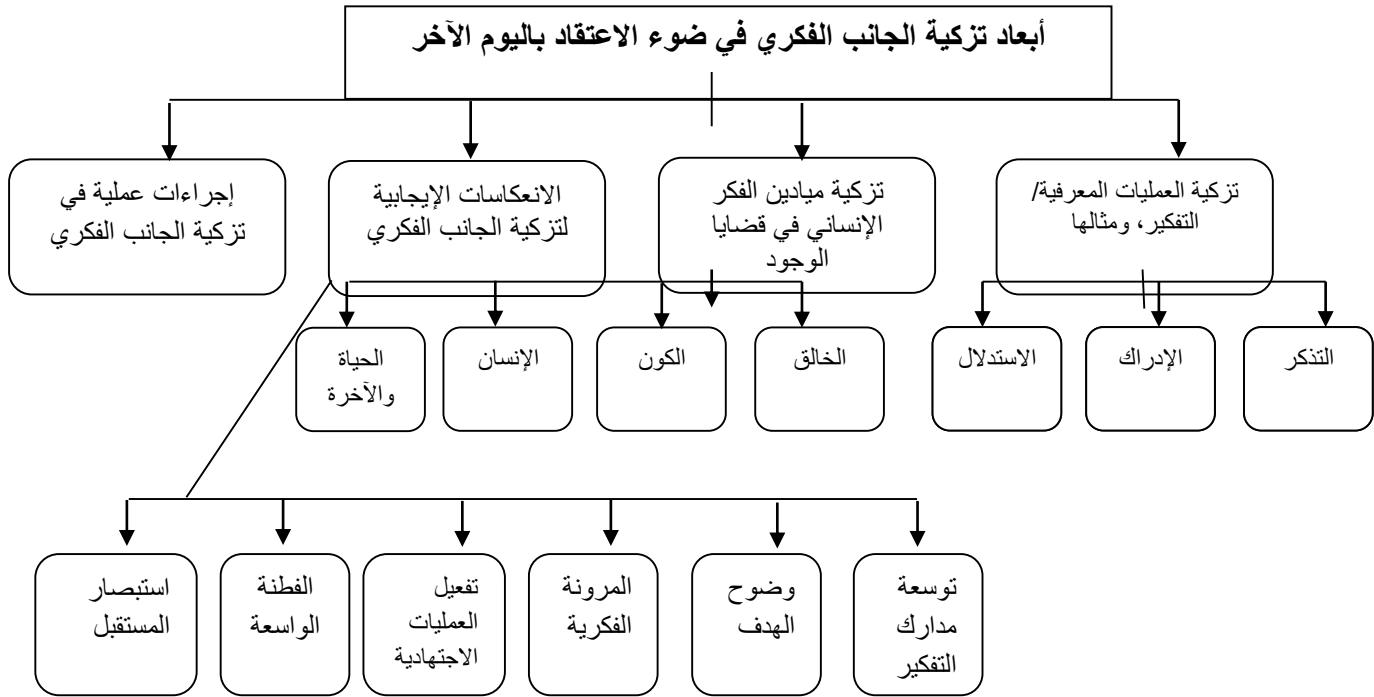
وإنّ تصحيح مسار التفكير الاعتقادي، يؤدي إلى تزكية النفس واستقامتها. والمتأمل في المنهج القرآني يجد هذا واضحاً جلياً، ومن ذلك تصحيح مسار الفكر في بيان مفهوم رحمة الله تعالى، وهو إنّ رحمة الله اختصها للمتقين، وأنّ عذابه توعدّ به العصاة، وأنه ليس عند الله عزيز مع المعصية. ليصوب بذلك توجهات المشاعر النفسية من الرجاء الصادق والخوف من الله، وعدم الاغترار والأمن من عذاب الله تعالى، ويحذر النفس من الرجاء الكاذب الذي هو ضرب من الأمانى الخادعة، ممّا يؤدي إلى طاعة الله تعالى واجتتاب معصيته^(١). وهذا تزكية للنفس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۗ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠ - ٨١). وقد أشارت الآيات إلى أنّ منشأ الخلل السلوكي في تطبيق شريعة الله، يرجع إلى انحراف فكري من الظن الكاذب في رجاء رحمة الله تعالى والأمن من عذاب الله تعالى وعدم الخوف من وعيده.

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٣٦٥.

والقرآن الكريم يثبت النفس من خلال تزويدها بالتصورات الصحيحة عن اليوم الآخر،
فتستطيع النفس تقويم الأوضاع من حولها، والموازن التي تهَيء الحكم على الأمور بدون اضطراب
أو تناقض في الفكر.

وتقترح الباحثة، عرض تركية الجانب الفكري للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

وفق الأبعاد الآتية:



أولاً: تركية العمليات المعرفية (التفكير) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ومن ذلك ما

يأتي:

١. تركية العمليات المعرفية (التذكر) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وانعكاساته التربوية على

النفس:

تكرر الحديث عن اليوم الآخر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، حتى لا تكاد تخلو صفحة

من صفحاته من التذكير به، لما له من دور كبير في تركية النفس والتأثير فيها. وإن هنالك سبباً

دائماً يدعو إلى التذكير بالآخرة والتكرار المستمر لليوم الآخر في القرآن الكريم، وذلك حتى تتحقق

اليقظة الدائمة والانتباه من الغفلة عن اليوم الآخر، فيبقى حاضراً في الذهن، وحيّاً في الضمير، ليكون طريقاً لتزكية النفس وصلاحها.

وإن تعميق حقيقة الآخرة في الفكر من خلال التكرار والتذكير الدائم لحقيقة الآخرة لتبقى هذه الحقيقة حاضرة في التصور، ملازمة للنفس في كل أحوالها وتصرفاتها، لتستقيم على العمل الصالح^(١). وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى عملية التذكر، ووصفها بأنها دلالة على العقل السليم^(٢). فالذاكرة تؤدي إلى تثبيت الخبر، والمساهمة الفاعلة في البناء المنهجي السليم، ويستخدم القرآن الكريم التوكيد بهدف تأكيد قضية ما، كي يحفظ الإنسان ما تم التأكيد عليه، ويغرسه في الذاكرة، ويقيه هذا الحفظ من النسيان المؤدي إلى الغفلة، ومثال ذلك، الآيات التي جاءت تؤكد عداوة الشيطان كي تبقى حاضرة في الذهن^(٣)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦).

وتتجلى طريقة القرآن الكريم في تزكية العمليات المعرفية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر عن طريق تذكّر اليوم الآخر والتذكير الدائم به، من خلال ما يأتي:

- التذكير الدائم باليوم الآخر يعالج ويضبط الشهوات وطغيانها:

لقد خلق الله تعالى النفس وخلق فيها دوافع فطرية قوية متأصلة، ولكن الله عز وجل يعلم سبحانه إنّ هذه الدوافع إذا تركت وشأنها بغير ضابط تنقلب إلى "شهوات"، وعندئذ تصيب الإنسان بالهلاك وتصبح قيدياً يعوق ويشغل عن أداء مهام الخلافة الحقة. لذلك وضع الله في الفطرة ضوابط تضبط هذه الشهوات، وتحدد منطلقها وتنظف مجراها. وتردها من شهوة طاغية، إلى رغبة منضبطة

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٤١٥.

(٢) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٣، ص ١١٣.

(٣) جابر، تهاني عفيف، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، ص ٧٥.

ممكنة القيادة. ثم علم الله إن هذه الضوابط في داخل النفس بحاجة إلى معين يعينها بمهمتها، ويشدّ من أزرها إزاء طغيان الشهوات، فوضع لذلك العبادات التي تذكّر بالله تعالى، وتدعو إلى تقواه. لكنه يعلم كذلك - سبحانه - إن تلك الدوافع أو الشهوات لها ثقله تجذبها إلى الأرض، وأنه لا بد من ثقل من الناحية الأخرى يعادل هذه الجاذبية العنيفة التي تنقل الإنسان إلى الأرض، وذلك هو الإيمان باليوم الآخر والتذكير الدائم به^(١).

ومن الآيات التي جاءت لتؤكد على هذا المعنى ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ (آل عمران: ١٤ - ١٥).

- قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ (مريم: ٥٩ - ٦٠).

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف: ٥١).

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٥ - ٦٦.

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَذَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات: ٣٤ - ٤١).

وبالنظر إلى الآيات السابقة فإنها أشارت إلى تفلت الشهوات وطغيانها، وكذلك أشارت الآيات إلى طريقة ضبطها من خلال التذكير باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب وخلود. وإن الذكر الدائم لليوم الآخر بما يطرق أسماع المخاطبين، ليخاطب فكرهم وعقولهم، بما يزكي نفوسهم.

- الذكر والتذكير الدائم باليوم الآخر يعالج تقلب المشاعر وتغيرها:

إن العجينة البشرية عجيبة لا تستقر بسهولة في داخل القلب الذي تتحقق به في سلامتها في الدنيا والآخرة، وإنما هي دائمة التلوي والتحرك، فهي في حاجة إلى عملية ضبط دائمة لا تكل ولا تفتر، لذلك لا يكفي إن يذكر الإنسان مرة ثم ينتهي الأمر، إنما يحتاج الأمر إلى التذكير الدائم باليوم الآخر وحسابه، وثوابه وعقابه، وذلك ما يفعله القرآن الكريم^(١).

فالمنهج القرآني يعمد إلى التذكير الدائم بالآخرة مرة بعد مرة، ليضبط تقلب المشاعر، ومن

ذلك:

- قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنْظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِّلنَّوَىٰ ﴿١٦﴾ نَدْعُوا مِن أَدْبَرَ وُجُوهِنَا ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقٌ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (المعارج: ١٥ - ٢٧).

- قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦١﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ (العلق:

٦ - ٨).

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٧.

- قال تعالى: ﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ فَنُوحُوا ۗ وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۗ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: ٤٩ - ٥١).

إن العواطف والمشاعر في النفس الإنسانية لا بد لها من ضبط حتى تستقر، لذلك هي بحاجة إلى التذكير الدائم باليوم الآخر مرة بعد مرة، والتذكير والتكرار والذكر الدائم يعد من الأساليب التي تشكل فكر الإنسان، بالتالي تؤثر في شعوره وسلوكه.

- الذكر والتذكير الدائم باليوم الآخر يعالج الغفلة وكثرة النسيان:

إن من آفات وأمراض النفس النسيان والغفلة، فكثيراً ما تغفل النفس عن مصيرها في الآخرة، بسبب حب الشهوات، والانشغال بالدنيا ومتاعها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۗ﴾ (التكاثر: ١-٢)، ومن أجل ذلك كان التذكير الدائم بالآخرة ونعيمها وعذابها، ليعالج الغفلة والنسيان، ويحقق بذلك التوازن في الفكر والشعور بين الحياة الدنيا الحاضرة، وبين الحياة الآخرة الغائبة، لتكون الحياة الآخرة حاضرة في الذهن أكثر من الدنيا، وهذا دافع لإزالة الغفلة عن المصير المنتظر في الآخرة^(١)، ومن أدلة ذلك:

- قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۗ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۗ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ

(١) الشلoul، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٢٤٢.

الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ (الأنبياء: ١ - ٣).

- قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ (الأنبياء: ٩٧).

- قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ (ق: ١٩ - ٢٢).

- قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٣٧﴾ أُولَئِكَ نُعَذِّبُكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ (فاطر: ٣٧).

والم تأمل في الآيات الكريمة السابقة يجد أنها أشارت إلى الغفلة التي تسيطر على النفس في الحياة الدنيا، فتتسيبها الآخرة، لتكون بذلك سبب الهلاك والضياع، وقد عالجت الآيات الكريمة هذه الآفة التي تسيطر على الفكر والعقل، بالتذكير الدائم باليوم الآخر، وذكر أحداث الآخرة من الموت والحساب ودخول النار.

- الذكر والتذكير الدائم باليوم الآخر، يعالج حب العاجلة:

إن الله عز وجل خالق النفس الإنسانية وهو العليم الخبير، فهو يلج بالآيات القرآنية منافذ الفكر في النفس وما يجول في الخواطر، ويحث فيها الأثر الكبير ليصل بالإنسان إلى طريق الهداية والنجاة. ولقد علم سبحانه ما جُبِل عليه الإنسان من حب العاجل القريب وتفضيله على الآجل البعيد،

وهذا ما يفسر محبة النفس للدنيا وتفضيلها على الآخرة، فعملت الآيات القرآنية على تذكيها بالآخرة، ليجعلها قريبة من الفكر والوجدان، فعمدت الآيات إلى تقريبها من التصور، من خلال التأكيد على قرب تحقق وقوعها^(١)، وذلك بالتذكير الدائم باليوم الآخر، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمًا ۝﴾ ((المعارج: ٥ - ١٠)).

- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ((النبأ: ٤٠)).

- قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ((الأحزاب: ٦٣)).

وبالاستدلال بالآيات السابقة فإنها تشير إلى قرب تحقق وقوع الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَنَزَلَهُ قَرِيبًا﴾، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقال: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، فدخلت الآيات إلى أعماق الفكر بالتذكير والتأكيد على قرب تحقق وقوع الساعة، لتكون قريبة من تصور الإنسان، وذلك لأنَّ الإنسان جُبِلَ على حب العاجل القريب وتفضيله فعملت الآيات على تقريب الساعة من الذهن والفكر.

- الذكر والتذكير باليوم الآخر، يعالج التثاقل من الأعباء والتكاليف:

إن المؤمن مُكَلَّفٌ في الأرض بتكاليف، وهذه التكاليف يصاحبها ألوان من المشقة والحرمان، ولكن النفس بسبب الميل للراحة تتثاقل عن القيام بالتكاليف التي أمر الله عز وجل بها. ولذلك كان

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٢٤٣.

الإيمان باليوم الآخر الذي فيه العوض الكبير عما يفقده في الدنيا، ويخفف وطأة التكاليف وتقلها على النفس^(١). فجاءت الآيات تذكّر بالآخرة، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَتَقَلَّتْكُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَأَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا

تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (التوبة: ٣٨ - ٣٩).

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ

عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ؕ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ

عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ؕ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا

تُظَلَمُونَ فَتِيلاً ﴿النساء: ٧٧﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ؕ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ

أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (البقرة: ٤٥ - ٤٦).

وإن الآيات الكريمة تحدثت عن أنواع من التكاليف، مثل الجهاد في سبيل الله تعالى، وإقامة

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصبر، وكل تلك الأعباء، والتكاليف تحتاج إلى بذل النفس والمال في سبيل

الله تعالى، ولذلك كان التذكير بالآخرة، للتعويض عن هذا التعب والمشقة، فالآيات القرآنية خاطبت

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٧ - ٦٨.

الفكر في النفس إذ أنّ التذكير بالآخرة وذكرها الدائم، يثير الفكر الذي يؤثر على الجانب السلوكي والعملية للنفس، فيدفعها إلى العمل.

- الذكر والتذكير الدائم باليوم الآخر، يعالج ما يتعرض له الإنسان من صعوبات وابتلاءات:

إن النفس الإنسانية لا تعيش حياة مستقرة وثابتة على حال، فهي تمر بظروف متغيرة وأحوال وأحداث مستجدة بين السراء والضراء. وقد تفقد النفس توازنها أمام هذه الظروف، ومن هنا، تظهر أهمية التذكير باليوم الآخر وذكره وتكرار ذلك في مواضع مختلفة في القرآن الكريم، والتي تعالج كل ما تتعرض له النفس من أحوال مختلفة، لتحقيق بذلك التوازن والاستقرار للنفس^(١)، ومن الآيات الكريمة التي تؤكد هذا المعنى، ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ

فِتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

- وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

اِنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۚ وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ كِتَابًا مُّوجَلًّا ۚ وَمَن يُرِدْ

ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (ال

عمران: ١٤٤ - ١٤٥).

- وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٢٤٥.

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ (العنكبوت: ٢-٦).

- وقال تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

- وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ (الأنبياء: ٣٥).

وقد بينت الآيات الكريمة السابقة ظروف وأحوال تصيب النفس، وتعرض لها من فتن وابتلاءات بالشر والخير، وأحوال متغيرة قد تفقد النفس توازنها وثباتها على الطريق الصحيح، ولكن تشير الآيات إلى طريقة العلاج لكل ذلك من خلال التذكير بالآخرة لتعيد للنفس التوازن والاستقرار والثبات على الدين.

وإن ذكر الآخرة في ظل تلك الظروف والأحداث، يشغل الفكر في النفس الإنسانية بقضية أكبر أهمية وأكثر صلاحية لتحقيق التوازن في النفس، نتيجة تعرضها لمثل تلك الظروف التي تغلب فيها جانب الشعور، فذكر الآخرة يعيد للنفس التوازن من خلال إيراد ذكر الآخرة في النفس.

- الذكر والتذكير باليوم الآخر، يعالج محاولات الشيطان المستمرة في إغواء النفس وتضليلها:

إنّ الشيطان لا يفتقر عن إغواء النفس وإضلالها، فهو يحاول الوصول إلى ذلك مستخدماً كل الطرق والحيل لينفذ إلى مكامن النفس، فيوسوس ويمني وينزغ ويفتنن، إلى غير ذلك من الأساليب التي يعمل من خلالها ليصد النفس عن دينها وعن طاعة ربها. وإن التذكير بالآخرة والذكر الدائم لليوم الآخر، وحضور ذلك في الذهن، يعد رادعاً لمحاولات الشيطان ومكائده^(١)، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ اِلٰى اٰبۡرٰهِيۡمَ اِلۡمۡ اَعۡهَدَ اِلَيْكُمۡ يٰۤاٰدَمُ اَنْ لَا تَعۡبُدُوا الشَّيۡطٰنَ ۗ اِنَّهٗ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِيۡنٌ ﴿٦٠﴾ وَاَنْ اَعۡبُدُوۡنِيْ ۗ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسۡتَقِيۡمٌ ﴿٦١﴾ وَاَلۡقَدَّ اَضَلَّ مِنْكُمۡ جِيۡلًا كَثِيۡرًا ۗ اَفَلَمۡ تَكُوۡنُوۡا تَعۡقِلُوۡنَ ﴿٦٢﴾ هٰذِهِۦٓ جَهَنَّمُ الَّتِيۡ كُنۡتُمۡ تُوعَدُوۡنَ ﴿٦٣﴾ اَصۡلَوۡهَا الۡيَوْمَ بِمَا كُنۡتُمۡ تَكۡفُرُوۡنَ ﴿٦٤﴾

(يس: ٦٠ - ٦٤)

- وقال تعالى: ﴿يَعۡبُدُوۡهُمۡ وَيُمۡنِيۡهِمۡ ۗ وَمَا يَعۡبُدُوۡهُمُ الشَّيۡطٰنُ اِلَّا غُرُوۡرًا ﴿١٢٠﴾ اُوۡلٰٓئِكَ مَاۤؤَدَةُۡهُمۡ جَهَنَّمُ ۗ وَلَا يَجِدُوۡنَ عِنۡهَا مَحِيۡصًا ﴿١٢١﴾﴾ (النساء: ١٢٠ - ١٢١).

- وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيۡطٰنِ اِذۡ قَالَ لِلۡاِنۡسٰنِ اَكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّيۡ بَرِيۡءٌ مِّنۡكَ اِنِّيۡۤ اَحَافُ اِلٰهَ رَبِّ الْعٰلَمِيۡنَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا اَنَّهُمَا فِي النَّارِ خٰلِدِيۡنَ فِيۡهَا ۗ وَذٰلِكَ جَزَاؤُا الظَّٰلِمِيۡنَ ﴿١٧﴾﴾ (الحشر: ١٦ - ١٧).

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٢٤٦.

- وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ
الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ٦٣).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦).

وقد بينت الآيات الكريمة إنَّ علاج وسوسة الشيطان الذي قد يستحوذ على تفكير الإنسان،
يكون بالتذكير بالآخرة، فربطت الآيات الكريمة ذكر الشيطان وأساليبه وحيله في إغواء النفس، بذكر
الآخرة والتذكير باليوم الآخر والعذاب الأليم لكل من يستجيب للشيطان ومكائده.
فالتذكير الدائم باليوم الآخر والتكرار المستمر في كثير من مواضع القرآن الكريم، يعد تزكية
للجانب الفكري في النفس الإنسانية.

٢. تزكية العمليات المعرفية/ (الإدراك) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وانعكاساته التربوية في
النفس

يعتمد المنهج القرآني في تزكية عملية الإدراك في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، على ما يأتي:
- تزكية الإدراك في النفس من خلال تجلية الصورة الحقيقية للآخرة، وذلك بالتفصيل والبيان لكل
أحداثها وحقائقها، لتكون تلك الحياة المنتظرة واضحة في الفكر بكل تفصيلاتها، لتحدد النفس
في ضوءها مسيرتها في الحياة.

وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن اليوم الآخر، وبيَّن بالتفصيل كل ما يجري فيه من
أحداث وحقائق، فجاء حديثه عن الآخرة من السعة والشمول والوضوح حتى بات عالم الآخرة في فكر
المؤمن أثبت وأوضح من عالم الدنيا الذي يعيشه^(١).

(١) فايز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ٨.

- تزكية الإدراك في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، من خلال تبصير المسلم بالعاقبة خيرا وشرها، حتى يعدُّ بها من خلال النظر في مآلات أفعاله والنتائج المستقبلية المترتبة على أعماله، والتي لها الأثر الإيجابي على النفس^(١). فتبصير النفس لإدراك العاقبة ومآلات الأفعال ونتائجها، يعد تزكية لعملية الإدراك في النفس.

- تزكية الإدراك من خلال الجدل المنطقي في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وذلك من خلال استخدام الجدل المنطقي والدليل العقلي الذي يحاكي الذهن، وهو إعمال للعقل على نطاق واسع شامل في قضايا الإيمان باليوم الآخر بما يمكن إن يدخل في نطاقه.

ومن نماذج الجدل مع المكذابين بالبعث، قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ

قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ ۗ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (يس:

٧٨ - ٨٣)، وقد أوردت الآيات "الدليل العقلي الذي قوامه إنَّ الله خلق السموات والأرض أول مرة،

والذي يحيي الأرض الموات فتزخر بالحياة والأحياء بعد إنَّ كانت مقفرة، والذي خلق هذا الإنسان

المعقد التكوين في أشد التعقيد من النطفة، قادر على إنَّ يعيد العظام وهي رميم، ويبعث الناس من

رقدتهم مرة أخرى، ولكنه لا يورده قضية منطقية جافة، ولا يحصره في محيط الذهن، إنما يثير معه

الوجدان بالتوقيع على أوتار القلب الفطرية، فينفع الوجدان ويقنتع الذهن جميعاً في آن^(٣).

(١) الشلول، زكريا، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، ص ٤١٥.

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٣.

- تزكية عملية الإدراك بالاعتماد على رؤية آيات الله تعالى وآثار حكمته، ومظاهر قدرته المائلة

أمام أعين الإنسان، لإثبات البعث، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُوعِينَ ۗ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ اللَّيْلَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۗ ﴾

(الرعد: ٣). فإنَّ النظر في آيات الله تعالى في الكون لإثبات البعث، وإدراك حقيقة الآخرة.

ولقد قدم القرآن الكريم للمعارضين للبعث حجة الفاصلة من خلال إثبات قدرة الله الباهرة

في الإنسان والطبيعة، فالإنسان وتطوره وتحوله من حال إلى حال، والأرض وما تخرجه من نبات

كل ذلك آية من آيات قدرته^(١)، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ

فَأِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّظْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ

لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ۗ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

أَشَدَّكُمْ ۗ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُ إِلَىٰ آزَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ

شَيْئًا ۗ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً ۖ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجٍ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا

رَيْبَ فِيهَا ۖ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۗ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا

كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ (الحج: ٥-٨).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ

(١) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٣٢.

نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْقَذُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (يس: ٧٨-٨٣). وقد جمع الله عز وجل
بين النشأتين للدلالة على قدرته تعالى بكل واحدة منهما. يقول ابن القيم: ذكره بمبدأ خلقه ليبدله به
على النشأة الثانية، ثم أخبر إنَّ الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل بل لما نسي خلقه ضرب
المثل، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هذا جواب واستدلال قاطع، ثم أكد هذا
المعنى بالإخبار بعموم علمه بجميع الخلق. ثم أرشد عباده إلى دليل واضح جليّ متضمن للجواب
عن شبه المنكرين بالطف الوجوه وأبينها وأقربها إلى العقل، فقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ
الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ فهذا دليل على تمام قدرته وإخراج الأموات من قبورهم، كما أخرج النار من
الشجرة الخضراء. ثم نزه الله تعالى نفسه عما نطق به أعداؤه المنكرون للمعاد. بقوله تعالى:
﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ثم ختم السورة بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ كما أنهم ابتدأوا
منه هو، فكذلك مرجعهم إليه. فمنه المبدأ وإليه المعاد^(١).

ويتضح من كلام ابن القيم في دلالة الآيات على قدرة الله تعالى في المبدأ والمعاد، وتتمام
قدرته بأقرب الوجوه والطفها إلى العقل من خلال الإجابة على شبه المنكرين.

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، دار الجيل، ط ٢، ١٩٧٣،
ج ١، ص ١٤٠-١٤٢.

٣. تزكية العمليات المعرفية (الاستدلال) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وانعكاساته التربوية على

النفس:

يعتمد المنهج القرآني في تزكية العمليات المعرفية (الاستدلال) في ضوء الاعتقاد باليوم

الآخر، على ما يأتي:

- إجراء الموازنة والمقاييس العقلية بين الدنيا المحدودة الفانية، والآخرة الواسعة الباقية، وبين نعيم

أهل الجنة وعذاب أهل النار، لكي يترجّح للعقل أفضلية الآخرة على الدنيا^(١).

- العمل على إثبات اليوم الآخر وتقريره بالأدلة العقلية والسمعية، وذلك يحقق في النفس التصديق

الجازم بوجود الله تعالى ووعيده، واليقين الذي يشكل العنصر الأساسي لتزكية النفس وتهذيبها.

- قياس الأدلة، وهو الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها ومثله قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ

ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ

إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (فصلت: ٣٩). "فدل سبحانه عباده بما أراهم من الأحياء الذي تحققوه

وشاهدوه على الإحياء الذي استبعده، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره،

والعلة الموجبة هي: عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة"^(٢). وفي هذا

تقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله في الذهن.

وقياس الأدلة استعمل في آيات القرآن الكريم من خلال:

(١) المنيجي، شمس الدين، تسليمة أهل المصائب، ص ١٥.

(٢) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٣٧.

- وصف تقريرى، وهو تقرير الحقائق من خلال ما يشاهد أو يوصف^(١)، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ (الأعراف: ٥٧).

- أو من خلال ضرب الأمثال لتقريب المراد، وتفهم المعنى وإبصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال. وكثيراً ما تبرز الأمثال المعقولة في صور مجسمة وتلبس ثوب المحسوس. ولا يلزم إن تكون هذه الأمثال خيالية. بل تكون حقيقة واقعة كما في مثل الرجل الذي مر على قرية، وقد أراه الله إحياء العظام، ليجعل خبره آية للناس من أهل الإيمان^(٢).

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وإن الاستدلال من خلال القياس في الآيات السابقة دليل واضح يخاطب العقل بكل وضوح،

ومنطق سليم.

(١) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٣٨.

(٢) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٣٨ - ١٣٩.

ثانياً: تزكية ميادين الفكر الإنساني في قضايا الوجود، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

والمراد بتزكية ميادين الفكر الإنساني في قضايا الوجود في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، أي

تزكية ميادين الفكر من خلال تنمية القدرات العقلية، لتكون قادرة على تدبير شؤون الإنسان وتنظيم

علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة. وهذا ما سيتم عرضه فيما يأتي:

١. تزكية التفكر في وجود الخالق في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يؤسس القرآن الكريم فكرة الإيمان بالحياة الآخرة، من خلال الإيمان بأن الله عز وجل الخالق

لكل شيء في الوجود، هو الأول وبالتالي هو الآخر، إذ إليه المآل والحساب والجزاء، يقول الله تعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ۖ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

وقد استخدم القرآن الكريم قضية اليوم الآخر في تزكية النفوس بالتعريف بالله عز وجل،

خالقهم وربهم، هو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يملك أمر الدنيا وأمر الآخرة، وأنه هو الذي يُصرف

القلوب. هكذا كانت أداة التربية الأولى في القرآن الكريم، تعلقت القلوب بالله في السر والعلن، وأصبح

ذكر الله حياً في القلوب، فاستقامت هذه القلوب على أمر الله، وهكذا كانت العقيدة التي عرفتهم

بربهم^(١).

وإن معرفة الله سبحانه وتعالى والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية، ومطالعة صفاته وأسمائه،

ونظام ملكه، مدعاة إلى التوسع المعرفي فيما لا تستطيع الحواس إدراكه.

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٤٩٣.

٢. تزكية التفكير في ميدان الكون في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

المراد بالتفكير في الكون، فتح البصيرة للتفكير في خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب، والنظر في ملكوت الله سبحانه والنظام البديع المحكم في الكون والوصول بالعلم والمعرفة إلى إثبات فناء هذا الكون.

وإن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أحداث تغير هذا الكون، فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتفتت الأرض، ويدمر كل ما يعرفه الإنسان في هذا الوجود. وإن هذا الإيمان ينمي لدى المؤمن التفكير التجديدي عبر تفعيل عملية التخيل للتغيرات الجوهرية التي ستشهدها السنن الكونية. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ^ج وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً^د فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ^{هـ} وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣-١٦).

وحتى تنزكي القدرات العقلية فعلى الإنسان إن يتفكر في خلق الكون وينظر في المخلوقات، وتفعيل الفكر الإنساني في خضم الموجودات الآفاقية. والعلم بحقيقة الكون وسننه، يحقق التزكية بالقرب إلى الله.

وإن منهج القرآن في تزكية التفكير في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، يقتضي تفعيل التفكير في ميدان الآفاق، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ^ط لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^ج يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ^د أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ^{هـ} فِي أَنفُسِهِمْ^و مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^ز وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ^ح﴾ (الروم: ٦-٨).

ويخضع الكون وكل مخلوقات الله فيه، لسنة الله في وجوده وفنائه، يقول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ

دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (ال

عمران: ٨٣)، فهذا الكون بكل ما فيه يخضع قسراً لسنة الله تعالى، ويسير إلى الرجوع إلى يوم المعاد.

وإنَّ الإيمان باليوم الآخر يربِّي العقل على الفطرة السليمة، وذلك إنَّ كل إنسان يفكر في هذا الكون بدون تحيز إلى أهوائه، وبالقياس المنطقي على خلق الله لهذا الكون، يسلتزم إنَّ الذي خلق الكون أول مرة قادر على إعادته خلقاً جديداً، وأن كل ما في الكون من حياة وموت، وفناء أو ضعف تدريجي للطاقات وتغيّر وأفول، يدل على أنه صائر إلى الزوال ومسيرٍ بغير إرادته. وأن هذا الكون الذي يدل على خالق مبدع حكيم، يدل على وجود غايةٍ خُلِقَ من أجلها. هذه السلسلة من التفكير السليم، والارتباط المنطقي بين المقدمات والنتائج، تربي العقل على التفكير السليم، كما تربيته ألا يستسيغ العبث وانعدام الغاية، والخضوع للمصادفة، فكل ذلك ليس من الفطرة العقلية السليمة بوجود الله وبالיום الآخر^(١).

وإن القرآن الكريم بيّن منهج التعامل مع حقيقة الكون وما فيه، من خلال القناعات الفكرية والمبادئ الاعتقادية، وحذّر من الميل إلى جموح الشهوات والأهواء في النظر إلى الكون.

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

ثِقَالًا سُقَّتْهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧)، قال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط ٢٥، ٢٠٠٧م، ص ٨٤ - ٨٥.

﴿الْمَوْتِ﴾ الإشارة إلى إخراج الثمرات أو إحياء البلد الميت أي كما نحياه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بطرح إحدى التاعين أي (تتذكرون)، فتعلمون إنَّ من قَدَرَ على ذلك، قَدَرَ على هذا من غير شبهة^(١). ويستتبط من هذا إنَّ الإيمان بالبعث والنشور يسهم في تنشيط العمليات المعرفية، وتفعيلها في مواطنها الآفاقية المختلفة، وذلك عبر تنشيط عمليات التذكر والاستدلال عند النظر في موجودات الكون من نباتات وأشجار وربطها بالآخرة.

وقد نبه القرآن الكريم الإنسان إلى إنَّ كل ما يراه حوله من أشياء الكون ومظاهره، مسخَّر من قبل الله عز وجل، لخدمة الإنسان، وتدبير أسباب عيشه، وتحقيق شروط رفايته وأمنه، وإلى إنَّ الله تعالى قد أقام بينها وبين الإنسان نسباً من الفكر والعقل، فهي ليست مستغلقة على النظر والفهم، بل خاضعة في معرفة كلياتها ودقائقها لمجهر التأمل والبحث. غير إنَّ البيان الإلهي استثنى طائفة من الظواهر والأنظمة الكونية، عن عموم هذه المسخرات والمذلات، بين يدي الإنسان، وأكد لنا إنَّ الطائفة المستثناة باقية وستبقى بعيدة عن إنَّ تطولها يدُّ بأيّ تبديل، مستعصية على كل أسباب التغيير أو التطوير، فهي إذن لا تدخل في جملة ما قد سخره للإنسان، وأخضعه لإمكاناته الفكرية أو قدراته العضلية. ومن ذلك ظاهرة الموت التي جعلها الله تعالى قضاء مبرماً في حق كل من دخل في عالم الأحياء فليس من سبيل إلى التحرر منها أو القضاء عليها، مهما كانت الوسائل والأسباب^(٢).

ثمَّ إذا تعرّف الإنسان على هذه المكونات التي يراها من حوله، فإنَّ القرآن يبدأ فينبّه إلى حقيقة قيمتها وإلى مدى أهميتها، ويحذّره من إنَّ يندفع بها أو يعرض عنها، فيضعها بسبب ذلك

(١) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج ٣، ص ٢٣٤.

(٢) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ٨٤ - ٨٨.

فوق مرتبتها الحقيقية أو دونها. ويؤكد إن كل اللذات والمغريات في الدنيا، ما هي إلا سراب باطل، وخيال عابر، أشبه بالرؤى التي يمرُّ بها النائم، فما هو إلا إنَّ يستيقظ حتى يعلم أنه كان في حلم لا حقيقة له. وإن الآيات القرآنية قد أبرزت هذه الحقيقة وحدّرت الإنسان من الاغترار بالدنيا ومظاهرها ومغرياتها^(١)، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِيْعِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٤ - ١٥). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١). وإن المتأمل في الآيات السابقة، فإنها دعوة إلى العقل للتفكير والنظر في حقيقة الدنيا ومتاعها الزائل، واتخاذ الموقف السليم في التعامل مع الدنيا ومكوناتها وأسبابها.

وإن الإنسان إذا تأمل الدنيا بفكره وبقيته العقلي، فإنه سيبقى مشدوداً إلى النعيم الأكبر في اليوم الموعود. ومن ثم فإنه يمارس الدنيا ممارسة الحاكم عليها، المستخدم لها، طبق النظام الرياني، وضمن حدود مرسومة، ومن أجل الوصول إلى هدف عالٍ مقدس، على حين لن تستطيع الدنيا

(١) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ٩٣.

(الكون بكل ما فيه) إنَّ يستعبده ويستخدمه^(١). فإنَّ العلم بحقيقة الكون وسننه، يحقّق التزكية وينمي لدى المؤمن التفكير في هذه السنن في ضوء أحداث اليوم الآخر.

٣. تزكية التفكّر في ميدان الأنفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

إن التفكّر في ميدان النفس الإنسانية، وتعرّف الإنسان على ذاته وتبصيره بحقيقته ومصيره، معرفة سليمة وصحيحة، يصل من خلالها إلى الهدف من وجوده. وإن الإيمان بمصير الإنسان بعد الموت يجعل لحياته غاية سامية وهي الالتزام بمنهج الله وشرعه من خلال التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل. فيقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

ويظهر الفرق بين التفسير الديني لحقيقة الإنسان الذي يجعل لتاريخه وحياته ومصيره معنى أسمى وغاية أبعد، ويكون إلى جانب أعماله الخارجية حياة باطنية نسميها (الضمير)، وبين التفسير المادي الذي يقصر الإنسان على الوظائف الفيزيولوجية ثم يسدل الستار نهائياً بعد موته على مسرحية حياته، إذ الإنسان في نظره ليس إلا الجسد. فعقيدة البعث والحياء بعد الموت هي الفاصلة بين الإيمان والإلحاد^(٢).

والمأمل في آيات القرآن الكريم يجد إنَّ القرآن يبصّر الإنسان بحقيقته بمختلف مزاياه، وبمهمته الأساسية، من خلال حقيقتين داخليتين في تركيبه الإنساني، الحقيقة الأولى: أنه مخلوق تافه، أصله الأول من تراب وسلالته من ماء مهين، والشأن فيه وإن طالبت به الحياة، إنَّ يعود إلى أرذل العمر، فلا يعلم شيئاً ومع ذلك، يشمخ ويستكبر على الرغم من ذلك. والحقيقة الثانية: التي تشكل الجزء الآخر من الهوية الإنسانية في القرآن، فهي إنَّ الإنسان هو ذلك المخلوق المكرم على سائر

(١) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ١٠٢.

(٢) نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ٧.

المخلوقات، وأنه الذي شرفه بالخلافة على هذه الأرض، وأنه الحيوان الوحيد الذي جهّزه الله بالعقل والتفكير والقدرة على إدارة الأمور. وأما كيفية تألف كلتا الحقيقتين ضمن الهوية الإنسانية الواحدة، فوجه ذلك إنّ الإنسان، مهما بلغت مرتبته من السُّمو، ومهما اتصف به من المزايا والصفات النادرة (كالعقل والتفكير)، فليس ممّا اكتسبه بجهده وطاقته، وإنما هو فيض من الله عز وجل، ولكن الإنسان في كينونته الذاتية هو عبد مملوك لله عز وجل، خلق من ضعف وينتهي إلى ضعف، ولكنه نظراً للرسالة التي حملها، يتمتع بصفات نادرة جهّزه الله بها، فاستأهل بموجبها الرفعة والتكريم، إذ هو استعمل هذه الصفات على وجهها. وقد ربّى القرآن الكريم الإنسان في ظل هاتين الحقيقتين معاً، وعاش الإنسان يستلهم غذاءه التربوي من معرفة أصله وحقيقته وضالّة شأنه وذلّ نهايته، وما قد أكرمه به من سموّ في الرتبة والمكانة وشرف عمارة الأرض^(١). فالتفكر في حقيقة الإنسان ومصيره تحميه من التطرف إلى التكبر والطغيان أو الركون إلى الخنوع والضعف.

ومن الآيات القرآنية التي دلت إلى التفكّر في ميدان النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، قول الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴿٨﴾ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٩﴾﴾ (الروم: ٦-٨).

قال الألوسي: "فإن الجاهل الذي لا يعلم إنّ الله لا يخلف وعده أو لا يعلم شؤونه تعالى السابقة ولا يتفكر في ذلك هو الذي قصر نظره على ظاهر الحياة الدنيا، والمصحح للبدلية اتحاد ما صدقا عليه، والنكته المرجحة له جعل علمهم والجهل سواء بحسب الظاهر، وجملة (وهم عن الآخرة)

(١) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ٤١ - ٤٥.

مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة السابقة تقريراً لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور إدراكها على ظواهر الدنيا الخسيسة دون أحوالها التي هي مبادئ العلم بأمر الآخرة. وقوله سبحانه: (وفي أنفسهم) ظرف للتفكر، ذكره مع إنّ التفكر لا يكون إلا في النفس لتحقيق أمره وزيادة تصوير حال المتفكرين كما اعتقده في قلبك وأبصره بعينك، وقوله عز وجل: (وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) متعلق إما بالعلم الذي يؤدي إليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه، والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق إنّ يثبت لا محاله لابتناؤه على الحكم البالغة التي من جملتها استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها على وجود صانعها ووحدته وعلمه وقدرته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من جملتها إحيائها بعد الفناء بالحياة الأبدية^(١). ويستنبط من ذلك إنّ تزكية التفكير في ضوء الإيمان باليوم الآخر؛ يقتضي تفعيل التفكير في ميدان الأنفس، والتفكر يكون بالوعي بالدور الوظيفي في الحياة، والتيقن بأن لها صلاحية محدودة تنتهي بفنائها. وإنّ الإنسان إذ تفكر في وجوده، سواء بوجوده المكاني، فهو شيء ضئيل جداً في هذا العالم الهائل المترامي الأطراف، حيث الأرض نفسها مجرد ذرة تافهة في بحر عظيم. أو من حيث وجوده الزمني في الحياة مقارنة بعمر الأرض الذي يمتد إلى مئات الملايين من السنين. لذلك يحيط الغيب بالإنسان من كل ناحية، غيب في نفسه وغيب في نشأته وغيب في مصيره^(٢). وهنا لا بد للعقل من التواضع والتسليم للغيب والإيمان به ليوصله إلى سعة في العلم والتصور.

(١) الألويسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني، ج ١١، ص ٢٤.

(٢) بلكا، إلياس، الغيب والعقل، ص ١٣٥.

٤ . تزكية التفكر في ميادين الحياة والآخرة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

والمراد بتزكية التفكير في ميادين الحياة والآخرة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، إعمال الفكر في تدبر حقيقة الحياة والآخرة، وقضية المعاد، والبعث والحساب، والجنة والنار، والبحث عن دلائل اليوم الآخر، من أجل تقويم السلوك، وتزكية النفس، والتخطيط الفكري لفعل الخير والبعد عن الشر. ولقد خلق الله تعالى هذا العالم لأجل تحقيق حكمة الابتلاء، فالدنيا دار امتحان واختبار، لا دار قرار للإنسان، وأن حقيقة الحياة تؤرقها وتزعزعها حقيقة الموت. وهو تذكير للإنسان بالنهاية والموعود الذي لا يملك أحد إن يتخلف عنه، وهو انتقال إلى دار الآخرة.

وقد حذرت الآيات القرآنية من الركون إلى الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ (الإسراء: ١٨-١٩). وقد سُميت الدنيا في الآيات بالعاجلة، والتي تفنى وتنتهي ومن هنا يظهر هوان الدنيا ونفاهاة مظاهرها. وقد توجه الخطاب القرآني إلى إقناع العقول إلى ما هو خير وأبقى، وأن الحياة الدنيا مهما كانت تغور بمظاهر المتعة وأسباب اللذة، فإن على كل عاقل إن يدرك بأنها حلم يوشك إن ينقضي، وبأن نعيمها سيتحول إلى غصة تأخذ بالنفس. وأنه يجب إن يستخدم مظاهر الحياة الدنيا وأسبابها لتحقيق المصلحة الإنسانية العامة. وبدافع وظيفي، وبروح استشعار المسؤولية، لا بدافع التعليق أو التعشق النفسي. وأن له في الغد القريب ما تشتهيبه الأنفس وتلذ الأعين، في حياة خالدة لا انقضاء لها، ولا تحول عنها^(١).

(١) البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ١٠١.

ومن المسلمات التي لا بد من اعتبارها في عقيدة البعث الإسلامية فناء هذه الحياة الدنيا، وانتفاء أزلية هذا العالم. ويؤكد علماء الفلك أنه لا بد وطبقاً لقانون دوران الأجرام السماوية إن يقترب القمر من الأرض حتى ينشق من شدة الجاذبية أو يتمدد سطح الشمس الخارجي إلى القمر فتختل المجموعة الشمسية كلها. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَقَرَّ ۗ﴾ (القيامة: ٧ - ١٠). ثم إن قانون الديناميكية الحرارية يثبت إن الحرارة ليست دائمة إلى الأبد وأن يوم انتهائها سيأتي حتماً، والكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة. وعندئذ تقف حركة الحياة وتموت الأحياء^(١). ويتضح من ذلك إن التفكير والبحث في دلائل الوجود يثبت أحداث اليوم الآخر وصيرورتها.

وأثبت العلم إن الكون فضاء لا حدود له تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها وهي السيارات والنجوم. ومثالها كملابيين الخداريف التي تدور على سطح معين بأقصى سرعة يمكن تخيلها. وهذا الدوران يمكن إن يتحول في يوم ما إلى صدام عظيم لا يمكن تصوره. فدراسة علم الفلك تؤكد إمكان اصطدام الأجرام السماوية، وتثبت إن الغريب حقاً هو عدم توقع هذا الصدام هذا الواقع هو يعينه ما نسميه القيامة^(٢). وبهذا يكون مفهوم فناء العالم ممكناً فيما توصل له العلم الحديث. وأن الساعة حقيقة آتية لا محالة، وهذا يثبت اليوم الآخر، والحياة الآخرة.

ثالثاً: الانعكاسات الإيجابية لتزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر والوعي بزوال الدنيا، وقدم الآخرة، يؤثر في القدرات العقلية بما ينعكس إيجابياً في تزكية الجانب الفكري، على النحو الآتي:

(١) آل ياسين، محمد حسين، المعاد، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط١، ١٩٧٢م، ص ٥٠-٥٣.

(٢) خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، القاهرة، المكتب الإسلامي، ط٧، ١٩٧٧، ص ٨٢-٨٣.

أولاً: توسعة مدارك التفكير لدى الذات الإنسانية، إذ أنّ طبيعة التفكير في الحياة والموت، والتفكير بقدرة الله تعالى المطلقة في الإنشاء من العدم، يوصل إلى اليقين بالمعاد والحساب والثواب والعقاب.

وهذا من شأنه إنّ يكسب المؤمن خصوبة في التفكير، ويُعدّ نظر في القضايا والمسائل، فتفكيره ليس مقولب بالقوالب الزمانيّة والمكانيّة الحاضرة، وإنما يصبو لأبعد من ذلك وأعمق، وهو التفكير بما سيكون عليه اليوم الآخر، من هول وعظم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ كُنْتُمْ رُسُلًا ۖ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾﴾ (الإسراء: ٤٩ - ٥٢). فكان سبب ضلال الكافرين الغفلة عن قدرة الله عز وجل والتعامي عن آثار هذه القدرة المطلقة في الإنشاء، فكانت هذه الآيات بمثابة محاكمة عقلية رصينة للخلق.

وإنّ القرآن الكريم والسنة النبوية لهما الأثر الكبير على العقل في توجيه حركته المعرفية بشكل إيجابي، لإرشاده إلى إصابة الحقيقة، وذلك بتوسيع مجال النظر إلى أكبر مدى ممكن، من خلال تحديد مفهوم عالم الغيب والشهادة وتوضيح أبعاده في العقل السليم، إذ من خلال هذا المفهوم يتحدد معنى الحياة والوجود وغاية الوجود والعلاقة بما وراء الحياة والوجود^(١).

ويتم توسعة مدارك التفكير في ضوء الإيمان باليوم الآخر، من خلال ما يأتي:

- تنمية الاستدلالات والمفارقات الدنيوية والآخروية: فالمؤمن يعلم إنّ حياته الصحيحة حياة السعادة الأبدية، فيقارن بين "اللذة الدائمة في دار الخلد، وأما الدنيا فمنقطعة، ولذاتها لا تصفو

(١) أبو حميدي، علي، تركيبة النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، ص ١٠٩.

أبدأ ولا تدوم، بخلاف الآخرة فإنَّ لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر وألم، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين مع الخلود أبدأ^(١) وهذه المقارنات تظهر المفارقات وتنمي الاستدلال لإثبات أفضلية الآخرة، فإذا تفكر الإنسان بمفردات الجزاء الدنيوي، كالمال والبنون، وقابلها بقائمة المفردات الجزاء الأخروي، المختلف من حيث سعته وديمومته: كالخلود وألوان النعيم، فيكون ذلك مدعاة للإصلاح والتركي.

- **ربط المقدمات بالنتائج:** فإنَّ الإيمان باليوم الآخر ينمي لدى المؤمن التفكير المنطقي (من حيث اتساق المقدمات مع النتائج)، حيث العرض والحساب يشمل اطلاع الأفراد على أعمالهم وصحفهم، وهذا الإجراء بمثابة مقدمة يترتب عليها نتيجة خلودهم في الجنة أو النار ومن هنا، فإنَّ تبوأهم لمقاعدهم في الجنة أو النار ليس بوجود اعتباطي. فجزاء الأعمال في اليوم الآخر على ما كسبوه في الحياة الدنيا من خير أو شر. وأن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة يعرض فيها الناس على ربهم، ويقرؤون صحفهم.

- **وضوح الهدف في فكر المؤمن:**

فالاعتقاد باليوم الآخر يجعل عند المؤمن سعة نظر ووضوح في الهدف، وذلك من خلال تقديم الإجابات الصحيحة على كل الأسئلة التي تدور في نفس المؤمن، من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟. حيث يرى المؤمن أنه لم يخلق عبثاً^(٢)، لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥). وبذلك تطمئن النفس ويستريح الفكر، فلا قلق، ولا أوهام، فالهدف الذي تسعى إليه واضح وهو نيل رضوان الله تعالى ورجنته، وهذا يولد الثقة بأنه على طريق الحق والصواب.

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٢٣٢.

(٢) ملاوي، محمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الرياض، دار ابن تيمية، ط ١، ١٩٨٥، ص ٣٩ - ٤٠.

- المرونة الفكرية:

ذلك إنّ الإيمان باليوم الآخر وما ينظمه من بعث ونشور وحساب، يربّي العقلية الإنسانية على المرونة الفكرية، وتقبل الجديد غير المألوف. فتعريض العقل للتفكير في ظواهر كونية لم يسبق وأن حدثت، يُسهم في اضطلاع الفرد بالمرونة العقلية، وبنوء به عن الصلابة الفكرية؛ نظراً لكونه يعتمد إلى تحوير وتغيير السنن الآفاقية الثابتة، إلى ما هو غير معتاد ومألوف في مخيلته؛ استجابة للنصوص الشرعية المرشدة لذلك. ومنها قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَتَرَوُنَّ لِلَّهِ الْوَحْدَ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨)، فأشارت الآية إلى سنة آفاقية، فيها مرونة فكرية عبر تخيل تبدل الأرض والسموات على غير هيكلها، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤)، فأشارت الآية إلى تغيير السنن النفسية؛ إذ تغدو الأيدي والأرجل على مقدره من الكلام يوم القيامة، وما من شك إنّ هذا الانقلاب السنني يجعل العقلية الإنسانية أكثر انفتاحاً على الجديد غير مألوف، عبر تخيل الأعضاء على غير وظيفتها، فتكون قادرة على النطق والكلام. ففي العقيدة الإسلامية يجوز إنّ يخلق الله تعالى عالماً على شكل مختلف جداً عما عهدناه وألفناه، وأطلق للخيال العنان، فكل وضع غريب في الوجود هو وضع ممكن وجائز في قدرة الله تعالى^(١).

- **تفعيل العميلة الإجتهدية الفكرية ذات الطابع الارتقائي لدى النفس الإنسانية،** حيث يقتضي الإيمان باليوم الآخر وأحداثه تفعيل عمليات النظر والاستماع والإدراك والاستدلال، وهذا مدعاة للتركيز والصلاح، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ

(١) بلكا، إلياس، الغيب والعقل (دراسة في حدود المعرفة البشرية)، ص ١٤٦.

إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ (الملك: ٩ - ١٠)، وأشار

ابن عاشور في تفسيره للآيات فقال: "وهم يريدون سمعاً خالصاً وعقلاً خالصاً، فانتفاء السمع بإعراضهم

عن تلقي دعوة الرسل مثل ما حكى الله عن المشركين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا

الْقُرْآنِ وَالْغَوَىٰ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، وانتفاء العقل بترك التدبر في آيات الرسل

ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه، ويؤخذ من هذه الآية إن قوام الصلاح في حسن التلقي وحسن النظر

وأن الأثر والنظر، أي القياس هما أصلاً الهدى. ووجه تقديم السمع على العقل إن العقل بمنزلة

الكلي والسمع بمنزلة الجزئي ورعياً للترتيب الطبيعي لأنّ سمع دعوة النذير هو أول ما يتلقاه المنذرون،

ثم يعملون عقولهم في التدبر فيها"^(١). ويظهر من كلام ابن عاشور إن قوام الصلاح في حسن التلقي

وحسن النظر، والأثر والنظر أي القياس هما أصلاً الهدى.

"ويحفل القرآن بكثير جداً من الآيات التي تستثير القوى المدركة لدى الإنسان وتأخذ بالذهن

البشري إلى المحاكمة العقلية الرّصينة للخلق والموت والحياة والبعث والنشور والحساب والثواب

والعقاب، ممّا يرتقي بالفكر ليصبح سبيلاً إلى الإيمان"^(٢). فإنّ العقل إذا اقتنع كان طريقاً إلى الهدى

والصلاح.

- الفطنة الواسعة، والحذاقة الذهنية:

فمن آمن باليوم الآخر كان على فطنة واسعة، حيث تتسع دوائر معرفته وآليات السيطرة

عليها. فيكون على حذاقة عند تخيير الميدان العلمي، بمعنى اختيار الميادين العلمية الأكثر فاعلية

في الدنيا والآخرة. يقول ابن قدامة: "ومن صفات علماء الآخرة إنّ يعلموا إنّ الدنيا حقيرة، وأن الآخرة

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص ١١٠.

شريفه. وأنها كالضرتين، فهم يؤثرون الآخرة، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم، ويكون ميلهم إلى العلم النافع في الآخرة، ويجتنبون العلوم التي يقلّ نفعها إيثاراً لما يعظم نفعه"^(١)، فالعلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة، يعملون ما يُجْتَلَب به الطاعات، وبما يدفع به البليات^(٢). وذلك لتوسع مداركهم ودوائر معارفهم.

- استبصار المستقبل، وبناء المفاهيم عن مصير الإنسان:

فعبقيرة اليوم الآخر تشكل في العقل مفاهيم عن مصيره وآخرفته، من خلال التصور والتخيل لأحداث هذا اليوم الموعود. فمثلاً تُبَصَّر عبقيرة البرزخ والقبر الإنسان المسلم بما هو قادم عليه، فهي مفاهيم تؤكد للإنسان إنّ هناك حياة برزخية أخرى تنتظره بعد الموت ذات أحوال خاصة ومقومات مختلفة عما كان عليه في الحياة الدنيا"^(٣). فالعبقيرة الإسلامية تشكل المفاهيم الصحيحة للإنسان عند حياته الآخرة.

رابعاً: إجراءات عملية في تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

تحفل الآيات القرآنية الكريمة بالمنهج العملي لتزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، ومن هذه الإجراءات العملية ما يأتي:

- **تزكية العقل بتخليّة جميع المعتقدات غير السليمة، والأوهام والخرافات، التي لم تقم على برهان أو دليل عقلي سليم.** وإزاحة المخزونات الذهنية الضالّة عن قضايا نشأة ومصير الإنسان والكون والحياة، وقضايا البعث والنشور والحساب. وتحلية العقل بالدعوة إلى التفكّر والتأمل

(١) ابن قدامة المقدسي، نجم الدين أبو العباس، مختصر منهاج القاصدين، دمشق، مكتبة دار البيان، د. ط، ١٩٧٨، ص ٢٤.

(٢) الأجرى، محمد بن الحسين، أخلاق العلماء، ص ٤٧.

(٣) خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، ص ١٩٩.

والتدبر في حقيقة الحياة والموت والبعث والنشور، إضافة إلى تزويد العقل بالمعتقدات الصحيحة عن كل ما يتعلق بأمور الحياة الآخرة.

- **تزكية الفكر بالالتزام بهدي الكتاب والسنة في أمور الغيب ومنها غيب اليوم الآخر، واعتماد المصدرية العلمية السليمة في قضايا اليوم الآخر:** فإنّ مفهوم اليوم الآخر في القرآن والسنة يربّي العقل تربية سليمة وعلمية واقعية، تبتعد عن الجريان وراء التخرصات وحبك الأساطير واستنفاد الطاقة العقلية في بناء المعارف الممكنة بالحيل الإنسانية حول الساعة. بل يعتمد المصدرية السليمة في ذلك، ويحترم عقله ومعارفه وعلمه بالوقوف على ما قدمه الوحي، وينظر إلى ذلك على أنه نعمة (علمية أو معنوية) أنعم الله بها على الإنسان لأنه قدم له حدوداً معرفية حول الساعة. وقطع عليه طريق المتكهنين أو المنكرين أو المشككين في أمر الساعة^(١).

وقد تكفل الله عز وجل بتعليم الإنسان ما يلزمه عن عالم الغيب، مؤكداً له أنه لن يجد إلى العلم به وعنه سبيلاً من البحث والتفكير غير ما يوحي به الله إليه، وأن أيّ جهد يبذله بحثاً عن مصدر آخر غير الوحي، هو جهد عابث ضائع^(٢)، فالتسليم بما جاء به الوحي عن اليوم الآخر، يحقق مصلحة الإنسان ونفعه في الدنيا والآخرة، وهو منتهى العلم والمعرفة، ومن ثم فإنّ العمل بهذا العلم هو جوهر التزكية والرشاد. والابتعاد عن الجدل والاعتراض والشك الذي هو سبيل الضلال والهلاك.

- **تزكية الفكر ببيان الحدود التي لا ينبغي إن يخرج عنها في أمور غيب اليوم الآخر:** بيّنت العقيدة الإسلامية المجالات الصالحة لعملية التفكير، والحدود التي لا ينبغي للعقل تجاوزها. وإن المعرفة الإنسانية قاصرة عن إدراك غيب اليوم الآخر والكشف عن حقائقه وأسراره.

(١) خطاطبة، عدنان، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، ص ١٨٧.

(٢) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد، التزكية، العمران، ص ١٠٦ - ١٠٧.

يقول الله تعالى في وصف نعيم الجنة وأسراره: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)، فالنفس الإنسانية لا تستطيع الاطلاع على حقيقة

نعيم الجنة حتى بالفكرة. وهذا يدل على محدودية العقل البشري وقصوره على إدراك حقيقة اليوم الآخر

حتى بمجرد الفكرة. لذلك قال العلماء إنّ الاشتراك بين أسماء الدنيا والآخرة لفظي لا حقيقي، ورووا

عن ابن عباس قولته: ليس في الدنيا ممّا في الجنة إلا الأسماء^(١).

وقد جاء التحذير من الخوض فيما حظر علمه من أمور الغيب، كمعرفة كيفية عذاب القبر

ونعيمه، وأحوال يوم القيامة، والجنة والنار، ومما لا يستطيع الإنسان إنّ يدركه على حقيقته، أو تكلفه

بما لا يعلم، فإنّ هذه الأفعال منافية للتوحيد والإيمان بالله، وهو الجدل المذموم الذي بسببه تفرقت

الفرق، وكثرت الأهواء، وتباينت الضلالات، لأنه جدال بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير^(٢)، قال الله

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل:

١٠٤). فإنه يلزم العقل المسلم إنّ لا يخوض في كيفية أحوال اليوم الآخر وكنهها وحقيقتها، فهذا

مما لا طاقة للعقل إدراكه. ويكفي التفكّر بآيات الله وعظيم قدراته.

و"إن الوحي لم يخبر الإنسان عن الغيب وبعض عوالمه وأمثله، لمجرد إشباع فضول معرفي

هو من طبع الإنسان، بل - قبل ذلك - لتنبية البشرية على أصلها ورسالتها في الوجود، ولهدايتها

إلى الصواب في قضايا يعلم الله إنّ الإنسان لن يصل إلى فهمها واستيعابها بالعقل الخاص فقط،

إنها هداية عقلية ونفسية لا يستغني عنها البشر^(٣). فحقيقة قصور المعرفة الإنسانية ونسبيتها، تعيد

العقل إلى منزلته الطبيعية وتوجهه إلى مجاله الحقيقي. وإن موقف الإسلام في ذلك، موقف وسط

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) اليوسف، محمد بن يحيى، أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح المجتمع، ص ٤٠.

(٣) بلكا، إلياس، الغيب والعقل، ص ٢٣٢.

بين تأليه العقل وإقحامه في قضايا ليس من طبيعته إدراك حقيقتها، وبين إهماله وتركه بالكلية. فلقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير مما خلق. ومن أهم مظاهر هذا التكريم إنَّ منَّه بالعقل والوعي. ثم أرسل إليه الأنبياء ليهديه إلى ما لا يستطيع العقل إدراكه أو إدراك الصواب فيه، وبهذا لم يهمله ولم يتركه سدى. ولهذا كانت عقيدة الإيمان بالغيب ضرورة للإنسان، بدونها لا يكون لحياته معنى^(١)، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

ويقول سيد قطب: "إنَّ هنالك مجالاً للعقل البشري معيناً في ارتياد آفاق المجهول، والإسلام يدفعه إلى هذا دفعاً. ولكن وراء هذا المجال المعين ما لا قدرة لهذا العقل على ارتياده، لأنه لا حاجة به إلى ارتياده. وما لا حاجة له به في خلافة الأرض فلا مجال له إليه، ولا حكمة في إعانته عليه. لأنه ليس من شأنه، ولا داخلاً في حدود اختصاصه. والقدر الضروري له منه - ليعلم مركزه في الكون بالقياس إلى ما حوله ومن حوله - قد تكفل الله سبحانه وتعالى ببيانه له، لأنه أكبر من طاقته، وبالقدر الذي يدخل في طاقته. ومنه هذا الغيب الخاص بالملائكة والشياطين والروح والمنشأ والمصير"^(٢). ويتضح من ذلك محدودية العقل البشري في أمور الغيب وفقاً لما جاءت به التوجيهات القرآنية. تزكية الجانب الفكري فيما يرتبط بالمجالات العلمية المستبعدة نهائياً، بمعنى إنَّ لا يخوض فيها. كالتفكير في كنه وحقيقة الأسرار التي تحيط باليوم الآخر مما لا حاجة للعقل ولا حكمة من معرفته، لأنه أكبر من طاقته.

- تزكية القدرات العقلية بالعلم والمراجعة للموروثات الاجتماعية والثقافية، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (فصلت: ٦-٧)، فتزكية

(١) بلكا، إلياس، الغيب والعقل، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٨، ص ٣٢٦.

العقل بطرد الجمود والتقليد والهوى من خلال استخدام أدوات العقل في العلم والمعرفة. وإعلان مسؤولية الإنسان عن استعمال قدراته العقلية والسمعية والبصرية في التفكير في آفاق النفس والسماوات والأرض، والوقاية من عذاب الجهل، وعذاب النار في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، أي مسؤول أمام الله عز وجل عن كل الأعمال في الدنيا.

- **تزكية الجانب الفكري في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر**، من خلال التفكير بالمعاد، والتفكير بالموت، والتفكير في عواقب وأثار الذنوب والأخلاق السيئة. وهذا يشكل رقابة ذاتية للنفس، وتفكير دائم في الحساب والمصير والقيامة. وإن تذكر اليوم الآخر وذكره كمال للعقل، وكمال العقل هو كمال وتزكية للنفس، إذ أن تقويم السلوك يعتمد على الفكر.

- **تزكية التفكير بعقد المقاسيات والمقارنات العقلية بين الدنيا والآخرة**: فالتفكير بالسعادة الأبدية والفوز الأكبر في الآخرة لعباد الله الطائعين، في مقابل السعادة الدنيوية الفانية وملذاتها المنقطعة. واختيار العقل السليم بناءً على هذه المقاسيات والمفارقات بين الدنيا والآخرة تزكية للتفكير. فإن الذي يفكر بعقله ويعقد مقايسة سليمة فإنه يختار الآخرة لأنها دار البقاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠).

ويقول ابن القيم إن أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة، وأنفع الفكر فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها. أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت، أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلّي همته وتحببها بعد موتها وسفولها^(١).

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، ص ١٩٨.

- تزكية الفكر بتطهيره من أشكال التفكير الخاطئة، واتصافه بأشكال التفكير السليمة: فمنهج

الآيات القرآنية تربية العقل على أساليب التفكير السليمة بدون تحييز إلى الأهواء وتنمية التفكير

الدائم، ومن ذلك:

- الدعوة إلى استخدام النقد الذاتي ورفض التفكير التبريري، والمراد بالنقد الذاتي نمط التفكير الذي

يحمل صاحبه المسؤولية في النقص الذي يحدث والخطأ الذي يُرتكب، ولا يبحث عن مبررات

خارجية، تبرر موقفه^(١). وقد ندد القرآن الكريم بأصحاب التفكير التبريري، ومن ذلك تفكير

أصحاب النار في جهنم التبريري في تحميل المسؤولية في كفرهم ودخولهم النار على غيرهم من

السادة والطغاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ

لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا

الرَّسُولَ ۗ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا ۗ﴾ ((الأحزاب: ٦٤ - ٦٧)).

- الدعوة إلى إعمال الفكر بدل التقليد: والتقليد هو عدم الاستفادة من القدرات العقلية واللجوء إلى

محاكاة ما تفرزه القدرات العقلية عند الآخرين^(٢). وقد ندد القرآن الكريم بالذين يعطلون عقولهم

وينقادون وراء الآخرين. فقال الله تعالى في حال أهل النار: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَّهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ

حَمِيمٍ ۗ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۗ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۗ فَهُمْ عَلَى ءَأْتَرِهِمْ

يُهْرَعُونَ ۗ﴾ ((الصفافات: ٦٧ - ٧٠)، فكان سبب دخولهم النار تعطيلهم للعقل، واتباع الآخرين

وتقليدهم بدون تفكير.

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٤١.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٤٢.

- الدعوة إلى التفكير العلمي بدل الظن والهوى^(١): ومن التوجيهات القرآنية التي تحث على استخدام العقل، قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠). فالسمع والبصر أدوات العلم والمعرفة، التي تنجي من عذاب الآخرة إذا أحسن استخدامها، وذلك لأنها أدوات تعين على التفكير والتدبر والوعي والإدراك. وأشارت الآيات إلى مصير الذين يعطلون عقولهم، ويتبعون الهوى والشهوات، فأعرضوا عن نداء الفطرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلُ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وهذا دليل على إن تعطيل كل الاستعدادات، هو المانع من تزكية النفس، وهو محقق للغفلة التي نهى عنها القرآن الكريم، فالغفلة سبب الهلاك في الآخرة، فالذي لا ينتفع ولا يعتبر، تسيطر عليه الغفلة وتوصله إلى جهنم نتيجة عدم الاستفادة من هذه الاستعدادات العقلية الفطرية في النفس.

- وإن استخدام التفكير العلمي، والقياس المنطقي، تربي العقل ألا يستسيغ العبث، والمصادفة. ومن ذلك الدعوة إلى التفكير في الغاية التي خلق من أجلها الوجود، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وهذه دعوة للعقل إلى رفض العبثية والعشوائية والحث على استخدام التفكير والتعليل الصحيح.

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ١٤٢.

المبحث الثاني

تزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

إن منهج القرآن الكريم في تزكية النفس هو منهج العليم بأسرارها، الخبير بما يزكيها أو يفسدها، والمطلع على مواطن الضعف والقوة فيها. وإن النفس الإنسانية تتكون من عدة جوانب وأبعاد، ومن هذه الجوانب ما يتعلق بالأمر القلبي والانفعالات النفسية، والدوافع الفطرية، والقوى الباطنية والروحية التي تشكل النفس، إضافة إلى الجوانب العقلية والجسدية. فالإنسان مخلوق يتكون من الجوانب المادية التي جاءت من أصل خلقه من الطين، والجوانب الروحية التي تنتمي إلى النفخة الإلهية للروح الإنسانية. وإن تزكية النفس تتطلب تزكية لجميع مكوناتها.

ويشكل الإيمان باليوم الآخر عنصراً بارزاً في تزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية، فكلما زادت قناعة الإنسان بما يؤمن به، وكلما انسجمت عقائده مع فطرته الإنسانية، استطاع إن يسيطر على نفسه، ويوجهها الوجهة التي تضمن الفوز في الآخرة.

وإن الإيمان باليوم الآخر له تأثيرٌ على القلب وتحسينه من الآفات والأمراض، حتى يظل حياً صحيحاً سليماً، وقد ربطت الآيات بين الإيمان بالبعث وبين القلب السليم، فقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٧ - ٨٩)، فالقلب السليم الذي يحب ويخشى ويتوكل وينيب إلى الله تعالى هو القلب الذي سينجو يوم البعث والحساب في اليوم الآخر.

وعليه، فإنّ هذا المبحث يُعنى بدراسة منهج القرآن الكريم في تزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وفق ما سيتم عرضه فيما يأتي:

أولاً: تزكية الجانب الوجداني عبر ضبط عواطف المحبة بضابط اليوم الآخر:

والمراد بذلك تزكية الجانب الوجداني من خلال السمو والرقى بالنفس الإنسانية وذلك بالمحبة

الله تعالى والشوق إلى لقاءه.

والمحبة لله تعالى هي الغاية القصوى للعبادة، وحب الله تعالى لذاته، وما سواه وإنما يحب

تبعاً لمحبتة، وحب الله أمر فطري في النفس، فهي مفطورة على الإيمان وتحتاج إلى قوة تقدسها

وتعبدها. وأنفع المحبة وأعلاها وأجلها على الإطلاق محبة من جبلت القلوب على محبتة. "وإن القلوب

مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها، فكيف بمن كُـلُّ الإحسان منه"^(١). يقول الله تعالى:

﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (النحل: ٥٣).

وإن حب المؤمن لله تعالى وعبادته له إنما هما مطلبه الأسمى وغايته القصوى التي يتحقق

بهما له أعظم السعادة والسرور والطمأنينة في الدنيا والآخرة^(٢). وإن شغل القلب والنفس بالحب لله

تعالى والشوق لمناجاته، مدعاة للقيام بطاعته والبعد عن معصيته، وهذا مقصود تزكية النفوس.

ومحبة الله عز وجل نعيم للنفوس، وحياة للأرواح، وقوت للقلوب، وقرّة للعيون، وعمارة للباطن.

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، أذ ولا أحلى ولا أطيّب، ولا أنعم من محبتة سبحانه والأنس

به، والشوق إلى لقاءه، فيجد المؤمن في ذلك الحلاوة واللذة^(٣). وإن هذه المحبة هي أساس الفلاح

والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم نعم الله تعالى على خلقه وإحسانه إليهم، ليعمق حبهم

لربهم، فإذا ما قارنوا أي إحسان قُدم إليهم من كل أهل الأرض، تضاعل أمام إحسان الخالق في أدنى

(١) فريد، أحمد، تزكية النفوس، ص ٩٥.

(٢) نجاتي، محمد، القرآن وعلم النفس، ص ٩١.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغائة اللهفان من مصائد الشيطان، ج ٢، ص ١٩٧.

جزئيات إحسانه، فنعمة الحياة أو العقل أو الصحة، أو أي حاسة من الحواس أو الماء أو الهواء، لا تضاهيها كل كنوز الأرض. وإنَّ تفكير الإنسان في نعمة واحدة من نعم الله تعالى يجعله متعلق القلب والعواطف به سبحانه^(١).

وإنَّ الإيمان باليوم الآخر ومحبة لقاء الله عز وجل، والشوق إليه، يمثل دافع أساسي لتزكية القلوب، وتحفيزها إلى كل خير والابتعاد عن كل معصية، والتنازل عن حب الدنيا. "فحب العبد لخالقه يعبر عنه بطاعته له، والتزام هديه في إدارة حياته بكل حيثياتها، فلا يجده ربه إلا حيث أمره، ولا يجده مطلقاً حيث نهاه، مخلصاً عمله وقوله لوجهه، وبهذا يتعمق إيمانه ويترسخ حتى تصبح تقوى الله سجيّة أصلية من سجاياه"^(٢). يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)^(٣). فإنَّ الشوق للقاء الله تعالى في اليوم الآخر، يجعل قلب المحب أكثر طواعية وتقبل واستجابة لمن يحب، وتملأ النفس الإنسانية بمشاعر وأحاسيس ترقّ وتلين طباعها ويظهر ذلك في السلوك. وكذلك فإنَّ حب الله تعالى لعبده ينعكس عليه توفيقاً ورعايةً وتكريماً ورحمةً، ويستشعر العبد السمو والترقي في وجوده.

ثانياً: تزكية الجانب الوجداني عبر ضبط الدوافع بضابط البعث والجزاء والآخرة عموماً
تقتضي عملية تزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية التعرف إلى الدوافع التي تحفز وتحرك النفس تجاه ما هو مطلوب. وتعتبر معرفة الدوافع أمراً هاماً، وذلك لأنه يساعد في تفسير السلوك وتحليل الأسباب ووصف العلاج.

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبي المرابي، ص ١٢٦.

(٢) الأسمر، أحمد رجب، النبي المرابي، ص ١٢٧.

(٣) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ص ١٣٢.

وتُعرف الدوافع بأنها: "حالات أو حاجات فيزيولوجية أو نفسية تكمن في الفرد وتجعله يبتعد إلى السلوك في اتجاه معين تشبع الحاجات"^(١). وتعرف الدوافع أيضاً: "بأنها القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي، وتبدي السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة"^(٢). فطبيعة الإنسان تستوجب وجود مجموعة من الدوافع تحرك السلوك وتستحثه لتحقيق هدف معين.

والدوافع في الحقيقة إنما تعبر عن مجموعة من الحاجات الفسيولوجية والمعنوية، فالدوافع هي الصورة النفسية لهذه الحاجات، ولذلك تبدو كمحركات باطنية تتصل جذورها بأعمق الحالات الفسيولوجية وتجارب الكائن الحي^(٣).

وقد وظفت الآيات القرآنية معرفة الدوافع في سبيل تركية النفس وتصحيح المسار وتحقيق الأهداف التي خلق الإنسان من أجلها. فالإنسان مخلوق له رسالة محددة وعليه مسؤوليات. فكان التركيز على الخصائص والحاجات الفطرية للإنسان في بناء نفسه ودورها السليم في تركية النفس وتطهيرها، وضبط إشباع هذه الغرائز والحاجات واستثمارها في توجيه النفس وتصحيح مسارها. فنظرة الإسلام للإنسان بطبيعته وخصائصه المتعددة هي الأساس الذي بنيت عليه الدوافع في الآيات القرآنية.

وإن التوجيه الرباني لتركية النفس من خلال الإيمان باليوم الآخر، يُوظف الخصائص الفطرية والطاقات والدوافع في تركية النفس وتحفيزها على العمل الصالح من أجل تحقيق الفوز بالسعادة الآخروية.

ويربط القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر بقضية ضبط الدوافع الفطرية المكونة في النفس الإنسانية، وذلك للدلالة على أهمية التركية المستمرة للنفس الإنسانية مدى الحياة. "فإنَّ النفس البشرية

(١) الحاج، فائز محمد علي، الصحة النفسية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، القاهرة، دار الشروق، ط٧، ١٩٩٩، ص ٢٠.

(٣) الخوالدة، محمود عبدالله، علم النفس الإسلامي، ص ١٤٩.

كما خلقها الله تعالى لها دوافع فطرية متأصلة، لقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: ١٤)، وقد كان لا بد في تقدير الله وعلمه-أن تكون الدوافع قوية ومتأصلة، لتكون حوافز للعمل والنشاط والإنتاج، ودافعاً لعمارة الأرض. وهي جزء من عملية الخلافة التي خلق الإنسان من أجلها... ولكن الله الخالق العليم يعلم سبحانه إن هذه الدوافع إذا تركت وشأنها من غير ضابط فإنها تتقلب إلى شهوات.. فيعلم سبحانه إن تلك الدوافع والشهوات لها ثقله تجذب الإنسان إلى الأرض فكان لا بد من ثقل من الناحية الأخرى يعادل هذه الجاذبية العنيفة التي تنقل الإنسان إلى الأرض وذلك هو الإيمان باليوم الآخر. إنه لا شيء ممكن إن يقنع الإنسان من التنازل عن المتاع الزائد عن الحد المدفوع إليه بفطرته والالتزام بالحدود التي رسمها الله تعالى لهذه الدوافع وأمر الناس ألا يتجاوزها لكي لا يعطبوا ولا يهلكوا، إلا الإيمان الجازم بأن ما يتركه هنا في الدنيا من أجل طاعة الله تعالى يلقاه في الآخرة مضاعفاً لا في الدرجة فحسب بل في النوع كذلك، حيث النعيم الخالد الذي لا يزول^(١). لذلك برزت أهمية عقيدة اليوم الآخر في ضبط الدوافع. إذ أن الإيمان باليوم الآخر واليقين بموعده عز وجل ووعدته في الآخرة يدفع الإنسان إلى السلوك القويم.

تعددت تصنيفات الباحثين لأنواع الدوافع، فمنهم من صنف الدوافع إلى مادية ومعنوية، ومنهم من صنفها إلى دنيوية وأخروية، وصنفت إلى دوافع ربوبية ودوافع شيطانية، وكذلك إلى دوافع فردية واجتماعية. وأياً كان التصنيف أو التقسيم الذي اتبعه الباحثون، فإن الدراسة الحالية تركز على أهم الدوافع التي وردت في الآيات القرآنية المتعلقة باليوم الآخر، لتحقيق الأهداف البحثية المرجوة.

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٥ - ٦٦.

وعليه، ستقوم الباحثة بعرض جملة من الدوافع النفسية الإنسانية الواردة في الآيات القرآنية لتزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر كما أنه سيتم عرض طريقة تنظيم القرآن الكريم لهذه الدوافع، وذلك على نحو ما يأتي:

أولاً: إشباع الدوافع الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر وأثرها في تزكية النفس:

- **دافع الجوع والعطش والتنفس (أو ما يسمى دوافع حفظ الذات) في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:**

تشمل هذه الدوافع على حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب والتنفس، وهي حاجات فطرية داخلية، تعتمد أساساً على الطعام والشراب والتنفس، وقد ورد ذكر هذه الدوافع في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، واستخدمت كحافز على تزكية النفس من خلال الحث على العمل الصالح.

وقد خاطب الله عز وجل سيدنا آدم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا

تَعْرَىٰ ۗ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ (طه: ١١٨ - ١١٩)، يقول الرازي في تفسيره

لهذه الآيات: "الشبع والرّي والكسوة والاكنتان في الظل هي الأقطاب التي يدور عليها أمر الإنسان، فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء له في الجنة من غير حاجة إلى الكسب والطلب، وذكرها بلفظ النفي لاضطهادها التي هي الجوع والعري والظمأ ليطرق سمعه شيئاً من أصناف الشقوة التي حذر منها حتى يبالغ في الاحتراز عن السبب الذي يوقعه فيها، وهذه الأشياء كلها كأنها تفسير الشقاء المذكور في قوله: (فتشقى)^(١). فتظهر الآيات الكريمة الاهتمام بالدوافع الفطرية، فقد تكفل الله تعالى

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢٢، ص

في الجنة لعباده المؤمنين بأن لا يشعروا بالجوع أو العطش أو العري، وإشباع هذه الحاجات بدون أي مجهود منهم. وذلك جزاءً لهم على سلوكهم طريق التقوى والصلاح وطاعة الله تعالى.

ويؤدي دافع الطعام والشراب دوره في دفع الإنسان إلى عبادة الله عز وجل، والسير على منهجه، حيث استخدم القرآن الكريم هذا الدافع في الحث على العمل الصالح في الحياة الدنيا واتباع منهاج الله تعالى، وذلك ببيان ما أعدّه سبحانه للمتقين في الدار الآخرة^(١). فقال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المرسلات: ٤٣)، فالآيات الكريمة حفزت النفس على العمل الصالح الذي تزكو به النفوس من خلال استخدام دافع الطعام والشراب وإشباع هذا الدافع في الحياة الآخرة ليكون حافزاً على تزكية النفس. وذلك بإحكام السيطرة على الدوافع الفطرية من الطعام والشراب من خلال مراعاة القواعد الإسلامية في طرق إشباعها، ومراعاة أحكام المطاعم والمشروبات وبيان الحلال والحرام، وذلك لاجتناب ما حرّمه الله من المطاعم والمشروبات، وذلك طاعة لله ولنيل مرضاته والفوز بجناته.

- الدافع الجنسي لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

يتمثل الدافع الجنسي في علاقة الرجل بالمرأة، وحاجة كل منهما إلى الآخر، والميل والرغبة للطرف الآخر الذي يحرك السلوك الإنساني لإشباع هذه الغرائز الجنسية، وهي ضرورية لحفظ النوع الإنساني وبقائه. وإن إشباع هذا الدافع يؤدي إلى الشعور بالراحة والطمأنينة والاستقرار، ومن هنا دعا الإسلام إلى العناية به، لما له من أثر بالغ على النفس الإنسانية. كما دعا إلى السمو بهذا الدافع

(١) المومني، محمد علي العكاشة، الدوافع وأثرها في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٤، ص ١٨٤.

إلى مرتبة تتناسب مع ما خلق الله الإنسان عليه من تكريم وتشريف، ولهذا دعا إلى تحصين النفس وإعفافها بالزواج، وضبط إشباع هذا الدافع بما ينسجم مع ما شرعه الله من أحكام وتشريعات.

وقد استخدم القرآن الكريم الدافع الجنسي في تحفيز النفس الإنسانية على العمل الصالح والابتعاد عن معصية الله عز وجل في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، بأن جعل إشباع الملذات الجنسية من أصناف النعيم الذي يستحقه عباد الله المتقين في الجنة. يقول الغزالي في شهوة الفرج: "اعلم إنَّ شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين، إحداهما إنَّ يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة، فإنَّ لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أنَّ النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإنَّ ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق"^(١). فإنَّ النفس تشتاق وتتوق للنعيم الذي أعده الله لها لأنها تدرك بالذوق هذه اللذات المحسوسة. فضبط الدافع الجنسي في النفس تحفيزاً لها على ما أعده الله من نعيم آخروي يحقق إشباع هذه الدوافع.

وإن توجبه الدافع الجنسي وتهذيبه عن طريق التسامي بالنفس والعفة المبنية على الإرادة القوية التي يصنعها الإيمان باليوم الآخر وعقيدة البعث والجزاء التي تشكل الضابط لهذا الدافع، وتتضح أهمية وقوة هذا الدافع من خلال استثماره في التحفيز على تزكية النفس، وذلك من خلال التشوق للذة الدائمة المدربة بالمحسوسات، تحفيزاً للنفس الإنسانية على العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي، حيث جعل إشباع الملذات الجنسية من أصناف النعيم الذي يستحقه المؤمن.

- دافع حب التملك لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

دافع نفسي يُعبر عن حب امتلاك المال وكل ما هو محبب إلى النفس، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى هذا الدافع، للتنبؤ بأهميته، والتحذير من الاغترار به أو جعله هدفاً بحد ذاته، قال الله

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، م ٣، ص ٩٩.

تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

وقد استثمرت الآيات القرآنية رغبة الإنسان في التملك لكل ما تشتهي النفس وتسعى إلى
تحصيله، في تزكية النفس من خلال وصف نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوذِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٥)، فتشير الآيات إلى تنظيم
دافع التملك وحب المال من خلال التطلع إلى آفاق أعلى، وضبطه باليقظة الدائمة، والاستعداد إلى
التسامي وضبط النفس من خلال الإيمان باليوم الآخر.

وإن لدوافع الملكية وحب التملك أثر على نفسية الإنسان، ولذلك فإنه قد يدفعها إلى الطغيان
ومن هنا دعا الإسلام إلى ما ينظم إشباعه وفق منهاج الله عز وجل، وحذر الإنسان من طلب المال
والأملاك على حساب دينه ومبادئه في الحياة الدنيا، لأن أمرها صغير وحقير عند الله سبحانه وتعالى
إذا ما قيست بما عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾ (الشورى: ٣٦)، وكذلك يدفع الحرص على التملك إلى الاستعجال في المزيد من الخيرات قال
الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ مَحْبُورٌ الْعَاجِلَةَ ﴿٣١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة: ٢٠ - ٢١)، وحذر الإنسان من
الانشغال بالأموال عن عبادة الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ٩)، وذكر المؤمن بأنه اشترى منه أمواله ونفسه مقابل
الجنة التي أعدها الله لعباده المخلصين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

وَأَمْوَالُهُمْ بَيِّنَاتٌ لَّهُمْ الْجَنَّةُ ﴿التوبة: ١١١﴾، وكما أنه وعد من ينفق المال في وجوه الخير بالثواب العظيم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُدْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿البقرة: ٢٦٢﴾. فدافع حب التملك له قيمة تعزيرية في النفس البشرية.

وقد استخدم القرآن الكريم دافع حب التملك في تحفيز النفس على التزكية وتقويم السلوك من خلال ما أعده الله للمتقين من القصور والبساتين من ألوان الملكيات الخاصة في الجنة. لذلك يعد الإيمان باليوم الآخر موجّه وضابط لدافع حب التملك واستثماره في تحفيز النفس على استخدام الأموال وإنفاقها في وجوه الخير.

- دافع الأمن لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

يُعد الأمن مطلباً إنسانياً لاستقرار النفس واطمئنانها، وتأمينها من الفزع والاضطراب والقلق. وتظهر الآيات القرآنية المفهوم الحقيقي للأمن وهو النجاة من عذاب الله يوم القيامة، ولا يكون ذلك إلا بتزكية النفس وإصلاحها، ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿سبأ: ٣٧﴾.

- وقول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿النمل: ٨٩﴾.

- وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا ؕ أَمَّنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ

مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؕ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿فصلت: ٤٠﴾.

وتشير الآيات الكريمة إلى مفهوم الأمن، حيث جعلت منه جزءاً وثواباً للمؤمن في الجنة، وقد ربطت الآيات الكريمة بين الإيمان والعمل الصالح، وكذلك تقديم الحسنات، وعدم الإلحاد وإنكار آيات الله والإيمان بقاء الله، وبين الأمن يوم القيامة. وذلك مدعاة لتحفيز النفوس بتزكيته بالإيمان والعمل الصالح.

وإن دافع الأمن تقدر قيمته ويثمن وجوده عند الحاجة إليه وذلك في مواطن الخوف. وقد جعل الله عز وجل الأمن من النعم التي يكافئ بها المتقين في الجنة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الحجر: ٤٥ - ٤٦). فالأمن مرتبط بالإيمان حيث يشعر المؤمن بالأمن نتيجة الإيمان القوي، ويعد مدعاة لتزكية النفس بالتقوى والصلاح لتحصيل الأمن.

- دافع المعرفة لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

إن الإنسان بفطرته الأصلية تواق لمعرفة الغيب وحقيقته، ويجد في قرارة نفسه إلحاحاً على إشباع الأسئلة الكبرى عن الخالق والإنسان وبداية هذا الكون ونهايته ومصير الإنسان^(١).

ونداء الفطرة الإنساني يشهد على هذه الغريزة المكنونة في النفس عن معرفة الخالق، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فهذه الغريزة بمعرفة الخالق، تشبع بالتفكير والتحري الواعي في البحث عن الحقيقة الشاهدة في الوجود على قدرة الخالق، لتكون حافزاً في البعد عن اتباع الهوى.

(١) الخالدة، محمود عبدالله، علم النفس الإسلامي، ص ١٦٦.

والإنسان بطبعه يحب إن يعرف كل مجهول ويحاول الوصول إلى الحقيقة من خلال البحث والتقصي، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى الاستدلال على الآخرة من خلال الاطلاع والنظر في موجودات الكون وظواهره، وذلك لإتباع حب معرفة الآخرة وأحوالها.

وإن المعرفة الإيمانية تحرك السلوك الإنساني وتدفعه إلى تحقيق الهدف من وجوده^(١)، وفي المقابل فإن عدم إشباع هذه الحاجة تحدث اضطراب وتناقض في السلوك والحياة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤)، وتظهر الآيات الربط بين معرفة الله تعالى وذكره وبين سلوك الإنسان ومصيره في الآخرة ببيان طريقة حشره وهو أعمى، وذلك جزاءً له لعدم معرفته وبحثه في طريق الحق.

- دافع احترام الذات لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

إن تقدير المؤمن لذاته واحترامه لها، وشعوره بالعزة ينبع من عقيدته التي يؤمن بها، والشعور بالعزة يعني تزكية النفس عن كل ما يدينها من الآثام والخطايا والتزام منهج الله تعالى، فتكون دافع لها، يؤدي إلى العلو في الآخرة، فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (القصص: ٨٣)، فالإنسان المؤمن باليوم الآخر يشعر بعزة النفس التي تحمله على الابتعاد عن التكبر والغرور والعلو المفسد في الأرض.

ويُقر الإسلام بوجود دافع احترام الذات ويحققه بالإيمان، حيث جعل معيار المفاضلة بين الناس هو التقوى، وهي معيار لدخول الجنة والفوز برضا الله عز وجل. وهذا يدفع النفس المؤمنة إلى السعي للتقوى وتزكية النفوس، ليحقق احترام الذات وشعوره بالعزة بين الآخرين.

(١) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٥٨.

فهو الدافع الذي يحرك المرء على العطاء والعمل على تزكية النفس بالتقوى والصلاح وفعل الخيرات. إذ أنّ الإيمان والعمل الصالح يؤدي إلى تحقيق الذات وتقديرها، فالإنسان المؤمن بالآخرة يشعر بعزة النفس التي تبعده عن المعاصي والذنوب.

- دافع الخوف لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

يُعد دافع الخوف من الله تعالى ومن عذابه، من الدوافع العقدية، والخوف انفعال من الانفعالات الإنسانية الهامة في حياة الإنسان، فهو يقي الإنسان من الأخطار التي تهدده في حياته الدنيوية، ويدفع الخوف من الله إلى اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة. وذلك بأن يتجنب تعاطي سبله وأسبابه في الدنيا بالابتعاد عن الشرك وسائر الآثام^(١)، وإلى التمسك بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ (ق: ٣٢-٣٣)، قال البغوي في معنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مخلص مقبل على طاعة الله^(٢). فالؤمن باليوم الآخر يخاف الله تعالى فيدفعه ذلك إلى طاعته تعالى بالغيب. والمؤمن يخاف عذاب الله تعالى، لأنّ عذابه تعالى يهزّ الإنسان هزاً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

ويؤدي الخوف من الله وظيفة هامة ومفيدة في حياة المؤمن، إذ يجنبه ارتكاب المعاصي، فيقيه بذلك من غضب الله وعذابه، ويحثه على أداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله. فالخوف من الله يؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق الأمن النفسي، إذ يغمر شعور الرجاء في عفو

(١) خطاطبة، عدنان، القيم والأهداف التربوية في العقيدة الإسلامية، ص ١٢٣.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ص ٣٦٣.

الله تعالى ورضوانه^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: ٣٠).

وإن الخوف انفعال طبيعي لدى النفس تدفعها للتحوط من أسبابه والحد من آثاره. ومن ذلك خوف النفس من الموت وذلك لأن طبيعة النفس الإنسانية تحب الحياة وتحرص عليها. ولكن الإيمان باليوم الآخر يربي نفس المؤمن على العمل لما بعد الموت. "وهكذا الفهم ينقل خوف الموت إلى عمل بنائي مستمر، قوامه الانجاز والإبداع، بعيداً عن الهلع والجزع والخشية التي لا تجدي، فيصبح الموت لدى الاتقياء الأنقياء مصدر أمن نفسي، لأنهم سيقابلون رباً كريماً يجزي بذرة الخير خيراً"^(٢).

وقد وجهت الآيات القرآنية النفس إلى السيطرة على الخوف من الموت، وذلك من خلال بيان حقيقة الدنيا الفانية، ونعيمها الزائل، وبيان حقيقة الحياة الآخرة الباقية، ونعيمها الخالد الذي لا يزول. وأن الموت ليس إلا مرحلة انتقال من هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية الخالدة. ولذلك فإن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الموت، لأنه يعلم إن الموت سينقله إلى نعيم الحياة الخالدة الباقية التي وعد الله بها عباده المتقين^(٣). قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام: ٣٢)، فكان هذا الإيمان بالحياة الآخرة الباقية وما وعد الله تعالى المؤمنين المتقين من نعيم خالد من العوامل الهامة في تركية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية، ودفعها للعمل الصالح والتضحية والإقدام في سبيل الله تعالى.

(١) نجاتي، محمد، القرآن وعلم النفس، ص ٧٩.

(٢) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص ١٥٣.

(٣) نجاتي، محمد، القرآن وعلم النفس، ص ١١٣.

- دافع الرغبة بالنعيم الآخروي لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

يُعد دافع الرغبة بالنعيم الآخروي من الدوافع العقدية، التي تدفع المؤمن إلى السعي والعمل للوصول إلى هذا النعيم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾. فالرغبة في النعيم في جنات الخلد في الآخرة يعد دافعاً عقدياً يحرك المؤمن لتزكية نفسه بالإيمان وعمل الصالحات.

وإن الإيمان باليوم الآخر يوجه دافع الرغبة، وانفعالات الفرح والعزة لتزكية الجانب الوجداني في النفس الإنسانية، يقول ابن القيم إن "علامة صحة الإرادة إنَّ يكون همُّ المرید رضا ربه واستعداده للقاءه وحزنه على وقت مرٍّ في غير مرضاته، وأسفه على قربه والأنس به، وجماع ذلك إنَّ يصبح ويمسي وليس له هم غيره. وإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا آنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تتل بذلك غاية العز والرفعة. قال بعض الزهاد ما علمت إنَّ أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر وصلاة أو قرأة أو إحسان"^(١). ويظهر من كلام ابن القيم إنَّ الإيمان باليوم الآخر، والرغبة بالجنة ومرضاة الله عز وجل تكون سبباً في الإقبال على الله وتزكية النفس في كل الأوقات.

وقد أثارَت الآيات القرآنية دوافع الترغيب في النفس الإنسانية في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمَهُمْ مِسْكَ﴾ (المطففين: ٢٤-٢٦). قال البيضاوي في تفسيره: تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، ص ١١٨.

النعيم وبريقه، ويسقون من رحيق شراب خالص، مختوم ختامه مسك أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين، ولعله تمثيل لنفاسته^(١). فمن كان هدفه في حياته الدنيوية التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الآخرة والنعيم المقيم فيها، كان ذلك مصدر الفرح والسرور.

- دافع الانتماء لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

يتصف الإنسان بأنه اجتماعي بطبعه، ولا يستطيع العيش معزولاً عن الآخرين، ويشعر الفرد بحب الانتماء إلى جماعة معينة، ويتحقق ذلك في النفس المؤمنة من خلال الانتماء والموالاتة للمؤمنين، وللأمة الإسلامية والأخوة الإيمانية.

ويتمثل هذا الدافع في حركة الاتصال والتفاعل الإيجابي المثمر بين الفرد والآخرين، وتكوين علاقات تسودها المحبة والألفة والتعاون، فيشعر المرء برغبته في عضوية الجماعة وفي الانتماء للأمة الإسلامية، وقد حث الإسلام على إشباع هذا الدافع عن طريق الإيمان، فمحبة الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي أساس محبة الناس^(٢). وقد فُرن الإيمان بالمحبة بين المؤمنين، وأنها سبب دخول الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذلكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم)^(٣).

(١) البيضاوي، ناصر الدين، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر، ج ٥، ص ٤٦٦.

(٢) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٦٦.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، حديث رقم (٢٥١٠)، ج ٤، ص ٦٦٤، حديث: حسن.

- دافع التنافس لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

إن التنافس من الدوافع النفسية التي تحتاج إلى توجيه من البيئة الثقافية المحيطة وذلك لتحقيق التقدم والرقي عند الأفراد، ويشير دافع التنافس إلى تحقيق الذات والوصول إلى المكانة المرموقة في المكان الذي يعيش فيه الفرد.

وتشير الآيات القرآنية إن الذي يستحق التنافس هو النعيم الدائم للأتقياء في الجنة، يقول الله

تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمَهُ مِسْكٌَ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ (المطففين: ٢٢ -

٢٦)، يقول ابن كثير: "أي في مثل هذا الحال فليتناخر المتفخرون، وليتباهى ويتكاثر ويستبق إلى

مثله المتسابقون، كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الصفافات: ٦١)"^(١). والشاهد إن

الآيات الكريمة حثت على توجيه دافع التنافس نحو تقوى الله وعمل الخير، والتمسك بالقيم الإنسانية العليا، واتباع المنهج الرباني في حياة وسلوك الأفراد، وذلك لنيل مرضاة الله تعالى، والفوز بنعيم الجنة الخالد.

وقال تعالى: ﴿* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ (ال عمران: ١٣٣ - ١٣٤)، قال ابن عاشور: "وجملة أعدت للمتقين

استئناف بياني لأن ذكر الجنة عقب ذكر النار الموصوفة بأنها أعدت للكافرين يثير في نفوس

السامعين إن يتعرفوا من الذين أعدت لهم: فإن أريد بالمتقين أكمل ما يتحقق فيه التقوى، فأعدادها

(١) ابن كثير، أبو الفراء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، م ٧، ص ٤٨٧.

لهم لأنهم أهلها- فضلاً من الله تعالى- الذين لا يَلْجُونَ النار أصلاً- عدلاً من الله تعالى- فيكون مقابل قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١)، ويكون عصاة المؤمنين غير التائبين قد أخذوا بحظّ من الدارين، لمشابهة حالهم حال الفريقين عدلاً من الله وفضلاً، ومقدار الاقتراب من أحدهما يكون الأخذ بنصيب منه، وأريد المتقون في الجملة فالإعداد لهم باعتبار أنهم مقدرين من أهلها في العاقبة"^(١). فالآيات تشير إلى إثارة دافع التنافس في تحقيق تقوى النفوس وصلاحها.

- دافع الألم لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

الألم من الدوافع الفسيولوجية الفطرية، وهو يدفع الإنسان إلى تجنب ما يؤذيهِ ويؤلمه^(٢). وإن الشعور بالألم تحصيل للنفس باجتئاب أسبابه، والحذر من مواطن هلاكها. فهو بمثابة إنذار للنفس من الوقوع في المعاصي والآثام التي تجتلب الألم والضيق.

وإن اتصال دافع الألم بالإيمان باليوم الآخر، يقود النفس المؤمنة إلى التصديق اليقيني بوجود عذاب النار، استشعار ألم العذاب، يؤدي إلى تزكية وتقويم سلوكه باجتئاب كل ما يؤدي إلى الألم والعذاب في النار. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ

بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (النساء: ٥٦)، وقال تعالى في وصف عذاب النار: ﴿حُدُودُهُمْ فَعُلُوهُ﴾^(٣) ثُمَّ

الْجَحِيمَ صَلَّوهُ^(٤) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ^(٥) (الحاقة: ٣٠ - ٣٢). والكثير من

الآيات في القرآن الكريم وصفت ألوان العذاب الشديد في النار. حتاً للنفس على استشعار الألم

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٩٠.

(٢) نجاتي، محمد، القرآن وعلم النفس، ص ١٣٧.

والعذاب لتجنب كل ما يؤدي إليه، فتبتعد عن المعاصي والآثام، وتقبل على الطاعات وتقوى الله تعالى في السر والعلن.

وقد استخدمت الآيات القرآنية التي تحدثت عن التهديد بعذاب النار في الآخرة، دافع الألم النفسي كضابط موجه للسلوك الإنساني والسعي إلى تركية النفس بحثها على الطاعات واجتناب المعاصي والذنوب، ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (البقرة: ٨١). فالسيسة والخطيئة تجلب ألم العذاب في النار.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ

أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النَّارُ﴾ (المائدة: ٧٢). وهذا تهديد للمشركين بعذاب أليم في النار، وهو أعظم الآم الجسد.

وتحذير للنفس لاجتناب الشرك الذي يؤدي إلى عذاب أليم في النار، وتحذير للمؤمن حتى يستقيم على الطاعات ويجتنب المعاصي، فيكون الألم ضابطاً للسلوك الاجتماعي.

ثانياً: تنظيم إشباع الدوافع في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر):

يدعو القرآن الكريم إلى تنظيم إشباع الدوافع والتحكم فيها وتوجيهها توجيهاً سليماً، ومن ذل

ما يأتي:

- رتب الإسلام على انحراف النفس في إشباع الدوافع عقاب من الله عز وجل. وحذرت الآيات من

الإفراط في اتباع الدوافع، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النازعات: ٣٧

- ٣٨). فنهى النفس عن الهوى هو ضبط النفس لدوافعه وشهواته وسيطرته عليها.

- إن الإيمان باليوم الآخر يُحرك الدوافع، ويحفزها نحو العمل الصالح الذي يؤدي بدوره إلى تزكية النفس، فتنشأ النفس مطمئنة بالإيمان الذي يزين السلوك.
- دعوة النفس الإنسانية إلى الموازنة بين متطلبات الحياة الدنيوية ومتطلبات الحياة الآخرة، وكذلك الموازنة بين متطلبات الجسم وحاجاته البدنية وإشباع دوافعه الفطرية لكي يؤدي رسالته في الحياة التي خلقه الله تعالى لها. وبين متطلبات الروح المتشوقة إلى الله تعالى، والمتطلعة إلى النعيم في الحياة الآخرة^(١). ونظراً لطبيعة النفس الإنسانية المزدوجة التركيب، من الروح الإلهية التي كرم بها الإنسان ومن قبضة الطين والتي تمثلت عناصرها في الكينونة البشرية. كان لا بد من مراعاة هذه التركيبة أثناء تحقيق الدوافع والحاجات الفطرية بالوسائل المناسبة^(٢).
- دعوة النفس إلى ضبط الدوافع والتحكم بها والعمل على إعلانها والتسامي بها وتوجيهها إلى ما يرضي الله تعالى ويحقق التقوى في النفوس. وهذا سيحقق للنفس التمتع برضوان الله ونعيمه في الآخرة. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ ((الكهف: ٤٦)، وفي الآيات دعوة صريحة للنفس إلى ضبط الدوافع والسيطرة عليها. والبقاء على حذر من تلك النعم، والنظر إلى النعيم الدائم في الجنة، والذين يتقون الله يجعلون هذه النعم طاعات إذا قُصد بها وجه الله، وإذا تعاملوا معها دون طغيان أو تفريط. وقد جعل الله عز وجل حدوداً لضبطها وهي:

(١) نجاتي، محمد، القرآن وعلم النفس، ص ٦٤.

(٢) الخوالدة، محمود عبد الله، علم النفس الإسلامي، ص ١٤٤ - ١٤٥.

• حد الحلال في إشباع الدوافع:

أقرّ الإسلام الدوافع وأباح إشباعها ضمن حدود معينة، منها حدّ الحلال في إشباع الدوافع والنأي عن الأساليب غير القويمة في إشباعها^(١). وكذلك عدم الإسراف في إشباعها.

فقد أمر بإشباع دافع حفظ الذات ضمن دائرة المباحات، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ عُذِّي بِحَرَامٍ)^(٢)، فقد ربط الحديث بين حد إشباع دوافع الذات (الطعام والشراب) وبين دخول الجنة في اليوم الآخر، ليكون أنجع في تزكية النفس وسيطرتها على الدوافع الفطرية الكامنة فيها. وبناءً على ذلك فإن طريقة تعامل النفس الإنسانية مع الصراع بين الدوافع باعتباره ابتلاءً حقيقياً حقيقي بالموافقة بين طاعة الله تعالى والانتفاع بزينة الدنيا وشهواتها. فالنفس الإنسانية تتعامل مع زينة الحياة الدنيا على مستويين:

الأول: تتفاعل النفس مع زينة الحياة الدنيا من مال وبين مدفوعة بالرغبة في سدّ الحاجات الفسيولوجية. فالله سبحانه وتعالى دعا إلى تنظيم إشباع الدوافع وتوجيهها على نحو يسيطر فيه الفرد على دوافعه ويوجهها ولا تسيطر هي عليه. فالإقبال على نعم الحياة الدنيا يكون بدافع سدّ الحاجات، وليس بدافع الرغبة في الحصول على اللذة الكامنة في تلك النعم. وعليه، ينبغي التفريق بين سدّ الحاجة وبين المتعة. فالمتعة (اللذة) كما وردت في القرآن الكريم هي علاقة سيكولوجية بين النفس البشرية وبين شهوات المال والنساء والبنين. وهي علاقة تزيين وليس علاقة سدّ حاجة، ومن هنا كانت محور الابتلاء^(٣).

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبي المرابي، ص ١٣٦.

(٢) البزار، أبو بكر أحمد بن عمر، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ٢٠٠٩م، مسند أبي بكر الصديق، حديث رقم (٤٣)، مجلد ١، ج ١، ص ١٠٥.

(٣) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.

الثاني: فيرتبط بدور اللذة أي بالمتعة بين النفس والشهوات المودعة في النعم. ومن هنا يبدأ الصراع بين الدوافع. وهنا يكون الابتلاء. فبعد إنَّ تبدأ النفس بإشباع دوافعها الفسيولوجية، فإنها تنشط تلقائياً إلى تذوق المتع (اللذة) المودعة في النعم. وتتمثل حقيقة الابتلاء على شكل جملة من الأوامر والنواهي التي تحكم تفاعل النفس مع نعم الحياة الدنيا. ومن المتوقع إنَّ تتضارب هذه الأوامر والنواهي مع أهواء النفس وشهواتها. وقد يشتد الصراع، الأمر الذي يجعل من طاعة أوامر الله أمراً عسيراً على النفس، وقد صور القرآن الكريم حالة الصراع النفسي بين أهواء النفس، والامتثال بأوامر الله التي تنتهي بإيثار الحياة الدنيا وما يترتب على ذلك من مصير، بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧ - ٣٩). وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۗ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة: ١١). وهكذا اقتضت مشيئة الله إنَّ يكون الطريق الذي تختاره النفس الإنسانية في حلِّ الصراع هو الابتلاء الحقيقي لها في الحياة، فعليها إنَّ توافق بين طاعة الله عز وجل والانتفاع بزينة الحياة الدنيا، وأن تحقق التوازن بينها. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَسْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧). فإذا حققت النفس التوازن واجتازت الامتحان، فإنها تحصل على ثواب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١). أما إذا انسأقت النفس وراء شهواتها وملذاتها وتناست أوامر الله، فقد فشلت في الامتحان، وكتب عليها الشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

اللَّهُ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا
مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ ﴿التوبة: ٣٤-٣٥﴾، ومن هنا يترتب على

النفس ضبط دوافعها وتنظيم إشباعها وتوجيهها نحو طريق الخير الفلاح^(١).

إن الدوافع في النظام الإسلامي لا تعمل في فراغ ولكنها تعمل في هذه الحياة وإصلاحها
بناءً على انسجامها مع متطلبات الإنسان في ضوء مفهومه العقدي للوجود وأسراره، وهذا يجعل هذه
الدوافع تؤدي دورها الكامل، وذلك لانسجامها مع الطبيعة الإنسانية وتوجيهها وجهة الخير والصلاح^(٢).
وذلك بتزكية وتعديل السلوك من خلال توجيه الدوافع والحاجات الفطرية بما فيه مصلحة الإنسان
وفق معتقداته الإسلامية، فالإيمان باليوم الآخر يحرك الدوافع ويحفزها في النفس الإنسانية نحو العمل
الصالح، وكذلك تنظيم إشباع الدوافع ضمن حدود المباحات، وتوجيهها وفق ما يرضي الله تعالى
وذلك لتحقيق الفوز بالآخرة.

ثالثاً: تزكية الجانب الوجداني عبر طريقة الخطاب القرآني للنفس الإنسانية بشأن اليوم

الآخرة

طريقة الخطاب القرآني للنفس الإنسانية في شأن الإيمان باليوم الآخر وقضايا البعث والجزاء،
تخاطب الروح بلغتها وتخاطب الوجدان، ليكون التأثير مضاعفاً أكثر من خطاب العقل بالمنطق

(١) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) المومني، محمد علي العكاشة، الدوافع وأثرها في التربية الإسلامية: دراسة وصفية تحليلية مقارنة، رسالة
ماجستير، الأردن، جامعة اليرموك، كلية التربية، ١٩٩٤م، ص ١٤١.

الذهني المجرد فقط. إنما صاحب هذا المنطق دائماً حركة في الوجدان^(١). ويظهر الخطاب القرآني

للوجدان في شأن اليوم الآخر من خلال ما يأتي:

١. طريقة عرض القرآن الكريم لمشاهد العذاب يوم القيامة، بطريقة مفزعة من خلال التأثير

الوجداني بعرض صور الكافرين عليهم وهم في نار جهنم لتنفعل وجداناتهم فتفتنع اقتناعاً

وجدانياً بحقيقة البعث^(٢). قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ

تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي

خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا

تُكذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ

عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الطور: ٧- ١٦﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ

مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ

رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ إِلَّا لَشَيْءٍ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ

يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ

صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِتَّاكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ

هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿الدخان: ٤٠- ٥٠﴾. فهذه صور للكافرين المكذبين بالبعث

تخاطب الوجدان وتثير مكامن النفس في تخيل صور أهل النار كأنها حقيقة ماثلة في قلوب

المنكرين.

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧١.

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٣.

وقد بيّنت الآيات القرآنية مشاهد الحساب وأهواله بصورة تهزّ أعماق النفس وتستحث المسلم إن يبادر إلى محاسبة نفسه، وكشف بواطنها، لينجو من مواقف الخزي يوم القيامة ويحظى برحمة الله تعالى، ومن أبرز الآيات الكريمة التي تصف مشاهد الحساب، قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩). فبيّنت الآيات رهبة الموقف والشفقة من خبايا النفوس بنشر الأعمال بصورة فنية تستحضر الأحداث في النفوس.

يقول ابن القيم: "فإذا صحّت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب، يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعدّ الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق، وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاطت بهم، وقد جاء الله وقد نصب كرسيه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره ووضع الكتاب وجيء بالنبیین والشهداء، وقد نصب الميزان وتطايرت الصحف، واجتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كذب، وكثرة العطاش، وقل الوارد، ونصب الجسر للعبور، ولزّ الناس إليه وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضاً تحته، والمتساقطون فيها أضعاف أضعاف الناجين، فيفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها"^(١).

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج ١، ص ١٤٣.

"هذا التصوير المبدع لمشاهد القيامة، هو الذي جعل الجيل الأول من المسلمين يعيش بوجدانه في الآخرة، وهو يخطو بجسده على الأرض. وأوجد في نفوسهم تلك الحساسية الهائلة في كل تصرف يتصرفونه، خشية إنَّ يحرمهم من النعيم ويؤدي بهم إلى النار"^(١).

٢. طريقة عرض القرآن الكريم لصور أهل النار يوم القيامة في جهنم، وصور المؤمنين في

الجنة، ولكن بغير خطاب مباشر، فكأنما هي تتجاهلهم، فتعرض الحقائق قائمة بذاتها، فمن شاء إنَّ يؤمن فليؤمن، وهو خير له، ومن أصر على إنكاره فلينظر ماذا يفعل بأمثاله يوم القيامة، وهي طريقة من طرق التأثير الوجداني القوي المفعول. إذ أنَّ الإنسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين بطل القصة المعروضة مقارنة خفية، فإنَّ ناله خير تمنى إنَّ يكون مكانه، وإنَّ ناله شر تمنى إنَّ يكون هو في نجوى منه. ومن هنا يدخل التأثير في قلوب المعاندين حين يرون أمثالهم يعذبون في نار جهنم. ويرون المؤمنين ناجين في النعيم، فتقف قلوبهم وتلين للتسليم^(٢).

ومن الآيات القرآنية التي تعرض مشاهد لصور المكذبين وصور المؤمنين يوم القيامة على المتفرجين هنا في الدنيا، ليرى المكذبين صور أمثالهم في عذاب جهنم بل صورهم هم في الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَآدَمَۙ اِمَّا يَأْتِيَنَّكَۙ رُسُلٌۙ مِنْكَۙ يَقْضُوْنَ عَلَيْكَۙ اٰیٰتِيۙ فَمَنْ اٰتَقٰى وَاَصْلَحَۙ فَلَا خَوْفٌۙ عَلَيْهِمْۙ وَلَا هُمْۙ يَحْزَنُوْنَۙ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا وَاَسْتَكْبَرُوْا عَنْهَاۙ اُولٰٓئِكَۙ اَصْحٰبُ النَّارِۙ هُمْ فِيْهَاۙ خٰلِدُوْنَۙ ﴿٣٦﴾ فَمَنْۙ اَظْلَمُۙ مِمَّنۙ اَفْتَرٰى عَلٰى اللّٰهِۙ كَذِبًاۙ اَوْ كَذَّبَۙ بِآيٰتِيۙهِۙۙ اُولٰٓئِكَۙ يَنَالُهُمُۙ نَصِيْبُهُمْۙ مِّنَ الْكِتٰبِۙ حَتّٰىۙ اِذَاۙ جَآءَتْهُمْۙ رُسُلُنَاۙ يَتَوَفَّوْنَهُمْۙ قَالُوْۤاۙ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُوْنَۙ مِّنۢ دُوْرِ اللّٰهِۙ قَالُوْۤاۙ ضَلُّوْۤا عَنَّاۙ

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٨٢.

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٤.

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْبَنِي
 وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ لِأَوْلَادِهِمْ
 رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَٰئِهِمْ
 لِأَخْرَيْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي
 سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
 ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
 لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ
 أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا
 حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾
 الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ
 رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ *
 وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
 رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا
 يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
 أَنْ أفيضوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِيْنَهُمْ لَهَوًا وَلَعْبًا وَعَزَّزَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا

بِعَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ (الأعراف: ٣٥ - ٥١). إنه شريط حافل بالحركة والحوار والمشاهد

المتقابلة ولعله أطول عرض في القرآن كله لمشاهد القيامة، يدعمهم يتفرجون ليتأثروا بالعرض عن طريق غير مباشر، فتتأثر وجدانهم وتلين قلوبهم^(١).

٣. عرض ألوان النعيم والعذاب يتناول الجانب المعنوي إضافة إلى الحسيات:

"إن الحسية والمعنوية كلاهما خط من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية، والقرآن الذي يوقع على كل خطوط النفس وينفذ إليها من جميع منافذها، يستخدم الحسي والمعنوي معاً في الترغيب والترهيب"^(٢).

ومن ألوان العذاب المعنوي ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي

أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّمَذِيقِهِمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت:

١٦). فالعذاب في الآخرة يختروا به ويفتضحوا بين الخليقة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾

يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ

خَذُولًا ﴿الفرقان: ٢٧ - ٢٩﴾. فاستخدام ألوان العذاب المعنوي له وقعه على النفس الإنسانية. قال

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٥.

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٧٧.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤٦.

السعدي: في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ بَشْرَكَ وَكَفَرَهُ وَتَكْذِيبَهُ لِلرَّسُلِ، ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ تأسفاً وتحسراً وحنناً وأسفاً^(١).

وكذلك النعيم للمؤمنين في الجنة قد يأتي نعيم معنوي، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

وقول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر:

٧٣-٧٤). وإن هذا العرض لألوان النعيم المعنوي يؤثر في المشاعر ويتفاعل معه الوجدان.

ولا يملك الإنسان عندما يمر على هذه المشاهد إلا إن يفعل بها وجدانه وتتأثر مشاعره.

وذلك لفرط الحبوية في هذا العرض القرآني لمشاهد القيامة^(٢).

٤. استعمال القرآن الكريم ألفاظ مخصوصة للتعبير عن مشاهد اليوم الآخر، فيها فخامة تملأ

الفم، ورعب يملأ الفؤاد، مع إبداع في إبراز الصورة المخيفة عند وصف العذاب^(٣)، مثل:

جهنم، مرصادا، للطاغين، أحقابا، حميماً، غساقاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ

أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ

كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٨١.

(٢) انظر: قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٤٩٥.

(٣) نفرة التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، ص ١٠٨.

إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِمْ كَانَ وَعَدُهُ مَقْعُولًا ﴿١٨﴾ (المزمل: ١٨-١٧). وإن الآيات قد عرضت مشاهد من اليوم الآخر بصورة فيها تأثير يلامس الوجدان، وتخفق له القلوب.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾﴾ (التكوير: ١٢)، ومنه قول الله تعالى في وصف طريقة الإلقاء في جهنم: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾﴾ (الدخان: ٥٦).

٥. إبراز القيم الجمالية عند وصف الجنة في القرآن الكريم، التأثير في الوجدان من خلال مواطن الجمال والاستمتاع بالمناظر الجمالية، وذلك بوصف الجنة بأوصاف غاية في الروعة وتمثيلها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: ١٥).

الخطاب القرآني للنفوس المؤمنة بأفضل الألقاب والأوصاف، وسيلة للتحبيب والتقرب لها، وتحفيزها بالتأثير الوجداني للعمل على تزكية قلوبهم وإصلاحها، وذلك للفرح برضا الله وجناته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مِّن

خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿ق: ٣١ - ٣٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْصَتْ أَعْيُنُهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (ال عمران: ١٠٧).

(١٠٧).

رابعاً: الانعكاسات الإيجابية لتزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر آثار تربوية تنعكس على تركية نفس المؤمن، ومن هذه الانعكاسات ما

يأتي:

- انضباط جميع الدوافع، وتحكم وسيطرة النفس على القوى الغريزية الجامحة، وذلك خوفاً من الله وعذابه ورغبته في رضوانه وجنته.
- تحرير القلوب من مخاوف الدنيا: فإنّ الإيمان باليوم الآخر يحرر النفس من الخشية والخوف من المرض والموت والقلق المستمر على المستقبل. وذلك من خلال الإكثار من تذكّر الموت والاستعداد الدائم للرحيل عن دار الدنيا الفانية. فيضعف تعلق النفس بالدنيا فتهدون في نظرة.
- وتتحلر القلوب عن مخاوف الدنيا بتربية النفس على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَآلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧)، فمتاع الدنيا قليل، وثواب الآخرة خير وأفضل لمن اتقى. وذلك لأنّ الدنيا دار زوال وارتحال، ومحل امتحان، فلا تياس النفس على ما فاتها منها، ولا تجزع لمكروه أصابها^(١). فالإيمان بالآخرة يورث مقاومة شديدة لكل ما يصيب الإنسان في الحياة من منغصات، فيعيش مطمئناً.

(١) المنيجي، شمس الدين، تسليية أهل المصائب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٠ - ٢٤٢.

والزهد في الدنيا تزكية للقلوب من التعلق بها، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التعلق بالدنيا وزينتها، ومن ذلك، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث إن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال (إني إن) مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها^(١)، والشاهد في الحديث إن يحذر المؤمن من الدنيا وزينتها، وذلك أركى وأنفع للقلوب.

فالنفس المؤمنة تعلم إن وراء هذه الدنيا داراً أخرى يحصل فيها الجزاء والحساب، وفيها المنتهى إما إلى جنة أو إلى نار، فتزهد نفسه عن هذه الدنيا المليئة بالمشاق والمكدرات^(٢).

فالدنيا دار زوال وامتحان، ومتاع وغرور، فيجب على المؤمن إن يوطن قلبه على إن لا ييأس إذا ما فاتته منها شيء، ولا يجزع أو يحزن على أمور الدنيا، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك^(٣). والشاهد إن الفترة التي سيقضيها الإنسان في الدنيا قصيرة، فهي كعابر السبيل أو الغريب الذي سيقضي في سفره فترة قصيرة ويعود. وهذا الوقت والزمن القصير للحياة الدنيا سينتهي ولذلك يجب إن لا ييأس ولا يجزع ولا يحزن القلب على فوات شيء منها.

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب ليس على المسلم في عبده صدقة، حديث رقم (١٤٦٥)، ج ١، ص ٦٧٢.

(٢) عوض، عبد الله يوسف، الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية الإسلامية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩، ص ٣٣.

(٣) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب، حديث رقم (٦٤١٦)، ج ١، ص ٣٢٢٠.

والأحاديث الواردة في ذم الدنيا كثيرة، وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)^(١).

وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة

يخرج هم الدنيا من قلبك^(٢).

ومسلك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام في حقيقة الدنيا والتعامل معها إن لا

يترك الدنيا بالكلية، ولا يجمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيجمع

منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل، ولا

يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا

ويحفظه على حد مقصوده. فيأخذ من القوت ما يقوي البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن

اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى

بكنه همته، واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا

يجاوز حدود الورع والتقوى^(٣).

كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا والزهد رغبة فيما عند الله تعالى، فهي رغبة

عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة ورغبة عن غير الله تعالى إلى الله تعالى. فالآخرة خير وأبقى. وهكذا

تتحرر النفوس من مخاوف الدنيا وتهون في نظرها.

- بث روح التفاؤل والإيجابية في نفس المؤمن: إن الإنسان يعود بالبعث إلى شخصيته التي كان

عليها في الحياة الدنيا. والبعث عاماً لكل الإنسانية: الأقارب والأبناء والأصدقاء.. كلهم سيبعثون

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، حديث رقم (٢٩٥٦)،

ج ٤٠، ص ٢٢٧٢.

(٢) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٠٨.

(٣) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٣٠.

على صعيد واحد. لهذا كان المستقبل الآخروي في التصور الإسلامي هو الأكثر تفاؤلاً وانسجاماً مع الرغبة العميقة للإنسان في الخلود الشخصي^(١). فيدرك إن الدنيا مرحلة عابرة، وأن الموت خروج من عالم إلى عالم آخر أوسع منه وأطيب. وهذا يولد الثقة والاطمئنان بوجود حياة آخرة، وأن هذه الدنيا ليست نهاية الرحلة الإنسانية، فالحياة الدنيا ليست غاية.

- **حصول اللذة بالتوجه إلى الله عز وجل بالعمل للآخرة:** يقول ابن حزم: "إن العمل لله عز وجل عقباه على كل حال سرور في عاجل وأجل، أما العاجل فقلة الهَم بما يهتم به الناس وإنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة"^(٢).

فالإيمان بالآخرة يلبي اللذة الروحية العميقة للنفس، كلما تطلعت وتخيلت النفس حال أهل الجنة في الجنة، والسعادة الأبدية في الآخرة.

- **امتداد الأمل والرجاء:** النفس تعشق الخلود، وإن استعدادات الإنسان الفطرية وآماله وطموحاته تمتد بعيداً. فالحياة الآخرة هي تلك الدار التي يمتد فيها الأمل بنعمة وفضل من الله عز وجل، وذلك لأن الآجل ممتد والآخرة أبدية، ووصفها القرآن بأنها الحيوان، كما في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾** (العنكبوت: ٦٤). فلذلك كانت الآخرة هي الأجدر بوصف الحياة، لأنها تمثل الحياة الحقيقية^(٣).

- **ملازمة الخوف من الله، بالعلم والذكر الدائم إن الله يعلم ما في سرك** وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)**^(٤).

(١) بلكا، إلياس، الغيب والعقل، ص ٢٣٠.

(٢) ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٧٩، ص ١٣.

(٣) الدغامين، زياد، الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة، ص ٤٣.

(٤) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، حديث رقم (٦٧٠٧)، ج ٨، ص ١١.

وأشار بأصابعه إلى صدره. وكذلك بالخوف من اقتراب القيامة فإنه حافز لإصلاح القلوب وتزكيتها.

- **البعد عن اتباع الهوى والسير وراء ما تهوى الأنفس** وتشتهي بدون تفكير أو تقدير لعواقب الأمور، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ (النازعات: ٤٠)، ومن أسباب اتباع الهوى ضعف المعرفة الحقه بالله والدار الآخرة، وحب الدنيا والركون إليها ونسيان الآخرة، وهذا يؤدي إلى قسوة القلب^(١).

وإن النفوس التي اتبعت الهوى، وكانت لاهية عن الحق في الدنيا، فإنها سوف تتبعها الحسرة والندامة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦). فالنفس تحفظ إنسانيتها بالابتعاد عن الشهوات والآثام، واجتناب الرذائل، فممارسة الرذائل والشهوات يضمحل العقل، وتضعف الإرادة وتقوى دواعي البهيمية فيها.

- **الإيمان باليوم الآخر يُشكل لدى نفس المؤمن المناعة النفسية والوجدانية**، فيمنع أي شعور أو انفعال أو دافع غير مرغوب، كما ويسهم في حماية المشاعر والانفعالات المرغوبة عبر ترسيخها. ومثال ذلك الثقة بالجزاء المترتب يوم القيامة يمنع السخط أو حسد الآخرين، والإيمان بالموت يرسخ في النفس مشاعر الرضا والقناعة باليسير من الدنيا؛ لكونه في المحصلة قليل الدنيا وكثيرها زائل.

(١) الطخيس، أبي البراء سعد، تزكية النفس، ص ٣٦.

خامساً: الإجراءات العملية لتزكية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

١. تزكية الباطن بالمراقبة الذاتية

تعد المراقبة ضرورة في ترقية النفس وتزكيتها، وذلك بإقامة وازع المراقبة لله تعالى في نفس المؤمن، فهي أساس سلامة العقيدة، والالتزام بتعاليم الإسلام، وضمان السعادة في الدنيا والآخرة. وهي صمام الأمان والضابط للنفس على إقامة منهج الله وشرعه والتزام النفس بكل فضيلة والابتعاد عن كل رذيلة.

"وتكمن أهمية المراقبة في أنها تربي في المؤمن الحس الإيماني الدائم بأن الله رقيب عليه، مطلع عليه في السر والعلن، ومُحصٍ عليه كل شيء، فيلاحظ أنفاسه وخطراته، هل هي لله؟ وهذا من أهم ما يحتاجه المؤمن في حياته ليصلح حاله"^(١). ويبقى حساس الضمير والوجدان.

وإن المراقبة واستشعار قرب الله عز وجل، يوجب تزكية باطن الإنسان وسرائره فيستشعر مراقبته لله تعالى في خلوته، وكذلك يستلزم تزكية الظاهر، إذ تحمل النفس على الطاعات، والابتعاد عن المعاصي والذنوب. فيصلح السر والعلن.

وإن الهدي القرآني بيّن في آيات عديدة أهمية المراقبة في تزكية النفس وتقواها، وذلك باستشعار محبة الله عز وجل في كل حين، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ

أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ (آل عمران:

٣٠)، يقول ابن جرير: "يعني بذلك جل ثناؤه: ويحذركم الله نفسه، في يوم تجد كل نفس ما

عملت من خيرٍ محضراً موفراً، وما عملت من سوءٍ ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ يعني

(١) ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم، ص ١٣١ - ١٣٢.

غاية بعيدة، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه، ما حذروه على أنفسكم من ذنوبكم" (١). فالآية تحذر من الذنوب، وتبين مراقبة الله تعالى وإحصاء كل ما تقوم به كل نفس من خير أو شر، وهذا تربية للنفوس بالمراقبة.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَكَلِّمِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٦- ١٨)، وقد ربطت الآيات بين تركية المؤمن نفسه بالمراقبة، وبين الجزاء في

الآخرة، فكل صغيرة وكبيرة يفعلها الإنسان، سوف يحاسب عليها يوم القيامة.

- ويقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)، يقول ابن كثير:

"يُخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحبوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإن الله تعالى يعلم العين الخائنة وإن بدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر" (٢).

- ويقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَاهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، أي: توزن

أعمالهم وزناً في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحداً شيئاً، وكل عمل من الخير والشر

وإن كان في غاية القلة والدقة كمنقال حبة من خردل، فإن الله يأتي به؛ لأنه لا يخفى عليه

(١) الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٦، ص ٣١٩.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١٣٧.

شيء، وكفى به - جل وعلا - حاسباً؛ لإحاطة علمه بكل شيء. وبين سبحانه في موضع آخر إن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف، ومنها ما يتثقل، وأن من خفت موازينه هلك، ومن ثقلت موازينه نجا^(١).

- وقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، فحضور الأعمال يوم القيامة وإحصائها يؤدي إلى ضبط كل معايير وموازن الحياة، بطاعة الله تعالى.

- وقول الله تعالى: ﴿وَمَا زُرِينَا بِعِصَىٰ آلِ الْأَيْمَانِ الَّتِي نَعْتَدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَا كَفَّارِينَ مِمَّا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ وَإِنَّا لَآبْرَارٌ مُّعْتَدِلُونَ﴾ (يونس: ٤٦)، فاطلاع الله عز وجل على العبد، ورقابته على سره وعلنه، كفيل إن يوقظ المسلم من غفلته، ويجعله في خشية دائمة من سوء أعماله. والشعور بمراقبة الله تعالى في جميع الأحوال، ففي الطاعات يكون بالإخلاص والمحبة، وسعي النفس إلى الكمال والتقوى، ومجاهدتها، وأما في المعصية، فالمراقبة تكون بالتوبة والندم والحياء والإقلاع عن الذنوب.

فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ). قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ « لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ إِنَّ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبُطْنَ وَمَا حَوَى وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨، ص ٤٥٢.

أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ^(١). فمراقبة الله تعالى تكون بالحياء منه سبحانه، فيفعل الطاعات ويبتعد عن المعاصي، ويتذكر الآخرة ويتترك الدنيا وشهواتها.

٢. تزكية القلب على صعيد التخلية والتحلية

تعتمد تزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية في البداية على تخلية أحوال النفس الداخلية بتطهير القلوب من نزعات الشر والإثم وحظّ الشيطان منها. وذلك بالابتعاد عن المحرمات، ومنها: الكبر والرياء والعجب والحسد والغفلة والنفاق، والقنوط من رحمة الله تعالى، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله والفرح السرور بأذى المسلمين.

وهذه الأمور التي ينبغي تخلية القلب منها، لا صلاح للقلب إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن، وهذه الآفاق إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها، فوظيفة: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلاً بأضدادها، ولا بد وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها^(٢).

ومن الأدلة التي ترتبط بتزكية القلب على صعيد التخلية، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس: ٧-٨)، قال القرطبي: فالرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، أي لا يخافون عقاباً ولا يرجون ثواباً، وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء الله تفخيماً لهما. وقيل: يجري اللقاء ظاهرة وهو الرؤية، أي لا يطمعون في رؤيتنا. وقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي

(١) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: استحيوا من الله حق الحياء، حديث رقم (٢٦٤٦)، ج ٤،

ص ٦٣٧، قال أبو عيسى هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ص ١٣٤.

رضوا بها عوضاً من الآخرة فعملوا لها. ﴿وَاطْمَأْنُونُ بِهَا﴾ أي فرحوا بها وسكنوا إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ أي عن أدلتنا ﴿غَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون ولا يتفكرون^(١). والشاهد من الآيات فيما يرتبط بتزكية الجانب الوجداني على صعيد تخلية النفس من الرضا بالدنيا فحسب والفرح بها والسكون إليها، وكذلك تخليتها من عدم الخوف من عقاب الله تعالى وعدم رجاء ثوابه.

وأما تزكية القلوب على صعيد التحلية يكون بعبادة القلب بأمور ينبغي فعلها، كالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥)، وكذلك التوكل، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)، وكذلك الخوف من عذابه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وكذلك الرجاء بنعيمه سبحانه، والإنابة والمحبة والنية الصادقة في العبادة والصدق، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩). وهذه الأعمال هي عبودية القلب، فمن عطلها فقد عطل عبودية الملك، والمقصود إن يكون ملك الأعضاء وهو القلب قائماً بعبوديته لله سبحانه هو وورعيته^(٢).

"فمن نور الله قلبه بالإيمان قويته معرفته، واستتارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلاً، وتركت التدبير عليه"^(٣). والشاهد إن تزكية القلوب بتخليتها بالمحبة والإخلاص والعبودية لله تعالى بالرغبة إليه.

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤م، ج ١٢، ص ٣١٢.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ص ١٢٩ - ١٣٣.

(٣) الترمذي، محمد بن علي، أدب النفس، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٦.

ومن العبادات القلبية التي ربط الفوز بالجنة والنجاة من النار بها، الصبر فلا يحظى بالجنة إلا الصابرون، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١١١).

٣. تزكية الوجدان عبر المحبة في الله تعالى

إن محبة الله عز وجل في قلب المؤمن توجب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبة المؤمنين ومحبة المخلوقات التي خلقها الله عز وجل.

أما حب المؤمن للرسول صلى الله عليه وسلم يتحقق في طاعته صلى الله عليه وسلم وتنفيذ كل ما أمر به، والتزام سنته، ويترتب على هذه المحبة دخول الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبتى، قالوا: ومن يأتى يا رسول الله؟ قال: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)^(١). فالشاهد إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته سبب دخول الجنة في الآخرة.

وإن تعميق عاطفة المحبة بين المؤمنين، وإقامة العلاقات بينهم على أساس من إخلاص الحب لله، والغاية فيها طاعة الله وتحقيق رضاه سبب في نيل رضا الله ودخول الجنة، وقد ربط الإسلام بين محبة المؤمنين وتعاونهم وتعاضدهم، وبين دخول الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا)^(٢). وكذلك فإن المتحابين في الله تعالى، تجمعهم رابطة الأخوة فيه، ويجتمعون على البر والتقوى والصلاح، والقيم الفاضلة، والأعمال الصالحة، فاستحقوا إن يكونوا هانئين في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِلَّهِ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٧٢٨٠)، ج ٩، ص ١١٤.

(٢) ابن وهب، عبد الله، الجامع في الحديث، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م، كتاب الإخاء في الله، باب البر، حديث رقم (٢١٨)، ج ١، ص ٢٠١.

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿الزمر: ٩﴾. فأهل العلم أكثر خشية من الله تعالى، والعالم يُسأل يوم القيامة عن علمه وهل أثمر عنده من رجاء وخشية لله تعالى وبالتالي أثر على عمله الصالح. وإن أفضل العلوم العلم الذي ينفع للأخرة، وذلك لأنه علم يرفق فيه القلب ويزيد من الحذر والعمل.

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان، وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال. والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجله خلق^(١).

٥. الابتعاد عن الكبر والحسد:

والكبر من الصفات التي تحجب الحق عن صاحبها، وهي سبب لفساد القلوب، وهو سبب للعذاب في اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (غافر: ٧٥-٧٦) ربطت الآيات الكريمة بين استحقاق نار جهنم وبين الكبر والاستكبار لأنه يورث فسوة القلب التي تبعد النفس عن الحق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ)^(٢). وهذا يدل على ذم الكبر، وهو من أمراض القلوب التي يعاقب عليها الإنسان في العذاب بالنار يوم القيامة.

وإبعاد مرض الحسد والبغض عن القلب، وذلك لأن الحسد سخط بقضاء الله تعالى، وكره لنعمة الله على الحاسد واستنكار لعدل الله تعالى وحكمته الخفية، ومشاركة الحاسد لإبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين بالبلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٩.

(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (٤٠٩٣)، ج ٤، ص ١٠٢، قال الألباني: صحيح.

النار الحطب. والذي يؤمن باليوم الآخر يعلم إنّ الحسد يؤدي إلى العذاب الشديد في الآخرة، وذلك لأنه فعل ما يسخط الله تعالى فأهلك دينه ودنياه^(١).

توجيه الانفعالات العاطفية في النفس الإنسانية وضبطها بضابط الإيمان باليوم الآخر:

تتعرض النفس للكثير من المواقف الصعبة التي تصاب فيها بالأذى والألم، فتجيش النفس بأنواع من الانفعالات الغضبية التي قد تدفع النفس للحدة والصدام. وإن ضبط مثل هذه الانفعالات بضابط اليوم الآخر، يوجهها الوجهة السليمة.

ضبط عاطفة الحزن والفرح بضابط الآخرة:

توجيه عاطفة الحزن إلى الحزن المتعلق بأمور الآخرة، وهو ما كان يختص بأمر من أمور الدين، كالحزن عند فوات الأجر والثواب، والحزن عند ارتكاب المعاصي والآثام، فإنّ المؤمن غير معصوم من الخطأ، ولكنه يسارع إلى الندم والحسرة والتوبة إلى الله تعالى، فإنّ قلب المؤمن حساس تجاه المعاصي^(٢). وإن توجيه القلوب بالحزن على ما فاتها من الأجر أو عند ارتكاب المعاصي تزكية للوجدان.

وكذلك الفرحة فإنه يضبط بما يحقق السعادة الحقيقية في الدارين، فالذي يستحق الفرحة هو فرح القلوب الصافية باليقين والإيمان الصادق الذي ينفع في الآخرة، ومن الآيات التي أشارت إلى الفرحة وربطته بالآخرة، قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يونس: ٥٧ - ٥٨)، ومما جاء في تفسير هذه الآيات ما قاله قطب: "قبهذا الفضل

(١) الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٦.

(٢) التل، شادية وآخرون، الحزن في السنة النبوية، مجلة الجامعة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المرفق، الأردن، مجلد ١١، عدد ٢، ٢٠١٥، ص ٢١٢ - ٢١٣.

الذي آتاه الله عباده، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم من الإيمان، فبذلك وحده فليفرحوا، فهذا هو الذي يستحق الفرح، لا المال، ولا أعراض هذه الحياة، إنّ ذلك هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من المطامع الأرضية، والأعراض الزائلة، فيجعل هذه الأعراض خادمة، لا مخدومة ويجعل الإنسان فوقها، وهو يستمتع بها لا عبداً خاضعاً لها^(١). والشاهد إنّ الفرح من الانفعالات الفطرية التي جلبت عليها النفس، والتي ينبغي توجيهها الوجهة الصحيحة وضبطها بضابط الإيمان باليوم الآخر، فلا شيء يستحق الفرح أكثر من الفرح العلوي الذي ينتظره في الآخرة.

فالفرح الحقيقي هو بالسعادة الأبدية في الجنة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُدُّوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُونٍ﴾ (هود: ١٠٨).

ضبط عاطفة الخوف والرجاء بضابط الآخرة:

فالخوف سوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى، وهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، والخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات، ويحرق الشهوات المحرمة، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد. وتشغله المراقبة والمحاسبة ومؤاخذة النفس ومجاهدتها^(٢).

والرجاء هو انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات، وطهر قلبه من شوك الأخلاق الرديئة،

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٨٠.

(٢) فريد، أحمد، تزكية النفوس، ص ١٠٨ - ١٠٩.

وانتظر من فضل الله تعالى تثبيتاً على ذلك رجاءً حقيقياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٨).

فالرجاء الصحيح هو الذي يهدي إلى الطاعة ويزجر عن المعصية^(١).

وإن القلوب العامرة بمخافة الله، والاستعداد للوقوف بين يدي الله عز وجل، فهؤلاء أولياء الله

الأتقياء فإن لهم الأمن في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (يونس: ٦٢ - ٦٤)، وذلك لأنهم

كانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا﴾ (الإنسان: ١٠). ويقولون: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥).

- الصبر، من الإجراءات الأكثر فاعلية في تحقيق تزكية القلوب الصبر، وقد أمر الله تعالى

بالصبر، وربطه باليوم الآخر، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا

تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۗ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۗ بَلَّغٌ فَمَهْلُ يُهْلِكُ

إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأحقاف: ٣٥). والشاهد إن الآيات الكريمة وجهت النفوس إلى

أهمية الصبر وإعانة المؤمن على ما يجده في الحياة الدنيا، فإنها قصيرة، والصبر له الجزاء

العظيم في الآخرة.

(١) فريد، أحمد، تزكية النفوس، ص ١٠٤.

٧. توجيه العلاقات الإنسانية وضبطها بضابط الإيمان باليوم الآخر:

فالحياة الآخرة بمثابة ضابط للعواطف الإنسانية، فعلاقات الأبوة والأخوة والصداقة علاقات ينظر إليها بأنها خالدة ممتدة في ظل الإيمان، وهي علاقات خالصة بالسمو والرقى. وعليه فإنه يتم ضبط العلاقات الإنسانية وتوجيهها على أسس من المودة والمحبة والرحمة والتعاون، لا يطغي أحد على أحد ولا يظلم أحد أحداً في ظل الإيمان باليوم الآخر.

ويتم ضبط العلاقات الإنسانية عموماً بميزان الآخرة وفقاً للحقائق فيما يأتي:

- يأتي الإنسان يوم القيامة فرداً بلا أهل ولا عشيرة ليس معه إلا أعماله، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (المتحنة: ٣).
- لا تفاخر في الأنساب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمن: ١٠١).
- الحساب والمسئولية فردية، فلا تنفع الروابط ولا العلاقات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُورًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبُ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣).
- لا صاحب للظالم ولا شفاعة له من العذاب الأليم في اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨). وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ نُوحٍ وَامْرَأَتٍ لُوطٍ كَانَتَا

تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا

النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿التحریم: ۱۰﴾.

• كل علاقات الإخاء والمحبة خارج إطار الإيمان والتقوى لله تعالى هي علاقات عداوة وخصام

في اليوم الآخر، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزخرف: ٦٦ -

٦٧). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا

وَمَا أُولَٰئِكَ إِلَّا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (العنكبوت: ٢٥).

• لا نصره ولا موالاته تنفع يوم القيامة إلا موالاته الله ونصرته للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ

الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا

مَنْ رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿الذخان: ٤٠ - ٤٢﴾).

• هلع القلوب وذهولها يوم القيامة حتى عن أقرب الناس إليها، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَلَهُ قَرِيبًا

﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ

يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿المعارج: ٧ - ١٤﴾. وهذا حال المجرم مع أقرب الناس له يوم

القيامة، علاقات المحبة تنتهي بينهم حتى أقرب الناس له، لأنها قلوب ملئت بالحب لغير الله

فكان جزاءها العذاب والنقطع والهنك.

• علاقة الإنسان بجسده يوم القيامة، حيث تشهد الأعضاء على أعمال الإنسان، فالعلاقة حسب

الأعمال، فمن ساءت أعماله فلينظر كيف ستشهد عليه أعضاء جسمه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَفْكَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿النور: ٢٣ - ٢٤﴾. وقال

تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٤﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ خَلَقَكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿فصلت: ٢٠ - ٢١﴾.

• الوعد بالجنة للمؤمن الذي يجعل معيار الحكم على علاقته بالآخرين قرباً أو بعداً، وفق معيار

المحبة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ أُولِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿المجادلة: ٢٢﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ

يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿المائدة: ٨٠﴾، فولاية الكافر سبب لسخط الله وعذابه.

المبحث الثالث

تزكية الجانب العملي في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

يُعنى هذا المبحث في تزكية الجانب العملي لتتكامل عملية تزكية النفس في جميع جوانبها. فبعد ما تم عرضه في المبحثين السابقين من هذا الفصل، لتزكية الجانب العقلي والجانب الوجداني، فإنه سيتم في هذا المبحث عرض للجانب الثالث وهو الجانب العملي لتحقيق عملية التزكية. وقد وازنت العقيدة الإسلامية بين عقله وروحه وجسمه، لتجعله إنساناً سوياً، وحرصت على إن لا يطغى جانب على آخر. لذلك فإنه يجب الاهتمام بجميع جوانب النفس للعمل على تزكيتها. ويشكل الإيمان قاعدة للعمل الصالح، فالإيمان علم القلب وعمله، والعمل ثمرة الإيمان ومقتضياته، وعليه الحساب والعقاب، وبه يحصل الإنسان على الأجر والثواب في الدنيا والآخرة. لذلك فإن ارتباط الإيمان بالعمل الصالح له أهمية عظيمة، فالإيمان أولاً والعمل ثانياً، لتكون النتيجة تحسناً ملحوظاً في الخلق والسلوك^(١). فالإيمان باليوم الآخر يوقظ الضمير فتصلح الأخلاق، فحين يوقن الإنسان بالآخرة، تحسم القضية، فكل نعيم في الدنيا لا يقاس إلى نعيم الآخرة، فيزهده في متاع الدنيا الزائد لطاعة الله تعالى وأمره، ولا يخرج عن أمر الله تعالى في الحياة الدنيا، من أجل متاعها الزائل، وذلك لأنه سيجازى عليه في الآخرة عذاباً^(٢). وبذلك يرتقي الإنسان بنفسه إلى القيم العليا والأخلاق الفاضلة، وذلك لأنه يُوقن بالجزاء.

"فإن الإيمان بالآخرة والتصديق بيوم الدين ترسم خطأ أساسياً في ملامح النفس المؤمنة، يقول سبحانه عن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ﴾^(٣) فالتصديق بيوم الدين شطر الإيمان، وهو ذو

(١) الهاللي، مجدي، نظرات في التربية الإيمانية، القاهرة، دار اقرأ، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١١٧.

(٢) قطب، محمد، ركائز الإيمان، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٣٩٤.

أثر حاسم في منهج الحياة شعوراً وسلوكاً. والميزان في يد المصدق بيوم الدين غير الميزان في يد المكذب بهذا اليوم المستريب فيه. ميزان الحياة والقيام والأعمال والأحداث. المصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا، ويقبل الأحداث خبيراً وشراً وفي حسابه أنها مقدمات، نتائجها هناك، فيضيف إليها النتائج المرتقبة حين يزنها ويقومها^(١). وكلما زاد تطلع المؤمن إلى اليوم الآخر وشوقه لما أعد الله لعباده المتقين في الجنة، كان أكثر مسارعة إلى العمل الصالح ومضاعفة الجهد في المسابقة إلى الخيرات، وقد قال تعالى مبشراً عباده المسارعين إلى الطاعة بالجزاء العظيم في الجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وبهذا يشدّ همة المؤمن ويبادر إلى كل عمل يقربه من الله سبحانه ثقةً بوعده. والعمل الصالح الذي يدخل الجنة هو الذي يكون خالصاً في نيته لله عز وجل ابتغاء مرضاته^(٢). قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠). ويجب على المؤمن اغتنام الوقت في الحياة الدنيا في الطاعات طمعاً في مرضاة الله تعالى ورجته، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَىٰ اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقد أوضحت الآيات الكريمة أهمية العمل الصالح عند عرض مشاهد من يوم القيامة يتمنى فيه الإنسان العودة إلى الدنيا ليعمل الصالحات، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ

(١) فايز، أحمد، اليوم بالآخر في ظلال القرآن، ص ٢٠.

(٢) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، ص ١٠٩.

أَلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا

وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠). ويقول القرطبي في تفسيره لقوله

تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: يريد أشهد إن لا إله إلا الله. ﴿فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾

أي فيما ضيعت وتركت العمل به من الطاعات. وقيل: فيما تركت من المال فأتصدق^(١). فلا بد إن

تحرص النفس في الدنيا على عمل الطاعات باعتبارها مزرعة الآخرة.

وتستعرض الباحثة فيما يأتي خطوط عريضة يُعول عليها في تزكية الجانب العملي في ضوء

الاعتقاد باليوم الآخر.

أولاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تزكية العلاقات الإنسانية

إن تزكية الجانب العملي تقتضي التحرك التزكوي داخل العلاقات الإنسانية، فيقتضي الأمر

القيام بالمأمورات تجاه الذات والابتعاد عن المنهيات والمنكرات، فضلاً عن التحرك داخل الدائرة

الاجتماعية عبر قيام النفس بواجباتها ومسؤولياتها الأسرية والمجتمعية التي ترفع من مكانتها يوم

القيامة.

وتتضمن عملية تزكية العلاقات الإنسانية حسب مستويات الوقاية العملية تزكية المستويات

الآتية:

١. تزكية الذات بوقاية النفس من النار بالأعمال الصالحة؛ بالشروع في التزكية العملية للذات

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، ووقاية

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٥٠.

النفس من النار تكون بالأعمال الصالحة وطاعة الله تعالى والانتهاز عما نهى عنه الله تعالى، وهذا مدلول التقوى.

فتزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية تقتضي التحرك الحكيم داخل الدائرة الذاتية، وذلك بتحلية النفس بالطاعات والأعمال الصالحة، وتخليه النفس بتطهيرها من الأعمال السيئة والمعاصي.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١﴾ (المؤمنون: ١ - ١١)، قال ابن كثير

في تفسيره للآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون

المتصفون بهذه الأوصاف، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أي: خائفون ساكنون، والخشوع

في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها. وقال:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي: عن الباطل، وهو يشمل: الشرك، والمعاصي، وما لا فائدة

فيه من الأقوال والأفعال. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: الأكثرون على إنَّ المراد بالزكاة

هاهنا زكاة الأموال، وقد يحتمل إنَّ يكون المراد بالزكاة هاهنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، وقد

يحتمل إنَّ يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس،

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي: قد حفظوا فروجهم من الحرام. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ

هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: إذا أوتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو

عاقدوا أوفوا بذلك، وقوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يواظبون عليها في مواقيتها.
 وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ فمن مجاهد قال: ما من عبد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار^(١). ويظهر من تفسير الآيات السابقة إنَّ التزكية على المستوى الفردي تتضمن عملية تخلية من النطق بالشرك أو المعاصي، والابتعاد عن المحرمات بالابتعاد عن الزنا. وكذلك تتضمن التزكية على المستوى الفردي التحلية بإقامة الصلوات على الوجه الأمثل وكذلك أداء الزكاة وحفظ الفروج بالزواج وأداء الأمانة والوفاء بالعهود: وكل هذه الأعمال تبني بيت الإنسان في الجنة وتهدم بيته في النار.

ومن هنا كان لا بد من توظيف عمر الإنسان الفاني توصلًا إلى عمر خالد باقي يقول صاحب رسائل النور: "أيها الناس أتريدون تحويل عمركم القصير الفاني إلى عمرٍ باقٍ طويلٍ مديد، بل مثمرٍ بالمغانم والمنافع؟ وما دام الجواب: إنَّ نعم. وهو مقتضى الإنسانية، فاصرفوا إذن عمركم في سبيل الباقي، لأنَّ أيما شيء يتوجه إلى الباقي ينل من تجليات بقائه"^(٢). فيجب على الإنسان إنَّ يتحرك لتزكية نفسه على المستوى الفردي من خلال توظيف عمره بالأعمال الصالحة في الدنيا لنيل الجزاء الخالد في الجنة.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٤٦١-٤٦٤.

(٢) النورسي، سعيد، اللمعان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل، ٢٠٠٧م، ط ١، ص ٢٤.

٢. تزكية العلاقات الأسرية؛ وذلك بتزكية العلاقة مع الذرية، وتزكية العلاقة مع الوالدين،

وتزكية العلاقة بين الأزواج. وهي علاقة قائمة على التأثر والتأثير.

وإن تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية تقتضي التحرك التزكوي داخل العلاقات الاجتماعية، فيقتضي الأمر القيام بالمأمورات تجاه الوالدين، والأخوة، والأزواج، والأبناء في الحياة الدنيا، وتفصيل ذلك:

- تزكية العلاقة على مستوى الوالدين والأخوة، ويكون بالإعانة لهم وتأدية واجبهم عليه بالخير،

قال تعالى: ﴿مَتَعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ لَكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

﴿٣٥﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

مُتْسِفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٣٦﴾﴾ (عبس: ٣٢ - ٤٠)، قال

الزمخشري: وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب،

كأنه قال: يفر من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبه وبنيه، وقيل: يفر منهم حذراً من

مطالبتهم بالتبعات: يقول الأخ: لم تواسني بمالك، والأبوين قصرت في برنا، والصاحبة:

أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت، والبنون: لم تعلمنا ولم ترشدنا^(١).

- تزكية العلاقة على مستوى الأزواج: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم: ٦). فوقاية الأهل من النار يكون بأمرهم بالخير ونهيهم عن الشر،

وحثهم على التقوى.

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ص ٧٠٥ - ٧٠٦.

وإن بناء الأسرة على أساس التقوى واجب على كل مؤمن، فلا بد إن تقوم الأسرة على أساس اختيار سليمة يكون الدين والأخلاق أساس في اختيار كل من الزوجين للآخر، وعلى هذا الأساس تقع المسؤولية والحساب في الآخرة.

- تزكية العلاقة بالأبناء، ووقايتهم من النار وذلك بتعليمهم الخير والتقوى وتأديبهم ورعايتهم وإعطائهم حقوقهم. يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (ابراهيم: ٤٠). قال ابن كثير: أي محافظاً عليها مقيماً لحدودها (ومن ذريتي) أي: واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة^(١). فمن واجب المؤمن رعاية الأبناء وتعليمهم أمور الدين وأهمها الصلاة والمحافظة عليها.

ومن ذلك أيضاً الوعد بالجنة لمن يربي البنات ويرعاهن ويحافظ عليهن، ويؤدبهن ويعلمهن الخير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَانِهِنَّ ، وَضَرَائِهِنَّ ، وَسَرَائِهِنَّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَوْ ثِنْتَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَوْ اثْنَتَانِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَوْ وَاحِدَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَوْ وَاحِدَةً)^(٢). ويظهر في الحديث أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح الأسرة، وبناء العلاقة مع الأبناء على أساس تقوى الله ومحبة رضوانه والفوز بجنته.

٣. تزكية العلاقة مع المؤمنين عامة: أي الأقارب وعامة المؤمنين: وهي علاقة تجاذبية قائمة على التأثير والتأثير، فإن للبيئة الاجتماعية دوراً رئيساً في تشكيل السلوك الإنساني، فالنفس تتأثر تلقائياً بما يحيط بها من أفكار وأخلاق وسلوكات، وهذا يؤثر في تزكيتها. ومن هنا يجب

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥١٤.

(٢) حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، القاهرة، مؤسسة قرطبة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (٨٤٠٦)، ج ٢، ص ٣٣٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

التركيز على التأثير السيئ للبيئة المحيطة من خلال تقوية أواصر الإيمان في النفوس. وكذلك

علاج مظاهر الفساد والانحراف والمنكرات، وذلك بتطافر الجهود من الجماعة المسلمة.

وتقوم تزكية العلاقة مع المؤمنين عامة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على عدة أمور منها:

١. أساس تزكية العلاقة مع المؤمنين تقوم على مراعاة أوامر الله عز وجل، وتنزيه الأواصر

الاجتماعية بما تنتظمه من عهود مالية أو معنوية عن أي انحراف عن شرع الله تعالى. قال

تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ

بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ((آل عمران: ٧٦ - ٧٧). يقول

قطب في تفسيره للآيات: إنَّ الوفاء بالعهد مرتبط بالتقوى، فليس مسأله مصلحة إنما هو مسألة

تعامل مع الله أبداً دونما نظر إلى من يتعامل معه. ومن ثم الذين يخيسون بالعهد ويغدرون

بالأمانة (يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) فالعلاقة في هذا بينهم وبين الله قبل إن

تكون بينهم وبين الناس، ومن هنا فلا نصيب لهم في الآخرة عنده إن كانوا يبيعون بالغدر

والنكث بالعهد ثمناً قليلاً هو هذه المصالح الدنيوية الزهيدة، ولا رعاية لهم في الآخرة جزاء

استهانتهم بعهده- وهو عهدهم مع الناس- في الدنيا^(١). ويظهر من كلام قطب إن أساس

تزكية العلاقات الإنسانية مع المؤمنين مراعاة أوامر الله تعالى فمن راعاها وفاءً بعهد الله

وتقواه أكرمه الله تعالى في الآخرة.

٢. تزكية سلوكات وتصرفات الفرد تجاه الآخرين عبر التخلية والتولية وذلك:

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص ٤١٨.

- بتطهير النفس عبر التخلية عن السلوكات السيئة وذلك من خلال ما يأتي:

• الحذر من إيذاء الآخرين:

"المؤمن بالله واليوم الآخر يخشى من الإساءة إلى إخوانه المسلمين، أو التسبب في إيذائهم، ويتجنب كل ما فيه اعتداء عليهم، في أموالهم وأمراضهم وأنفسهم، لأنه يعلم إن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وأنه إن نجا من العقاب الدنيوي وتغلب على غيره بقوله ودهائه، فلن ينجو من العقاب في الآخرة، حيث يتكاثر حوله الخصوم حتى يصبح مفلساً ويهلك مع الهالكين"^(١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ «. قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ». لَفْظُ حَدِيثِهِمَا سَوَاءٌ إِلَّا أَنْ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبْدِانَ : « فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ ثُنَيْبَةَ بِنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ)^(٢).

فالمؤمن باليوم الآخر لا يُسيء لغيره، ولا يتعالى عليهم، ولا يعاملهم بالغلظة والقسوة، بل يتسم بالرحمة والرفق وإغاثة الملهوف ونصرة الضعيف. وهكذا تتصل الحياة الدنيا بالآخرة.

• التحذير من الاعتداء على حقوق الآخرين، فعن النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَخَذَ شَيْئًا

مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ)^(٣)، والشاهد في الحديث حث

(١) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفوس، ص ١١١.

(٢) البيهقي، السنن الكبرى، باب تحريم الغضب وأخذ أموال، حديث رقم (١١٨٣٨)، ج ٦، ص ٩٣.

(٣) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في سبع أرضين، حديث رقم (٣١٩٨)، ج ٤، ص ١٣٠.

الفرد على الحذر والخوف من الاعتداء على حقوق الآخرين بغضب شيء من الأرض وربط ذلك باليوم الآخر، ليكون أنفع في الردع.

• التحذير من الطغيان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ

الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧ - ٣٩)، فالطغيان يكون في اغتصاب حقوق الآخرين والتسلط

عليهم وسلبهم حرياتهم وحقوقهم، وهذا لا يكون ممن يؤمن بالله واليوم الآخر.

- والتحلية للنفس بتعويدها على السلوكات الصحيحة تجاه الآخرين، من خلال:

• مساعدة الآخرين والسعي في حوائجهم وسد خلاتهم، وتفريج كرباتهم، فعن عبد الله بن عمر

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ

كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً

مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١). فمن القربات التي

تجزى عليها المؤمن يوم القيامة الإحسان إلى الآخرين، وفي هذا تزكية للعلاقات بين

المؤمنين.

• الصحبة الصالحة، وتجنب رفقاء السوء، والعناية باختيار الأصدقاء ولذلك لما لها من الأثر

الكبير في تزكية النفوس وبناء الشخصيات. والصحبة الصالحة طريق إلى الفوز بالآخرة،

وذلك لما لها من أثر كبير في تزكية النفس وصلاحها، يقول الله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزخرف: ٦٧)، فالعلاقات الإنسانية مع الآخرين

التي تقوم على أساس التقوى هي العلاقات الناجحة التي يكون لها الفلاح في الدنيا والآخرة.

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب لا يظلم المسلم المسلم، حديث رقم

(٢٤٤٢)، ج ٣، ص ١٦٨.

• استثمار العلم النافع ونشره بين الناس، وعدم كتمان ما أنزل الله من الحق. وضرورة الاستجابة

إلى التساؤلات الشرعية الصادرة عن الدائرة الاجتماعية.

٣. توجيه العلاقات الاجتماعية نحو الالتزام من خلال الإيمان بالآخرة، وذلك بإقامة العلاقات بين

الناس على أسس من المودة والرحمة والتعاون، فلا يظلم أحداً، ولا يطغى أحد على أحد. فنتجلى

الآثار الإيجابية للإيمان باليوم الآخر. وإلا فإنَّ الحقد والأنانية والظلم والرشوة والطغيان سيتولى

على أفراد المجتمع. قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ

إِلَى جَارِهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ)^(١). فنجد إنَّ الحديث يربط بين الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وبين

الأعمال الصالحة التي تقيم علاقات سليمة بين الناس.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهي من المفاهيم التي تدل على تغيير السلوك، والأمر

بالمعروف اسم جامع لكل خير، ومما يحبه الله تعالى ويرضاه، والمنكر اسم جامع لكل ما

يبغضه الله سبحانه وتعالى. وأمر الإنسان بسلوك يرضى عنه الله تعالى أمر بالمعروف، وهو

من واجبات المؤمن تجاه الآخرين في المجتمع لتغيير السلوكات غير المرغوبة^(٢). قال تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ

فِي الْخَيْرَاتِ ۗ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ (ال عمران: ١١٤ - ١١٥). فالآيات تربط بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، حديث رقم

(١٨٥)، ج ١، ص ٥٠.

(٢) الخوادة، محمود، علم النفس الإسلامي، ص ٢٨٩-٢٩٠.

القيام بواجب المنكر لتزكية العلائق مع الآخرين داخل المجتمع. وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنَكُمُ

أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (ال

عمران: ١٠٤). فالذين يدعون إلى الخير في مجتمعاتهم ويأمرون الآخرين بالمعروف وينهون

عن المنكر فأولئك هم المفلحون في الدنيا والآخرة. فإنّ المؤمن بالآخرة يدفعه إيمانه إلى تزكية

علاقته بالآخرين من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: تزكية الجانب العملي في النفس الإنسانية عبر تزكية أعضاء الجسم في ضوء

الاعتقاد باليوم الآخر (تزكية الجوارح):

إنّ تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تزكية الجسم هي تزكية لكل عضو من

أعضائه. ويكون ذلك بعملية التخلية والتطهير من كل المحرمات والمعاصي والمكروهات، وعملية

التحلية تكون بالطاعات والأعمال الصالحة، وإنّ تزكية الجسم تقتضي تزكية جميع أعضائه ومكوناته،

ومن ذلك ما يأتي:

١. تزكية البصر:

تكون تزكية البصر بتخليته وتطهيره من فضول النظر، وهو إطلاقه بالنظر إلى الشيء بملء

العين، والنظر إلى ما لا يحل النظر إليه من المحرمات والعورات، وهو على عكس غض البصر^(١)،

والغض هو ما أمر الله عز وجل به. فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ

ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠) فيجب على المؤمن إن يزكي بصره

(١) فريد، أحمد، تزكية النفوس، ص ٢٨.

بغض النظر والابتعاد عن فضول النظر، لأنها من مداخل الشيطان على النفس باتباع الهوى والغفلة. ومن ترك فضول النظر عوضه الله خيراً يلقاه في الدنيا والآخرة.

ويتكرر التنديد في القرآن الكريم للذين لا يحسنون استعمال قدراتهم البصرية في تلقي العلم والمعرفة بطريقة واعية وصحيحة، قادتهم إلى الكفر، توعدهم بالعذاب في جهنم، فقال تعالى:

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ (الكهف: ١٠٠-١٠١)، فالإنسان يجب إنَّ يستخدم بصره في التأمل في ملكوت الله ومظاهر عظمته، ليستدل بها على توحيدهِ ومعرفته وحكمته، لتصل بذلك إلى الإيمان بوجوده وقدرته المطلقة في هذا الكون العظيم.

٢. تزكية السمع:

يعد السمع من أدوات المعرفة والعلم، التي يجب استخدامها في الوصول إلى الطريق الصحيح واتباع الحق، وإن تزكية السمع يكون بإحسان استخدام القدرات السمعية لتزكية النفس بالمعرفة والفهم والوعي لأركان العقيدة ومقتضياتها، وذلك لأنَّ تزكية مهارات الاستماع إحدى مسؤوليات منهاج التزكية، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء: ٣٦)، فالإنسان سوف يحاسب يوم القيامة عن استخدام مهاراته السمعية، وكيف استخدمها، في الاستماع إلى الحق أم ضيع مسؤوليته في استخدامها بأن أتلّفها في طريق الباطل.

ومن تزكية السمع توجيه مهارات الاستماع إلى مكامن العلم والمعرفة، والاستماع إلى كل ما فيه طاعة من أذان وقرآن وسماع لأهل الحق والمعرفة. والابتعاد عن سماع المنكرات والملهيات

والمعازف. وعدم استخدام السمع في الاستماع لأهل الباطل والضلالات والكفر؛ وذلك لأن الإنسان سوف يحاسب عن استخدامه للقدرات السمعية.

٣. تزكية اللسان وتشمل على ما يأتي:

- (التخلية): أي تزكية اللسان بتطهيره عن المحرمات والمعاصي والمكروهات، ومن ذلك:
- المحرمات: كالنطق بكل ما يبغضه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والنطق بالبدع، وكالكذب قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿النور: ٢٣ - ٢٤﴾، وسب المسلم وأذاه بكل قول، والكذب وشهادة الزور، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (هَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَانِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)^(١)، فإنه يترتب على الكلام المحرم الجزاء والعقوبة الشديدة في النار، فإن من يزرع بقوله وعمله السيئات، فإنه سيحصد ما زرع يوم القيامة.
- وكذلك فإنه يجب على المؤمن الابتعاد عن الغيبة والنميمة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة نمام)^(٢)، وكذلك قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ. قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ. قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ غَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ)^(٣).

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان، حديث رقم (٣٩٧٣)، ج ٥، ص ١١٦.

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب بيان غلط تحريم النميمة، حديث (٣٠٣)، ص ٧٠.

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب تحريم الغيبة، حديث (٦٧٥٨)، ج ٨، ص ٢١.

- المكروهات: كفضول الكلام، واللغو والقليل والقال، وكل ما تركه خير من الكلام به؟. فقال

صلى الله عليه وسلم: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)^(١).

- (التحلية): أي تزكية اللسان بالعبادات والأقوال الصالحة ومن ذلك:

• عبادات اللسان: كالنطق بالشهادتين، والتلفظ بالأذكار الواجبة في الصلوات، والعبادات،

والتسبيح، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الشهادة المتعينة، وتعليم

الجاهل، وصدق الحديث^(٢). قال صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي

إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ

اللَّهِ صِدْقًا وَإِيَّائِكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكُذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا

يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكُذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)^(٣). فالكلام بصدق والتزام الحق

والحقيقة وقصد الخير، مما يرتقي بالنفوس ويزكيها، وكان لها الجزاء بالجنة.

• المستحبات: مثل تلاوة القرآن ودوام الذكر لله تعالى، ونشر العلم النافع ومذاكرته، وكذلك

طيب الكلام.

٤. تزكية اليد والقدم والبطن: ويكون ذلك بتزكية اليد إن تحرك بالعبادة والصدقة، وتصافح بمحبة،

وتمسح على يد رأس الصغير برحمة، وتكتب كل ما هو حق وخير. وتبتعد عن أذى الآخرين

بأي طريقة تؤذيهم سواء مادية (سرقة، أو إيذاء جسدي للآخرين)، أو تسبب اليد في إيذاء بكتابة

أو نشر أي معلومة تضر بالآخرين وتؤذيهم. وكذلك تزكية القدم بأن تسعى إلى كل ما فيه خير

طاعة، ولا تمشي إلى كل ما فيه معصية وإثم.

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،

حديث رقم (٦٠١٨)، ج ٨، ص ١٣.

(٢) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ص ١٣٥.

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب قبح الكذب وحسن الصدق، حديث (٦٨٠٥)، ج ٨، ص ٢٩.

ومن تزكية الجسم القيام بالطاعات، وأهمها الصلاة، بتأديتها على وجهها، باستكمال متطلبات الوقوف والركوع والسجود والجلوس، وكذلك أعمال الحج والعمرة بأداء مناسكها وإتقان الواجبات العملية التي يؤديها الجسم وجوارحه، وهي الصورة الظاهرة للعمل الصالح، ووجوب إتقان هذا العمل وفق أحكام الشريعة^(١).

وتزكية البطن من أسر الشهوات بعدم الإسراف والمبالغة في الطعام والشراب، "وطغيان شهوة البطن لا يعني كثرة الأكل فحسب، لأن كثرة الأكل عرض ظاهري لهذا المرض. وإنما حقيقة المرض في شره النفس وماديتها وتحول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التي تسيرها شهواتها"^(٢). وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢). فتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية للبدن على الطاعة والأعمال الصالحة، إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله ويصبح شغله الشاغل.

وإن طغيان شهوة البطن حتى تتملك القلوب وتفسدها وتضر بالجسد، فعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن. بحسب ابن آدم أكلاّت يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فتئت ليطعامه وتئت لشرابه وتئت لنفسه)^(٣).

ويقول ابن القيم: "من مفسدات القلب الطعام، والمفسد له من ذلك نوعان: أحدهما ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات، والثاني ما يفسده بقدره وتعدي حدّه كالإسراف في الحلال والشبع المفرط،

(١) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا، ص ١،٣ - ١،٤.

(٢) كرزون، أنس، أمراض النفس، ص ١١٥.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، حديث (٢٣٨٠)، ج ٤، ص ٥٩٠،

حديث حسن صحيح.

فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بزواله تصرفها ووقاية ضررها والتأذي بثقلها، وقويَ عليها موادُّ الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسدُّ عليه طرقه والشبع يطرقها ويوسّعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخر كثيراً^(١). فنتائج طغيان شهوة البطن وخيمة، فهي تقسي القلوب، وتحرك داعي الشر وتوقع صاحبها في المعاصي.

ثالثاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تزكية المال في ضوء الاعتقاد باليوم

الآخر

إن تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية، تقتضي تزكية المال، من حيث وسائل اكتسابه، وطرق إنفاقه، وتأدية زكاته، وهو أحد مجالات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وذلك لتأثير اليوم الآخر على الإنفاق في وجوه الخير وعدم البخل، فالمؤمن يستشعر ساعة الموت وأهوال اليوم الآخر، ويدرك قيمة المال ومبلغ انتفاعه به والأجر العظيم في إنفاقه. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾﴾ (الليل: ٥ - ١١)، وبذلك يدرك المؤمن باليوم الآخر إن ماله سينفعه يوم القيامة إذا تصدق وأنفق في سبيل طاعة الله تعالى ورضوانه.

وقد أدت عقيدة الإيمان باليوم الآخر إلى تحول نفسي عميق عند المسلمين الصادقين الأوائل فآثروا تحمل المشاق وأحبوا الاستشهاد في سبيل الله، واندفعوا للبذل والعطاء، واستعلت نفوسهم على كل قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان، واثقين بأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم التي هي

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج ١، ص ٣٦٩.

أعز ما عند الإنسان، فبذلوا لينالوا جنة عرضها السموات والأرض، ويظفروا بالريح العظيم^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقَّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١)، فبذل النفس والمال في سبيل الله تعالى، سبب في الريح والفوز العظيم في الآخرة

حيث يكون العوض والجزاء. وبذلك تنزكي النفس عن البخل والأنانية والإفراط في حب المال. وقد دعت الآيات الكريمة إلى تزكية المال بأداء حق الله تعالى فيه وذلك بإنفاقه في وجوه الخير، وربطت ذلك بقاء الله تعالى واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا

رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، يقول أبو بكر الجزائري: إن معنى هذا النداء هو إن الله تبارك وتعالى، نادى عباده المؤمنين به وبلغائه. ناداهم بعنوان الإيمان، ليأمرهم بالإنفاق أي إنفاق المال حيث تعين الإنفاق، وذلك كالجهد في سبيل الله، وسد حاجة الفقراء والمساكين، وكإعداد العدة للجهد، وكالإنفاق في مداواة المريض، وما إلى ذلك من مواطن الإنفاق في سبيل الله تعالى^(٢). وكذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تُهَيِّجُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ٩ - ١٠)، وقد أشارت الآيات الكريمة إلى دعوة

(١) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص ٢١.

المؤمنين إلى الإنفاق في وجوه الخير من دلالات الصلاح وزكاة النفوس التي تتال الفوز والأجر العظيم في الآخرة.

وكل نفس تؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه يوم القيامة فيتولى سبحانه حسابه وسؤاله، وسوف يسأل عن وسائل اكتسابه للمال وكيفية إنفاقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِي مَا أُفْنَاهُ وَعَنْ عَمَلِهِ فِي مَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جَسَمِهِ فِي مَا أَبْلَاهُ)^(١).

وإن مسؤولية الإنسان عن ماله، وحق الله تعالى فيه، تقتضي البذل والإنفاق في سبيل الله تعالى في الخيرات. فعن أبي ذر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الْمَكْثَرِينَ هُمْ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَفَحَّ فِيهِ يَمِينُهُ وَشِمَالُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا)^(٢). وكذلك فإن تزكية المال تستوجب تطهير المال في وسائل إكتسابه من طرق حرام وكذلك إنفاقه، فيحرم عليه إنفاقه في معصية الله تعالى، وذلك كالإنفاق في القمار والباطل، وكالإنفاق في أكل وشرب ولبس الحرام، وكالإنفاق في الأكل والشرب.

رابعاً: تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر (التخلية) بالتطهير من المعاصي والذنوب و(التحلية) بالتحلي بالفضائل والعبادات، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر:

المراد من تزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية، بالتخلية تطهيرها من نزعات الشر والإثم وإزالة حظ الشيطان منها، ومتى تحصلت هذه التخلية عدت النفس سالحة لغرس فضائل الأخلاق

(١) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، حديث (٢٦٠٢)، ج ٩، ص ٢٦٨، حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب المكثرون هم المقولون، حديث (٦٤٤٣)، ج ٨، ص ١١٦.

فيها وتهذيب طباعها بالعبادات، واستقامة سلوك الإنسان الداخلي والخارجي، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وسيتم عرض ذلك فيما يأتي:

١. التخلي عن الذنوب والمعاصي:

"والذنب يشمل كل عصيان لأمر الله تعالى في ترك أو فعل"^(١). ومن الذنوب، في القلب: الشرك بالله والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله، في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وفي البطن: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. وفي الفرج: الزنا، واللواط، وفي البدن: القتل والسرقة. وفي الرجلين: الفرار من الزحف. وعقوق الوالدين يتعلق بجميع الجسد^(٢).

والذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾^(١٤) (المطففين: ١٤). فالذنوب والمعاصي إذا تكررت تسبب إغلاق البصيرة عن الحق والانقياد للهوى ويضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة.

وإن الاعتقاد بالآخرة، والخشية والإشغاف من العذاب الأليم يستلزم الطاعة والالتزام من المؤمن بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي واتباع الشهوات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٥) (الأنعام: ١٥). فالاعتقاد باليوم الآخر يقتضي من المسلم إن يقوم بلازم هذا الإقرار من الطاعة الكاملة لله تعالى، والتي لا تتم عند أكثر الناس بمجرد الإيمان بالله تعالى، وإنما بالإيمان الراسخ بأن هناك بعثاً وحساباً وجزاء من الثواب والعقاب، فيتجه المؤمن على ضوء

(١) حامد، سناء بخيت، تزكية النفس وأثرها في حياة المسلم، ص ٨.

(٢) حامد، سناء بخيت، تزكية النفس وأثرها في حياة المسلم، ص ١٤.

ذلك إلى الأعمال التي تقربه من الله^(١). فالقيم الإنسانية العليا تعد عاملاً مساعداً في تهذيب النفس من الرذائل والمعاصي.

فيجب على المؤمن الابتعاد عن الذنوب والمعاصي البدنية: كالقتل والسرقة، والزنا وشرب الخمر ولعب الميسر، والغيبة والنميمة، وما شابه ذلك من أعمال يكتسب صاحبها الإثم والعذاب الأليم في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٣٢ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ٣٣ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ٣٤ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٣٥ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ٣٧ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨﴾ (الإسراء: ٣١ - ٣٩). فالآيات الكريمة تزجر وتحذر من ارتكاب الرذائل والمعاصي الضارة بالأبدان والأموال والأعراض، واتباع الهوى والشيطان، لأن فيه بُعداً عن تزكية النفس، بندسيتها بالسوء والعاقبة الوخيمة في الدنيا والآخرة.

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، ص ٦٤ - ٦٥.

٢. التحلي بالفضائل والعبادات

أي إن تتحلى النفس بالأخلاق الفاضلة والالتزام بالعبادات والثبات عليها في الحياة الدنيا. وتعد العبادات تجسيد للفضائل في النفس.

يحرص المؤمن بالله واليوم الآخر في دنياه على تزكية نفسه تأميناً لحياته الآخروية؛ وذلك ليخرج من الدنيا متزوداً لآخرته. وتنمو النفس تدريجياً بواسطة الفضائل ومكارم الأخلاق من خلال العبادات التي تترك أثراً في النفس. وكل هذه الأمور يُسير روح الإنسان في مدارج الترقى والسمو، فيظهر له حياة جديدة في عالم الآخرة، تدفعه إلى الصلاح والتزكي.

وإن العبادة هي الطريق المؤدي إلى تزكية النفس، لأنها تربط القلب بالله تعالى وتذكره به، وبذلك تحصل التقوى للقلوب، ومن اتقى وخاف ربه ولقاه، ابتعد عن المحرمات، وفعل الخيرات.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٩ - ١٠).

والمقصود من العبادة أداء حق الله سبحانه ، والخضوع بين يديه، وإظهار الذل والافتقار له، وامتنال أمره سبحانه فيما تعبد به خلقه، وهذه هي علة العبادات كلها، ثم تأتي تزكية النفس واستقامة الأخلاق ثمرة لازمة للعبادة^(١). ولا يقتصر النظر إلى العبادة بمفهومها الخاص فحسب، بل يتعداه لتصبح العبادة شاملة لمختلف مناحي الحياة، فكل عمل وحركة وسكنة يقوم بها الإنسان، تصبح عبادة وقربة ووسيلة لتزكية النفس إذا ما اجتمعت فيها النية الخالصة والموافقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢). تعد عبادة، وهي تشمل جميع الأعمال الصالحة الباطنة والظاهرة. "قالعبادة بمفهومها

(١) كرزون، أنس، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص ١١٥.

(٢) العلواني، رقية، منهج ابن القيم الجوزية في تزكية النفس، ص ١٩٠.

العام تعني امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه في كل شأن من شؤون الحياة، وهذا أمر لا بد منه لتحقيق معنى العبودية لله تعالى^(١).

وتشكل العبادات التزاماً بالمنهج الإلهي، الذي حدد معالمه القرآن الكريم، وهو السبيل الذي يضمن سعادة البشر كلهم. وإن عبادة الله سبحانه أساسها التوحيد، وهذا يستلزم من الإنسان ألا يعبد أحداً سواه، ولا يرجو غيره، ولا يستعين إلا به. وهذه تربية روحية تخلق في نفس المسلم العزة والكرامة وتجعله لا يذل لأحد، أو يضعف أمامه بسبب حاجة. ومن ثم يكون عزيزاً رافضاً للذل والمهانة^(٢). ويقول ابن القيم: "أصل سعادة العبد وفلاحه في معنى قول العبد (إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم) فأسعد الخلق أهل العبادة والاستعانة والهداية إلى المطلوب وأشقاهم من عدم الأمور الثلاثة"^(٣).

والاعتقاد بالآخرة يستلزم الطاعة والعبودية لله تعالى، والتي تقتضي إقامة الفرائض وتطبيق شريعة الله تعالى. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩). والخوف والخشية من عذاب الله والطمع في ثوابه تقتضي الالتزام بأداء العبادات والفرائض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٣﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

(١) القطان، مناع بن خليل، أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة، دار الملك عبد العزيز، مجلد ٥، عدد ٤، ١٩٨٠م، ص ٩.

(٢) قريع، محمد عياد، دور العبادات في صياغة الذات الإنسانية، مؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، مجلد ١٣، عدد ٣٧، ٢٠١٢م، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، فصل عاقبة الإخلاص لله، ج ٢، ص ١٧٩.

ويدخل في تزكية الجانب العملي بالقيام بالأعمال الصالحة، العبادات المفروضة التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ويحرص المؤمن على الفرائض كأساس يرتكز عليه العمل، ويكون التقرب بالنوافل أيضاً، وهذا الباب واسع، فينبغي على المسلم إنَّ يجتهد في ذلك وفق استطاعته من صلاة وصيام وحج وعمرة وصدقة وقراءة قرآن وذكر، وهذا هو طريق طهارة النفوس وتزكيتها.

وعلى رؤوس العبادات، تأتي أهمية العبادات في تزكية النفس، وهي كما يأتي:

١. الصلاة:

الصلاة صلة عامودية مع الله هدفها قطع بقية الصلوات الفوقية التي تفرزها حالات الضعف الإنساني، وثمرتها صيانة قوى النفس. فالصلاة تزود المؤمن بالمناعة اللازمة من أمراض النفوس، للاستمرار على المنهج السلوكي المستقيم. فالذي يقيم الصلاة يترجم معانيها في تطبيقات وواقع الحياة، وذلك من خلال استرجاع ما عاهد الله عليه في الصلاة من قيام بعبادته، والاستعانة به والاستمرار على صراطه المستقيم^(١). وحذرت الآيات المصلين من تأدية الصلاة والغفلة عن إقامة معانيها في واقع الحياة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤-٥). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الساهي: (هو الذي لم يَزُجْ خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه)^(٢). فالصلاة لها تأثير عملي على شخصية المسلم.

وتتجلى في كل أفعال الصلاة العبودية لله تعالى سبحانه، وإقبال العبد على ربه، وتوحيده وتقوية الإيمان به أساساً للتزكية، وهذه أعظم ثمرة من ثمرات الصلاة، وهي التي تسيّر للعبد طريق حياته وتمنحه طهارة القلب وطمأنينة النفس^(٣). فالصلاة علم وميزان على تزكية النفس، فهي وسيلة

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ٢٤٦-٢٤٩.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٤٩٥.

(٣) كرزون، أنس، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص ١٤٢.

وغاية بأن واحد، فهي تعميق لمعاني العبودية والتوحيد والشكر، وهي ذكر وقيام وركوع وسجود وقعود، فهي إقامة للعبادة في الهيئات الرئيسة لوضع الجسد، وإقامتها قطع لدابر الكبر والتمرد على الله، واعتراف لله بالربوبية والتدبير، وإقامتها على كمالها وتامها قطع لدابر العجب والغرور بل قطع لدابر المنكر كله والفحشاء كلها، قال تعالى: ﴿أَبَيْتَكُمْ لِتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٩). وإنما تكون الصلاة كذلك إذا أقيمت بأركانها وسننها وتحقق صاحبها بأدب الظاهر والباطن، ومن آداب الظاهر أداؤها كاملة بالجوارح، ومن آداب الباطن الخشوع فيها؛ والخشوع هو الذي يجعل للصلاة الدور الأكبر في التطهير، والدور الأكبر في التخلق، وتزكية النفس تدور حول هذا^(١).

والصلاة تعتبر لب العبادة وأهم أشكالها، وأقواها وجوباً على المسلم وأكثرها ممارسة من قبله، تهدف إلى تحقيق الاستقامة وتجنب ارتكاب الأخطاء والآثام، وهي تطهير للعبد من الخطايا^(٢). فالمقيم للصلاة والمتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستتير قلبه وينتظر فؤاده ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل رغبته في الشر، فالحضور القلبي في الصلاة يوجب للعبد في قلبه داعياً يدعو إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، فهذه هي الصلاة التي يستعين بها العبد على كل شيء^(٣).

(١) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، ص ٣٣.

(٢) كريمة، أحمد محمود، وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، مجلد ٣٦، عدد ٤٠٤، ١٩٩٩م، ص ٣٦.

(٣) زريوا، جميل يوسف، مقاصد الشريعة الجزئية في كتاب العبادات، مجلة البحوث الإسلامية، مجلد ٢، عدد ٦، ٢٠١٦م، ص ١٩.

والعبادة تحرر الإنسان من القيود، فهي تحرر من وساطة الوسطاء، فالله قريب من الإنسان يدعو به بلا وساطة، وكذلك تحرر من الشكليات، فالعبرة من العبادة في إخلاص النية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَوُضُّوا الزُّكُوتَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥). لذا فإن المسلم في كل ركعة من ركعات صلاته يردد إعلان الإخلاص في عبادة الله وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ومن التحرر من الشكليات أيضاً إن الصلاة غير مقيدة بمكان معين، فأينما أدرك المسلم وقت الصلاة صلاها. وكذلك من أشكال التحرر من القيود التحرر من العنت والحرج، فالعبادة ميسرة وضمن طاقة الإنسان العادي، ولذلك وجدت العبادات البديلة والمخففة في الأحوال الطارئة، فالوضوء بالماء وبديله التيمم، والصلاة مع الوقوف وعند العجز يصلي المرء قاعداً أو مضطجعا^(١).

والصلوات الخمس في موافقتها من أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض، وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة. والصلوات النوافل التي تزيد من تزكية النفس ومحبة الله عز وجل، مثل صلاة اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ)^(٢). وهي السنن الراتبة التي تؤدي قبل الفرائض وبعدهن. ومن الصلوات النوافل التي تقرب إلى الله وتكفر السيئات، صلاة قيام الليل.

والصلاة من العبادات الإسلامية تجعل المسلم في وعي دائم وشامل بالمكان والزمان وما يرتبط بهما من قيم ومفاهيم تشكل حياة الإنسان، فهي تجعل المسلم مرتبطاً بالزمن حريصاً على الوقت واستثمار ساعات يومه وعمره كله في العمل الصالح؛ لأنَّ (أجله) محدود، وهو (فان) ولا بد

(١) كريمة، أحمد محمود، وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع الإسلامي، ص ٣٧.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، حديث رقم (١٧٢٧)، ج ٢، ص ١٦١.

من إن يكون (الحاضر) أو (الآن) طريقاً (للمستقبل) أو الحياة (الأبدية)، وليس (الزمن) كله صالحاً للصلاة، فثمة أوقات تكرر فيها الصلاة، ولا تتم الصلاة إلا في (المكان) ، و(الأرض) كلها جعلت للمسلم مسجداً وطهوراً، ولا بد من الاتجاه إلى (القبلة) تأكيداً لوحدة الهدف والاتجاه بين المسلمين^(١). وهذا يربي في المسلم استثمار الزمان في العبادة، وذلك لأنَّ أجله محدود في هذه الحياة.

وإن توزيع أوقات الصلاة خلال اليوم يتكامل مع الصلاة نفسها لتحقيق الأهداف التي تعمل من أجلها وهي التزكية، فتعمل الصلاة على تزكية النفس من الهوى والغفلة، والانقطاع عن الله، والانغماس في الشهوات، والواقع في المحرمات، أو الانحباس في التقاليد والعادات والمألوفات. لذلك يبدأ المسلم نهاره بالصلاة ليبدأ احترافه الدنيا، وتوجيهات الله تعالى حاضرة في مخيلته، قائمة في وجدانه^(٢). وكل وقت من أوقاتها يجدد الصلة بالله ويجلو ما علق بعقله من الهوى وبارادته من الشهوات المحرمة.

ونظراً لأهمية الصلاة ودورها في حياة الفرد فقد تضاعفت مثوبتها حتى جعل السير إليها سيراً إلى الجنة، والمحافظة عليها نوراً ونجاة يوم القيامة، وجعل التفريط بها ضللاً وهلاكاً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧١ - ٧٢). قال الرازي: واعلم أنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم

(١) مسعود، عامر، مقاصد العبادات في الإسلام، ص ٨٤.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ٢٥٣.

أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له، فقال: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله. ثم لما ذكر صفات المؤمنين وعدهم بالرحمة المستقبلية وهي ثواب الآخرة، فلذلك قال: سيرحمهم الله وذكر حرف السين للتوكيد والمبالغة^(١). وكذلك فإن العبادات منهج تربوي متكامل يهدف إلى تزكية النفس وترويض الشهوات وتهذيب الغرائز الحيوانية والارتقاء بالعواطف والسمو بالأخلاق وتعديل السلوك، فالصلاة عبادة موكولة بتهذيب نزعة الإنسان الفطرية إلى الحرية المطلقة والانفلات التام من كل القيود، ولا تستقيم الحياة بغير النظام والقانون وكل منهما قيد على حرية الإنسان، ولكنه قيد ضروري لأمن الإنسان وحماية حريته من عدوان الغير، والصلاة تربي في الفرد المسلم حب النظام والشعور بالمسؤولية والالتزام والامتثال للشريعة والقانون، فضلاً عن إن ثمرتها الكبرى هي تكوين الضمير الحي أو (النفس اللوامة) التي تراقب الله في كل الأمور..ومن ثم فهي تكبح هذا الميل الغريزي إلى التحرر من كل القيود فيرتبط السلوك الإنساني بقيم الحلال والحرام ويسير على صراط الله المستقيم، وليس الإنسان كياناً مادياً فحسب، بل أنه روح ترتبط في جوهرها بالخالق عز وجل، وفي الإنسان نزوع فطري لاستشراف الملأ الأعلى والقرب من الله، والصلاة- في صورتها الكاملة- إنما تحقق هذا النزوع، فهي معراج روحي يحقق الاتصال الدائم بالله والقرب من (واسجد واقترب)^(٢).

والصلاة هي أم العبادات، ففيها أركان الإسلام من النطق بالشهادتين والذكر والدعاء، وأداء عبادات الحج والصوم والزكاة، كما أنها تتضمن أركان الإيمان، فهي إذن تحقق للشخصية المسلمة العدل والموازنة الدقيقة، والمعادلة الكاملة لمناحي حياته الروحية والجسدية والنفسية والعقلية، فعند أدائها تكون أعضائه أطرافه كافة مسخرة خاضعة، فلا ينحرف جسده، ولا يتلفت وجهه، ولا يزوغ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) مسعود، عامر، مقاصد العبادات في الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلد ١٥، عدد ١٧٩، ١٩٧٩ م.

بصره، ولا تتوزع روحه، ولا ينشغل قلبه إلا بما يقرأ، وإلا بما يتدبر، وبهذا التوجه يتجمع شمل الشخصية، ويلتئم كيائها، وتتحدد معالم التزامها واستقامتها روحاً وفكراً، وعقلاً وقلباً، فهي بذلك تغدو نوراً مضيئاً، وبرهاناً منيراً في الدنيا، وفوزاً كبيراً ونجاة عظيمة في الآخرة. "فهي تقود إلى التجرد الكامل من الدنيا والتمرد على زخارفها، وتعمق عقيدة التوحيد"^(١). وبذلك تؤثر في بناء الشخصية الإسلامية.

ويختبر الصدق في العبادات بما يتبعها بعد ذلك من معاملة حسنة، أخلاق تسيطر على العلاقات بين الناس^(٢).

ولعل القرآن حين جعل الصلاة من أوصاف المتقين فقال: ﴿الْمَرْءُ الَّذِي كَتَبَ لِرَبِّهِ فِيهِ

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿البقرة: ١-٣﴾، أراد إن يبين السر في هذه التقوى التي هيمنت على سلوك المجتمع المسلم أفراداً وجماعات، أنه بدأ في تعامله نورانياً رحيماً مراقباً لله ناظراً إلى خالقه شاعراً باطلاعه عليه، والسر بعد الإيمان بالله هو إقامة الصلاة، والإقامة هي الاعتدال والمداومة: اعتدال في الأداء، ومداومة على هذا الأداء حتى ترسخ صورة القيم التي يريد القرآن إن يبيثها في كيان المجتمع عن طريق هذه الفريضة، وصيغة الجمع (يقيمون) برهان على صورة التجمع والتعاون والتناسق بين هؤلاء الأظهر في إقرار الصلاة. وفي إقامة الصلاة برهان على صدق الإيمان وعلى تقوى الله، فالصلاة منهج متناسق لتربية الفرد والمجتمع

(١) رسلان، ماجد، الصلاة أم العبادات ومعراج بعد معراج، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، هدي الإسلام، مجلد ٣٧، عدد ٩١٠، ١٩٩٣، ص ٧٨.

(٢) النهدي، منصور، دور العبادات وأثرها في السلوك الإنساني والعلاقات البشرية، الأمن والحياة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مجلد ٥، عدد ٥١، ١٩٨٦م، ص ٤٩.

وإبعاده عن الفحشاء والمنكر، ليصل به إلى قمة السمو الأخلاقي ويعمق الكره للفواحش، ومقته لكافة ما تنكره الأذواق العالية والنفوس المستقيمة^(١).

والصلاة علامة الإيمان بالغيب ﴿إِنَّمَا تُذِرُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (فاطر: ١٨). كما جعل تركها دليل التكذيب بيوم الدين ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ (الماعون: ١) وهذه آثار ترك الصلاة. وتركها سبب لدخول النار والخلود فيها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ اليمينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ (المدثر: ٣٨-٤٧).

٢. أداء الزكاة:

تؤدي الزكوات والإنفاق في سبيل الله تعالى دوراً غاية في الأهمية لتزكية النفس، فالزكاة من العبادات الأكثر فاعلية وشمولية في تزكية النفس، والتي تتناول جوانب النفس (الفكرية والوجدانية والعملية) أي أدب الظاهر والباطن، ويظهر ذلك في تفعيل التفكير في الشرائح التي يتوجه إليها بالزكاة، والوجداني بالتخلص من الشح، والعملية بالإنفاق. وبالتالي يتجنب الإنسان العذاب بالنار، قال تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿٨﴾﴾ (الليل: ١٧-١٨). فالإنفاق يطهر النفس من الشح فتزكو ويتجنب بذلك النار.

(١) عاشور، عبد الفتاح، العبادات منهج أخلاقي، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١٤٠، ١٩٧٦م، ص ٢٢.

وقد توعّد الله عز وجل من لا يؤدي الزكاة بالعذاب، وربط بين الزكاة والآخرة، قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ

لِلْمُشْرِكِينَ ۗ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۗ﴾ (فصلت: ٦ - ٧)، قال

الزمخشري: "فإن قلت: لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؟ قلت:

لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على

ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح طوبته، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۗ أَي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق

الأموال، وما خدع المؤلف قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيتهم. وأهل الردة بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة، فنصبت لهم الحرب، وجاهدوا، وفيه بعث

للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعها، حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقرن

بالكفر بالآخرة. وقيل: كانت قريش يطعمون الحاج، ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله

عليه وسلم. وقيل: لا يفعلون ما يكونون به أزكيا، وهو الإيمان^(١). والشاهد في كلام الزمخشري إن

الزكاة جاءت مقرونة بالآخرة، تحفيزاً على التطهير المعنوي بالإيمان والمادي بأداء حق الله في المال.

فالزكاة تهدف إلى تربية النفس على معانٍ الإيثار، وتنقذها من طغيان الشح، فأخراج جزء

من المال سنوياً، يعوّد على البذل والسخاء وينقي النفس من البخل والحرص^(٢)، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا

اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) كمال، يوسف محمد، العبادات وأثرها في تربية المسلم، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، مجلد

٤٧، عدد ٢، ٢٠٠٣م، ص ٣٥.

أَلْمُقْلِحُونَ ﴿التغابن: ١٦﴾، يقول الإمام الغزالي: "وإنما تزول صفة البخل، بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها، حتى يصير ذلك اعتيادياً، فالزكاة بهذا المعنى، طهرة، أي تطهير صاحبها من خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرجه لإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى" (١).

فالزكاة تطهر النفس بإنفاق المال في سبيل الله، وهي وسيلة فعّالة من وسائل توزيع الثروة بين الأفراد على أساس عادل، حيث تؤخذ من الغني وتعطى للفقير، فالزكاة عمود من أعمدة الإسلام وهي قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من كتاب الله.

"وهي أهم المظاهر العملية التي تجسد علاقة الإنسان بالإنسان؛ لأنها تسهم في تحقيق علاقة العدل من خلال إمداء الفقير بمقومات الحياة الكريمة المحققة لبقاء النوع البشري، وتسهم في توفير علاقة الإحسان الموفرة لأسباب رقي النوع البشري من خلال تهذيب نفوس الأغنياء من أمراض البخل والشح والطغيان، وتطهير نفوس الفقراء من أسباب الحقد والحسد المفضية إلى الفتن" (٢). وكذلك أساس تزكية للأمة من كل ما ينال من أمنها واستقرارها ورفيها، فإن ما تفعله الزكاة في إعانة الفقراء حتى يشبع المجتمع بالكامل، وتعمّ مظاهر التراحم والتكافل في المجتمع. ممّا يزيد روابط الأخوة ويستميل القلوب وينزع الضغائن.

ومن حقوق الله الكبرى الزكاة، وهي حق المال، والذين لا يؤدون زكاة أموالهم يعذبون بهذه الأموال في اليوم الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته، مُثِّلْ له يوم القيامة شُجَاعاً أَفْرَعْ لَهُ زَبِيئَتَانِ، يُطَوَّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزَمِيَّةٍ يَعْنِي: شَدَقِيهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ. ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٧٨.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ٢٦٤.

ءَاتَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٨٠﴾ (ال عمران: ١٨٠))^(١). وكذلك يؤتى بالمال نفسه الذي منع زكاته، ويعذب به صاحبه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ - ٣٥).

٣. الصوم:

تأتي أهمية الصوم في تزكية النفس، من الشهوات التي تحرف الإنسان وهي شهوات البطن والفرج، والصوم تعويد للنفس على التحكم بالشهوات لذلك كان عاملاً مهماً في تزكية النفس، وإذا كان الصبر أرقى مقامات النفس، فإن الصوم تعويد للنفس على الصبر. وقد جعل الله تعالى الصوم وسيلة للتحقق بمقام التقوى، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، والتقوى هي مطلب الله في العباد وهي تساوي تزكية النفس^(٢). والصوم كفٌ للسمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. ومن أسراره الباطنة أنه فكر بالله عز وجل واليوم الآخر، وذلك لصوم القلب عن الدنيا وجعلها زاد للأخرة. فعن عبد الله بن عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم (١٤٠٣)،

ج ٢، ص ١٣٢.

(٢) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، ص ٦١.

لِلْعَبْدِ ، يَقُولُ الصَّيَّامُ : رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ :
مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَيُشَفَّعَانِ(١).

وكذلك فإن الصوم يقوي الإرادة ويَدْرِبُ النفس على الصبر على المصاعب والشدائد، والتغلب على ثورة الانفعال أو الغضب ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

يقول ابن القيم إنَّ المقصود من الصيام: "حبس النفس عن الشهوات، ومظامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعدَّ فيه حياتها الأبدية، ويكسُرُ الجوع والظمأ من حِدَّتْهَا وَسَوْرَتِهَا، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين. وتُضَيِّقُ مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتَحْبِسُ قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرُّها في معاشها ومعادها، ويُسَكِّنُ كل عضوٍ منها وكُلَّ قُوَّةٍ عن جِمَاحِهِ، وتُلْجِمُ بلجامِهِ فهو لجام المتقين وجُنَّةُ المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال. فإنَّ الصائم لا يفعل شيئاً وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سِرٌّ بين العبد وربِّه لا يطلع عليه سواه، وذلك حقيقة الصوم"(٢).

الصيام المفروض جعل الله لغرضه غاية، وهي تحصيل التقوى، ومن حصل التقوى فقد جمع كل خير وحقق الغايات من جميع العبادات(٣). فهو يعلم الإنسان الأمانة، فهو يصوم دون رقيب سوى الله تعالى، فيتعود على الأمانة والصدق في السر والعلن(٤). والصيام يذكر هموم الآخرة وأهوالها

(١) الحاكم، أبي عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، ط ١، ١٤٢٧ هـ، حديث رقم (٢٠٣٦)، مجلد ١، ج ١، ص ٥٥٤، حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) الجاي، إدريس، الصيام وتشريع العبادات، مجلة الفرقان، عدد ١، ١٩٨٤م، ص ٤٤.

(٤) كمال، يوسف محمد، العبادات وأثرها في تربية المسلم، ص ٣٧.

بسبب العطش والجوع الشديد في أرض المحشر وفي نار جهنم. ووقاية للنفس من الأنانية والإفراط في حب الدنيا، والتطلع للدخول من باب الريان الذي يفوز به الصائمون^(١).

والصوم تزكية شاملة هدفها تطهير حياة المسلم من عوامل الضعف التي توقعه في أسر الأشياء فيسهل تدمير إنسانيته، وتنمية أسباب القوة التي تساعده على الاحتفاظ بإنسانيته وتميزه بين المخلوقات الأخرى. فإنَّ صوم الكفارات تزكية من الانفعالات الطائشة التي توقع في الخطأ. ففي صوم كفارات الإيمان والظهار تزكية للنفس من أنماط السلوك اللاعقلاني الذي يفسد العلاقات ويهدد الروابط، والصوم تزكية للجسم من الشره والإفراط في الشهوات الضارة بالصحة المشيعة للاضطراب في وظائف الجسد وعناصر السلوك الفكري والعاطفي، كما في صيام النوافل. والصوم تزكية للجماعات من عوامل الحقد والتدابير والأنانية وتنمية لأسباب الترابط وصلة الرحم والمودة^(٢).

٤. الحج والعمرة:

يعد الحج فريضة العمر، لأنه يجب على المسلم القادر مرة واحدة في العمر. والمقصود بالحج هو الله عز وجل، فيشير معنى الحج إلى التجرد لله عز وجل والقصد إليه. "فالحج بالمعنى الاصطلاحي قصد بيت الله إقامة للنسك"^(٣)، فالمسلم يقصد بحجه الله عز وجل، شاهداً بذلك على توحده، ويكثر من التلبية والذكر والتهليل، وتوجيه النية الخالصة لله. وتسليم الأمر كله لله عز وجل وهذا هو منهج الفلاح.

وتنمي فريضة الحج الشوق للآخرة والترفع عن الدنيا، والصلة الدائمة بالله عز وجل، فهو تزكية للنفوس، وتجريد لها من عوامل الضعف، وتصميم على الانخلاع من الذنوب والآثام، وتربية

(١) زريوا، جميل يوسف، مقاصد الشريعة الجزئية في كتاب العبادات، ص ٣٠.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ٤٦٦.

(٣) بن حميد، الصالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، ص ١٥٢٩.

وجدانية تحقق لذة القرب من الله ومناجاته، وتهذيب خلقي وذلك لقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ

مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا

مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:

١٩٧)، فالله عليم بما يفعله الإنسان، فكل خير أو قرينة، الله عليم بها، ويجازي عليها، وهذا طريق

لتزكية النفوس، بتخليتها من الرفث والفسوق والجidal، وتخليتها بالإقبال على الله بالخير والطاعة، بما

شرعه الله عز وجل ووفق ما يرتضيه سبحانه.

والحج من أفضل العبادات لاشتراك المال والبدن فيه، ولأنه يجمع كل معاني العبادات، فمن

حج فكأنما صام وصلى واعتكف وزكى ورابط في سبيل الله تعالى. فهو يحقق طهارة النفس بالبعد

عن الفحش في القول وعن المعاصي، ويعود المسلم على الصبر وتحمل المتاعب، ويطهر النفس

من الشح والحرص على المال بما ينفق الحاج في سفره ويقدم من الهدى. ومناسكه التي لا يجوز

فيها إلا في مكان وزمان محددين، تعود المسلم على الانضباط والاهتمام بوقته^(١).

وإن الحج والعمرة من أنواع الأعمال الصالحة التي تزكي النفس وتكون سبباً في دخول الجنة،

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الْعُمْرَةُ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا

الْجَنَّةُ)^(٢). والحج المبرور هو الحج الكامل السالم مما ينقص ثوابه، وعلاقة الحج المبرور إن يرجع

زاهداً في الدنيا، راغباً بالآخرة، والمبرور مأخوذ من البر، والبر هو الإحسان إلى الناس، والبعد عن

المحرمات، وفعل الطاعات كلها مكتملة البر جامعة لأنواع الخير كله.

(١) الموسوعة العربية العالمية، مكتب الدعوة وتوعية الجاليات لحي الروضة، ص ١-٢.

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب وجوب العمرة، حديث (١٧٧٣)، ج ٣، ص ٢.

وفريضة الحج تعد امتثالاً لأمر الله عز وجل وأدائه على الوجه المطلوب، والتزام الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة مع الآخرين، وإن الحج مليء بالمواقف التي ينبغي إن تؤثر في حياة المسلم، ويغتنمها ليزيد إيمانه ورغبته في الآخرة، مثل التجرد من المخيط بالإحرام، وطواف الوداع، وغيرها من أعمال الحج ومناسكه.

فالعبادات ليست مجرد شعائر وأركان ليس لها علاقة بأمور الدنيا، فالعبادة لها آثارها الدنيوية التي تظهر جلية في سلوك وحياة المسلم، إنها تربية للمسلم على أداء الأعمال في أوقاتها وتعود له على الدقة في الالتزام والسرعة في الإنجاز، وضبط المواعيد كلها آثار يستفيد المؤمن من شعائر الحج التي تؤدي بدقة متناهية من الالتزام بالوقت، كوقت الوقوف في منى، والمبيت في مزدلفة، ورمي الجمار أيام التشريق يكون بعد الزوال ولا يكون قبله، وغيرها من أعمال الحج المضبوطة بالوقت والمكان. فالحج تربية للمؤمن في أمور الدنيا والآخرة، على إنجاز الأعمال وأدائها على أسرع وجه دون تسويف، فأعمال الحج العظيمة تؤدي وتتجز دون تأجيل أو تأخير، وهذا يرى الإنسان على إن عمره عبارة عن وقت لا بد من اغتنامه وعدم إضاعته، وعليه إن ينظم جميع أوقاته بما يتناسب مع الهدف الأسمى من حياته وهو عبادة الله تعالى والفوز بمرضاته. "هذه هي حقيقة الأعمال العظيمة في الأيام القصيرة، واستثمار الأوقات كلها في العبادات والطاعات فالعبرة ليس بطول الوقت وقصره، إنما يجعله الله فيه من بركة ونفع، وما يتبعه من أسباب كالإخلاص والترتيب والأخذ بالعزيمة"^(١).

"ولعل الحج هو أكثر العبادات معالجة لقيم المكان والزمان في حياة المسلم، فهو مرتبط بمكان وزمان معينين ولا يصح إلا من خلالهما، وفي الطواف (حول) الكعبة- فضلاً عن الاتجاه إليها في الصلاة- تجسيد لمعنى هام هو أنه مهما اتسعت دائرة العالم الإسلامي وانتشر المسلمون

(١) الشحود، علي بن نايف، الوقت وأهميته في حياة المسلم، بحث منشور، المكتبة الشاملة، ص ٢٥١.

في بقاع الأرض فستبقى الكعبة- أول مكان مارس فيه الإنسان عبادة الله الواحد- هي مركز الدائرة وقطب الحركة ومهوى النفوس والقلوب التي تنطلق من عقيدة التوحيد^(١).

والحج يطهر النفس من ذنوبها، وإحساس النفس بطهارتها يسعدها ويزيد فيها الرغبة في الصلاح والإصلاح^(٢)، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْثُ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وُلِدَتْهُ أُمُّهُ)^(٣).

والحج يحقق الأخوة والمساواة بين المسلمين، فالغني والفقير والحاكم والمحكوم والقوي والضعيف، كلهم يقفون في صعيد واحد يؤدون مناسكهم في نفس الزمان وبملابس وزيٍّ موحدٍ، بعيداً عن الكبر والخيلاء ومظاهر الدنيا. "فالحج تربية بالخبرة وتركيزية من مضاعفات الطغيان والاستضعاف التي تفرزها العصبية القبلية والطبقية والإقليمية والعرقية. وهو صهر عملي للاختلافات العارضة في اللون والجنس والثروة والمكانة الاجتماعية وتوجيه لقوى الخير وإعدادها للوقوف صفاً واحداً ضد الشر الذي يفترس الإنسان ويدمر إنسانيته"^(٤).

وإن مظاهر تركيزية الجانب العملي في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر تظهر جلياً في عبادة الحج باعتباره صورة مصغرة عن الحشر والعرض والحساب في الآخرة، فالحج تدريب عملي واقعي للنفس، ومشاهد حيوية تذكر الإنسان بمشاهد الحشر والحساب في الآخرة، يتطهر فيها الحاج من أمور الدنيا ليعيش مشاهد فيها روح من مشاهد الآخرة، ويظهر ذلك من خلال:

(١) مسعود، عامر، مقاصد العبادات في الإسلام، ص ٨٤ - ٨٥.

(٢) كمال، يوسف محمد، العبادات وأثرها في تربية المسلم، ص ٣٨.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم (٣٣٥٧)، ج ٤، ص ١٠٧.

(٤) الكيلاني، ماجد العرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص ٢٧٧.

- استشعار عظمة لبس الإحرام، والتجرد من الملابس، فيذكره هذا العمل بتلك اللحظات، لحظات سكرات الموت، والأكفان، والتجرد من الملابس بيوم الحشر. واستشعار عظمة الموقف بعرفة بزحامه وحره وشدته، فيذكره بيوم الحساب، يوم يقف الناس عند الله حفاة عراة عزلاً، بزحامهم وعرقهم وشدّة موقفهم، واستشعار عظمة رمي الجمرات، وما فيه من الحكم من عداوة الشيطان، وعدم الاستجابة لوساوسه^(١).

- استشعار معاني مفارقة المحبوبات، وتذكر أهوال القيامة، وحضور القلب لتنظيم الله تعالى والبيت الحرام وتذكر الالتجاء إلى الله التجاء المذنب.

٥. تعليم العلم النافع ونشره:

إن العلم الذي يعد نافعاً هو العلم الذي يرتبط بتحقيق عبودية الإنسان لخالقه، وهو علم يرتبط بالدار الآخرة، وقد بيّن سبحانه إن علم الكفار مبتور؛ لأنه لا يرتبط بالدار الآخرة، قال تعالى:

﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

ويجب على العلماء تعليم جليل العلم ودقيقه من العلوم النافعة والعلوم الشرعية المعتمدة على القرآن الكريم والسنة النبوية، فالعلماء الذين يكتمون ما عندهم من العلم إرضاء لحاكم، أو تحقيقاً لمصلحة، أو طلباً لعرض دنيوي، ككتمان الأخبار والرهبان ما يعرفونه من كتبهم من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنكارهم لنبوته، وقد قال الله تعالى في هؤلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤). قال ابن كثير

(١) موقع الشبكة الإسلامية، دروس للشيخ إبراهيم الدويش، المكتبة الشاملة، ج ٤، ص ٧.

في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ "وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم لأنهم كنتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب، فلا ينظر إليهم، ولا يزيكهم، أي لا يثنى عليهم ولا يمدحهم، بل يعذبهم عذاباً أليماً"^(١). وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢)، فنشر العلم وتعليمه يعد من العبادات التي يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

خامساً: الإجراءات العملية لتزكية الجانب العملي للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد

باليوم الآخر

إن القرآن الكريم يربط بين نوع العمل والجزاء المترتب عليه في الآخرة، وهو ربط الأسباب بالنتائج، وهذا من شأنه الترغيب بالعمل الصالح. فمن أحسن كان جزاؤه الحسنی، ومن أساء كان جزاؤه بمثل ما فعل. وتحفل الآيات القرآنية بالتذكير بأهمية العمل والجزاء المترتب عليه، وحثُّ المؤمن على اتخاذ إجراءات تساعد على الالتزام بالعمل الصالح، وستحاول الباحثة استخلاص بعضها فيما يأتي:

١. التزكية بالدعاء:

الدعاء أفضل العبادات ففيها معاني الذل والخضوع والافتقار إلى الله تعالى، وقد حثت الآيات على الدعاء فقال تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، ولكنها حذرت من الاستكبار عن

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٨٤

(٢) أبي داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبو داود، بيروت، دار الكتاب العربي، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، حديث ٣٦٦٠، ج ٣، ص ٣٦٠، قال الألباني: صحيح.

دعاء الله وعبادته وتوعدت بعذاب أليم في النار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

والدعاء من أقوى الأسباب لتقوية الإيمان؛ لأنه في حقيقته هو العبادة، فالعبد عندما يتوجه إلى ربه بالدعاء فإن ذلك يدل على ما في القلب من الثقة بالله، وإظهار الافتقار والخضوع له. وكلما حقق ذلك كان إلى الله أقرب. وبالدعاء يتوجه العبد إلى طلب التوفيق والهداية لزيادة أسباب الإيمان وتقوية اليقين بالله عز وجل، لأنه مسبب الأسباب وميسر الأمور^(١)، فالدعاء سبب لنيل هداية الله وتوفيقه في الدنيا والآخرة، فكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)^(٢).

وقد وجهت الآيات الكريمة المؤمن إلى الدعاء بالاستجارة من عذاب النار وسعيها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥-٦٦)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (ال عمران: ١٩١) وكذلك الدعاء بالمغفرة، قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (ابراهيم: ٤١). والدعاء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (ال عمران: ٩).

(١) الرويشد، أسماء، طريقك إلى تقوية إيمانك، الريوة، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات، المكتبة الشاملة، ص ٦٦.

(٢) البخاري، إسماعيل بن عمر، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ومنهم من يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة، حديث رقم (٤٥٢٢)، ج ٦، ص ٤٣.

ومن الدعاء بما ورد عند الأذان قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةَ الْقَائِمَةَ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١). ومن أدعية الصباح والمساء في أذكار المؤمن، ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةً مَرَّةً. لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ)^(٢)، والشاهد من الأحاديث السابقة إنَّ الدعاء ينمي في نفس المؤمن صلته الدائمة بمشاهد الآخرة، ومن كانت الآخرة حاضرة في ذهنه في كل أوقاته، كان ذلك مدعاة للالتزام والتركي.

٢. التزكية بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دعاء من المؤمنين له بمزيد من الشرف والتكريم، وتعظيمه والإيمان بشفاعته ومقامه المحمود في الآخرة. وإن كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً)^(٣).

٣. الاستغفار والتوبة من الذنوب والإنابة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (ال عمران: ١٦).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٩٣) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الدعاء عند النداء، حديث (٦١٤)، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب فضل التهليل والتسبيح، حديث رقم (٧٠١٩)، ج ٨، ص ٦٩.

(٣) ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣، باب الأدعية، حديث رقم (٩١١)، مجلد ٣، ج ٣، ص ١٩٢، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنا مَعَ الْأَبْرارِ ﴿١٩٣﴾ (ال عمران: ١٩٢ - ١٩٣). وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت، إذا قال ذلك حين يُمسي فمات دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يُصبح فمات من يومه مثله).

٤. التوجه إلى الله تعالى بالدعاء بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ (الإسراء: ٥٧). وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا

مُشْفِقِينَ ﴿٦٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٦٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ

الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ (الطور: ٢٦ - ٢٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ

الْجَنَّةَ) ^(١). فالمؤمن على يقين بأسماء الله الحسنى، وإيمانه يتحول إلى سلوك عملي، فالعمل

الصالح جزء من الإيمان، فالمؤمن يعلم إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

فيراعي ذلك في تصرفاته، وقد يقع في معصيته فينذكر سعة رحمة الله تعالى، ويعلم أنه تعالى

هو الضارُّ والنافع وهو المنتقم.

(١) البخاري، محمد اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما يجوز من الاشتراط والتثنيا في الإقرار،

حديث (٢٧٣٦)، ج ٣، ص ٢٥٩.

٥. كثرة السجود:

فكثرة السجود وهو ركن في الصلاة، ولصلة الوثيقة بين العبد وربيه، تعالج النفوس بمحبة الله ومحبة لقائه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجْبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٦-٢٧). وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩). فكثرة السجود لها تأثير عملي في سلوك الإنسان.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي « سَلْ ». فقلت أسألك مرافقتك في الجنة. قال « أَوْغَيْرَ ذَلِكَ ». قلت هو ذلك. قال « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ »^(١).

٦. النظر في العلم، يقوي حوادث الآخرة في النفس، وإن أفضل الصدقة إن يتعلم المسلم العلم وينشره بين المسلمين، فبالعلم ترتقي الأمم، وتصدق فيها الخيرية.

٧. التزكية بالإصلاح العلمي العملي في سورة العصر، وهي من معجزات القرآن الكريم لإصلاح

ما أفسده البشر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر: ١-٣). فالعمل الصالح أثر للإيمان

بالله تعالى وبالْحَسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ. وقد بدأت الآيات بالقسم بالوقت، حتى يوقظ سمع

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب فضل السجود والحث عليه، حديث رقم (١١٢٢)، ج ٢، ص

القارئ وقلبه فيبصره بحاله في الدنيا الفانية، يقول النورسي في توظيف العمر الفاني توصلاً إلى عمر خالد باقٍ: "أيها الناس أتريدون تحويل عمركم القصير الفاني إلى عمر باقٍ طويلٍ مديد، بل مثمر فبالمغانم والمنافع؟ وما دام الجواب: إن نعم! وهو مقتضى الإنسانية، فاصرفوا إذن عمركم في سبيل الباقي، لأنَّ أيما شيء يتوجه إلى الباقي يُنلُّ تجلياً من تجليات بقائه"^(١).

٨. الصدقة تقي من النار:

كل مسلم يؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه يوم القيامة فيتولى سبحانه حسابه بنفسه وإن الصدقة تقي من النار: عن عدي بن حاتم، رضي الله عنه، إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لَيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، وَلَا تُرْجَمَانُ يُتْرَجَمُ لَهُ ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوْتِكَ مَالاً فَلَيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلَيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)^(٢).

٩. ذكر الله تعالى واليوم الآخر وعدم الغفلة عنهما، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور:

٣٧).

(١) النورسي، سعيد، اللمعان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٤.

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب من نوقش الحساب، حديث رقم (٦٥٣٩)، ج ٨، ص ١٤٠.

١٠. الاحتكام إلى شريعة الله تعالى وتطبيقها في كل أمور الحياة مطلقاً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۗ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ

مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ (آل عمران: ٢٣ - ٢٥). فالاحتكام إلى الكتاب والسنة سبب للنجاة يوم

القيامة، وذلك لما له من أثر عملي في تزكية النفس.

وكذلك يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۗ لِكُلِّ

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

ءَاتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (المائدة: ٤٨) فالذي يحتكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يبادر

إلى الخيرات الشاملة لكل فرض مستحب، وبالتالي تزكو النفوس، وتقوز عند الرجوع إلى الله

يوم القيامة.

١١. قراءة القرآن الكريم، كتاب الله ونوره في أرضه، كتاب بين حروفه جوامع الخير والفلاح، فمن

ساوره كرب أو آلام النفس، فليقرأ كتاب الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ (يونس: ٥٧) و ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا

هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ (الإسراء: ٨٢). إنه الهدى الذي

يُهدي إلى طريق الحق، ومن لزم الطريق المستقيم فهيهات إنَّ يصيبه كدر النفوس، فهو شفاء
للنفس من أكار الدنيا وقرورها^(١).

ويبقى القرآن الكريم شفاء للنفوس، وتزكية لها بالسير بها نحو المعالي والسمو، إذا أحسن الناس
تلاوته وتدبر آياته، فهو معجزة الله الخالدة. ومن أعظم النعم وأجلها، يُتلى ليستفاد منه جميع
الأخلاق والفضائل وجوامع الخير في الدنيا والآخرة.

(١) الخولي، حلمي، العبادات وأثرها في تفريج الكرب، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلد ٢١،
عدد ٢٤٥، ١٩٨٥م، ص ١٠٩.

الفصل الرابع

التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في

العملية التعليمية

المبحث الأول: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على المنهاج

التعليمي والمعلم والمتعلم.

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في اشتقاق الأهداف التعليمية.

الفصل الرابع

التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في

العملية التعليمية

إنَّ منهج القرآن الكريم في تزكية النفس منهج العليم بأسرارها والخبير بما يزكيها أو يفسدها، ولذا فإنه السبيل إلى تزكيته، وأي نظام تعليمي وتربوي يريد إصلاحها فلا بد إنَّ يتتبع ويستفيد من هذا المنهج.

وقد عُني هذا الفصل باستقاق التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في العملية التعليمية عبر ما استسقته الباحثة من فصول الرسالة السابقة، وذلك بنتبع الآيات القرآنية المتعلقة باليوم الآخر وما استفادته الباحثة منها في الفصول السابقة المتضمنة لأهداف تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، حيث قامت الباحثة بوضع التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد بليوم الآخر في العملية التعليمية وفق لما ورد بحثه في هذه الفصول.

وعليه قامت الباحثة بتقسيم الفصل إلى مبحثين وهما: الأول: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على المنهاج التعليمي والمعلم والمتعلم، والثاني: التطبيقات التربوية في اشتقاق الأهداف التعليمية.

المبحث الأول

تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على المنهاج التعليمي والمعلم

المتعلم

مقدمة:

تضطلع المدرسة بدور ريادي في تزكية النفس، وذلك من خلال الدور التربوي الذي تقوم به. فهي تعد مؤسسة تربوية تنقل تراث الأمة للأجيال الناشئة وتكون عوناً قوياً على نهضة المجتمع وتقدمه. فكان لا بد من تأسيسها على أسس العقيدة الإسلامية^(١). وإن واجب المدرسة المحافظة على الفطرة الإنسانية السليمة، وأن تعمل على تمتينها وتركيتها باستمرار فالتعليم بدون تربية وتركيزية تعليم ناقص^(٢).

فيقع على عاتق المدرسة واجب التزكية بتطهير العقائد من الانحرافات، وتصفية الحقائق العلمية، وتنقيتها من الأخطاء، وتخليية العقول من الانحراف العقدي والأخلاقي والتعدي، وتربية الأفراد على جوانب الخير والأخلاق الفاضلة بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية.

ويتعلق هذا المبحث بتقديم التطبيقات التزكوية للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، بما يتعلق بالمنهاج التعليمي والمعلم والمتعلم، والتي قامت الباحثة باشتقاقها من فصول الدراسة السابقة، على نحو ما يأتي:

(١) أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص ٢٨٠.

(٢) النجار، زغلول، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، فرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٠م، ص ١٣٨.

أولاً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على المنهاج التعليمي

يمكن تجلية تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على المنهاج بكليته من

خلال المحاور الآتية:

- يُعد المنهاج التعليمي بعناصره المتجسدة بالأهداف والمحتوى والأساليب والوسائل والتقويم الواجهة الرئيسة التي يتم تقديمها للمتعلم بصورة مباشرة في خضم العملية التعليمية؛ وعليه فلا بد من انعكاس تزكية النفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على عناصر ومفاصل المنهاج بصورة كلية وتفصيلية.
- تتمركز الأهداف التعليمية في طليعة العناصر التكوينية للمنهاج التعليمي؛ ويُمكن إنَّ تنعكس تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على الأهداف من خلال سعي الخبراء ومصممي المنهاج إلى تنصيب الأهداف بصورة تخدم الدين الإسلامي، ومحاولة بناء شخصية المتعلم بصورة سوية في ظاهرها وباطنها، ممتثلة لأمر الله تعالى، تروم الفوز بالنعيم الأبدي في الجنة.
- من الضروري بمكان إنَّ يتم تسليط الضوء في المنهاج على التكوين الباطني للشخصية المتعلمة؛ لا سيما فيما يرتبط بتوجيه نيتها إلى الله عز وجل والإخلاص له في كافة الأنشطة الحياتية عند إعداد الأهداف التعليمية من قبل الخبراء ومصممي المنهاج التعليمي، وتنبثق أهمية هذا النوع من الأهداف من تفاعل السياسات التعليمية الإسلامية مع السياسات الغربية، والتي لا مناص بأنها تشهد تغييباً لهذا الجانب الهديفي.
- يمثل المحتوى التعليمي في منظومة المعلومات النظرية والأنشطة العملية التي يتم بسطها وتقديمها للمتعلم في خضم الموقف التعليمي، ويُمكن إنَّ يُراعي المحتوى تزكية نفس المتعلم من مختلف جوانبها وأطرها عبر تضمينه بالحقائق العلمية المستنبطة من الكتاب والسنة، والتي يتم إردافها بالتفسير والشروحات اللازمة، وبعبارة شارحة لما سبق فيتوجب إنَّ تُستقى أصول

المعلومات النظرية والأنشطة العملية المقدمة للمتعلم من القرآن الكريم مع الحرص على إرفاق التفسير القويم من أمهات التفاسير مع الآيات القرآنية المعنية، فضلاً عن ضرورة الأخذ من الأحاديث النبوية ذات الصلة بالموقف التعليمي مع الحرص على الفقه السليم لتفسيراتها.

• تتمثل مسؤولية منهاج التزكية في إفراد مقررات دراسية، وموضوعات وأبحاث دراسية تُبرز التطبيق الأخلاقي، وتوجيه علاقات الأفراد والجماعات، في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر. وإعداد برامج دراسية تركز على أنواع العبادات، وكذلك على أشكال الذكر، والدعاء، على شكل مقررات دراسية تتضمن دراسة التوحيد ومعرفة الله وقضايا الوجود والمصير.

• ينبغي على المنهاج التعليمي التنبيه إلى الدوافع الفطرية ومحاولة إشباعها بالطرق المناسبة، واستغلال الدوافع مثل دافع الطعام والشراب مثلاً في تحسين عملية التعليم، من خلال استخدامه في تعزيز بعض الأنماط السلوكية السليمة. وتوفير الأماكن التي تقدم الطعام والشراب للمتعلمين، واعتبارها أماكن حيوية يجب الاعتناء بها.

• ينبغي إنَّ تعتمد منهجية التزكية في المنهاج التعليمي، على مفهوم تزكية النفس الذي يتألف من شقين: الأول: التخلائي نسبة على مصطلح التخلية، والثاني: التحلالي نسبة إلى مصطلح التخلية. والنظر في استعمالات مصطلح التخلية يدل على تطهير شامل من جميع الذنوب والمعاصي والآفات المادية والمعنوية. أما مصطلح التخلية فيشير إلى تحلّي الفرد بكافة الصفات الحسنة والأخلاق والفضائل وكل ما هو خير في الدنيا والآخرة.

• يلحظ الناظر في العلوم الإنسانية والطبيعية المختلفة تغييب المعيار الإيماني والقيمي للمحتوى التعليمي الخاص بهذه المجالات، وبصورة عملية يمكن القول إنّه يظهر بجلاء التركيز على المعلومة المتضمنة في المحتوى؛ دون عزوها إلى خالقها عز وجل، من هنا يتوجب إنَّ تتضمن العلوم الإنسانية والطبيعية - غير الشرعية - المعيار الإيماني والقيمي، ويتم ذلك من خلال

تضمن المحتوى لفكرة إنّ منظومة العمليات البحثية ومخرجاتها هي آية من آيات الله الدالة عليه سبحانه، وأنه لا يمكن بحال إنّ تتناقض الحقائق التجريبية لهذه العلوم مع الوحي، علاوة على ضرورة تعزيز المحتوى لقيمة شكر الله تعالى على الاختراعات والمكتشفات العلمية المتباينة^(١).

- لما تقدم الإقرار بضرورة بناء الحضارة الإسلامية الجامعة المفرزة للإنتاج المادي والمعنوي؛ تجلّت ضرورة إيلاء الأنشطة العملية في المحتوى التعليمي جلّ الأهمية، ويأتي ذلك إزاء التوجهات التعليمية السائدة لعقود من الزمان بأن المحتوى إنما يحتقن في قلبه التنظيري البحت؛ من هنا فإنّ روم الحضارة الرصينة إنّما يقتضي تفعيل المهارات العملية من أطراف العملية التعليمية، في سبيل إفراز مخرج حضاري معتبر في مختلف أنحاء المعمورة، وبالقدر الذي يتمرس فيه المتعلم على المهارات العملية المادية وحُسن امتثالها، بالقدر الذي يوجد به مخرج العملية التعليمية، ممّا يُسهم في الارتقاء في سُلّم التطور الإنساني والحضاري.
- من النشاطات الضرورية التي يجب مراعاتها في بناء البرامج التعليمية، إعداد نشاطات تعبدية يقوم بها الطلبة ضمن المنهاج تتمثل في تربية الذوق والوجدان وتنمية قوى الإرادة التي تدفع إلى محبة الله وخشيته في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.
- تتبوأ الأساليب والوسائل التعليمية قدراً كبيراً من الأهمية في جوف العملية التعليمية؛ ذلك أنها الأداة الرئيسة التي يتم من خلالها إيصال المحتوى التعليمي، وتحقيق الأهداف المنشودة؛ وعليه فإذا ما رام القائم التربوي تزكية النفس وتهذيبها؛ تعيّن تقنين هذه الأساليب والوسائل وإبرازها بصورة تخدم الأهداف المحورية؛ من هنا يُمكن القول بضرورة اختيار الأساليب والوسائل التي تُسهم في تفعيل البنية النفسية برمتها؛ باطنها وظاهرها، فكرها ووجدانها وعملها، ويأتي

(١) خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، ص ٥٠٥-٥١٠.

ذلك نظير الأساليب التعليمية الجامدة كأساليب الإلقاء والمحاضرة، والتي تجعل العملية التعليمية مشدودة إلى طرف المعلم دون التفعيل الممنهج لجوارح المتعلم العملية، ولعل من أكثر الأساليب التي تُعنى بهذا التفعيل الكلي أسلوب _ أو إستراتيجية - القبعات الست، وأسلوب الذكاءات المتعددة.

● نظراً لكون عملية التزكية هي عملية ذاتية فردية بالدرجة الأولى، تبتدت ضرورة إنَّ يتم تخيير الأساليب التعليمية التي تعتمد على الفرد بالدرجة الأولى، دون تمركز الموقف التعليمي حول المعلم فحسب، وتعد هذه النقطة على غاية من الأهمية؛ إذ أنَّ اضطلاع المتعلم بنفسه في سبر الموقف التعليمي، عبر بذل الجهد العلمي والإيماني لذلك، إنما يجعل المخرج الإيماني والتعليمي على درجة عالية من الجودة والرسوخ في نفس المتعلم، فاستشعاره بأن مردود هذه العملية التزكوية إنما يعود عليه أولاً وأخيراً يجعله يزيد من مجهوده المبذول، الأمر الذي يرفع من جودة المخرج، علاوة على رسوخ الأفكار النظرية والتجارب العملية إذا ما عمد بذاته إلى إجرائها؛ ما يجعله على وعي بمكوناتها.

● مما يجدر الوعي به، والتوجه لامنتاله، توظيف الأساليب التعليمية الجماعية في مختلف المواقف التعليمية، وفي ذلك محاولة لتعزيز الأواصر الاجتماعية والإفادة في بناء مجتمع إنساني قويم، يُبنى على تكاتف الجهود المادية والمعنوية؛ وعليه، فلا بد من تفعيل التعلم التعاوني بين التلاميذ بمختلف صورته، مع حضور المعلم واستصحاب توجيهاته المُسددة صوب الهدف المتقدم؛ إذ يوجه المعلم في خضم الموقف التعليمي الجماعي إلى مكانة هذا الجمع التعليمي في بناء المجتمع والحضارة القويمة.

● لعله من الضروري بمكان الإشارة إلى ضرورة انضباط الوسائل التعليمية في فلك الوحي الإلهي، وعدم جنوحها أو مساسها بأي من ثوابتها، فلقد تقدم الإقرار بأن التزكية هي عملية منضبطة

- بشروط، أهمها الالتزام بالكتاب والسنة، تجلّت ضرورة تخيّر الوسائل مع استصحاب الضابط الإيماني، فمثلاً لا يجوز بأي حال من الأحوال اختيار الآلة الموسيقية كوسيلة أو أداة لترجمة المحتوى في بعض العلوم الإنسانية؛ بهدف إيصال المحتوى للمتعلم بشيء من التسلية والمرح.
- ومن التطبيقات التربوية لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، فيما يتعلق بالأساليب التعليمية، استخدام أسلوب الوعد بالثواب والوعيد بالعقوبة، لما لها من الأثر البالغ الذي يحرك الشعور ويهزّ القلوب للالتزام بما يتوجب على المتعلم فعله أو تركه. وهذه الأساليب تعرف بالتربية الحديثة بمفهوم الثواب والعقاب، أو الترغيب والترهيب، ويستخدم أسلوب الوعيد بالعقوبة للردع بالتخويف من عواقب الأفعال كالتخويف بعقوبة النار على الأفعال الصادرة عن المتعلم، وكذلك فإنّ أسلوب الوعد بالثواب يحفّز النفس على القيام بواجبها على أكمل وجه، وذلك باستخدام أسلوب التشويق بالوعد بالجنة ثواباً لقيام المتعلم بما يقع تحت مسؤوليته.
 - ومن الأساليب التعليمية التي يمكن استخدامها في تحفيز العملية التعليمية، أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية، حيث يتم بهذه المقارنة التباين بين الأمور التي تقع في مصلحة المتعلم في أمور الدنيا والآخرة، وبين التي تضر به. ليرجّح العقل المتعلم أفضلية الآخرة على الدنيا، وأفضلية الجزاء الأخروي الأبدي على الجزاء الدنيوي، ليصبح هذا الأسلوب عادة لدى المتعلم تتسحب على حياته كلها، لتُحدِث الأثر في إصلاح حياته بكل ما هو خير نافع.
 - ومن الضروري استخدام أسلوب النظر في الإشارات الدنيوية المناظرة للمعالم الأخروية، فيتم توجيه المتعلم للنظر في الإشارات والعلامات الحاصلة في الحياة الدنيا؛ والتي تأتي مقابلة ومشابهة لمعالم الآخرة، ومن أمثلة على هذا الأسلوب النظر في النوم كنظير للموت لتقريب الآخرة من ذهن المتعلم، فينبغي توجيه المتعلم إلى اكتشاف هذه الإشارات والعلامات التي

تحيط به، والاستدلال منها على اليوم الآخر، وهذا يوقظ ويشد فكر المتعلم في التفكير بكل ما يحيط به من معالم والاستفادة منها في مجال العلم والمعرفة.

- ويعد أسلوب ضرب المثل من الأساليب التعليمية الناجحة في تحقيق العبرة والموعظة في النفوس، إذ أنّ المثل يؤدي إلى تقريب الأفكار وجعلها مألوفة ومفهومة، وهذا أبلغ في التأثير، ومن الأمثلة على ضرب المثل تصوير الجنة، واستخدام التشبيه في وصف نعيمها للمتعلم.
- ومن الضروري مراعاة المعلم لاستخدام أسلوب التصوير والتجسيم الفني، لتصوير الحقائق عن اليوم الآخر، في صورة فنية، وتجسيمها كأنها حية على أرض الواقع، وذلك بالاستعانة بآيات القرآن الكريم التي عرضت لهذه المشاهد كأنها صورة محسوسة، ومتحركة، وبارزة أمام النفس، وعرضها أمام المتعلمين.
- ومن الأساليب التعليمية التي تعتمد على المتعلم أسلوب التوظيف الأمثل للمقومات الفردية المتاحة في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وذلك بأن يوظف المتعلم ما يملك من مقومات شأنها إن تزكي نفسه؛ فيوظف ما يملك من مال في الإنفاق في وجوه الخير ومنها العلم، وما يملك من العلم في العمل، ويوظف ما يملك من الوقت والشباب في عملية تزكية وتطهير وصلاح حياته العملية والعملية.
- يجسد التقويم العنصر الختامي لعناصر العملية التعليمية، ومن خلاله يتحقق الوعي بمكان القوة والضعف في المتعلم؛ ليتم الانطلاق منها إلى تعزيز مكان القوة ومعالجة مكان الضعف في دائرة مستديرة يدور فلكها في تزكية النفس المتعلمة، وعلى هذا الاعتبار فمن الأهمية بمكان إن يأتي التقويم لتعزيز السلوك الإنساني القويم - ظاهره وباطنه - والذي يتوافق مع معيار الدين الإسلامي، ومعالجة الجنوح السلوكي، وتجفيف مواطن الخلل فيه، المتعارضة مع المعيار الديني الإسلامي.

• من التطبيقات الضرورية التي يتعين بسطها للمتعلم لتحقيق التقويم السليم لتزكية المتعلم فكرة المقاييس النفسية للخصائص السلبية، وبعبارة شارحة لما سبق يمكن إعداد المقاييس التي تقيس مدى سلامة نية المتعلم وخلوها من براثن المنافع المادية البحتة، فضلاً عن قياس الخصائص المعنوية المتميزة، ومن ثم تقديمها للمتعلم ليشرع بنفسه في الإجابة عن هذه المقاييس، الأمر الذي يجعله على وعي تام بمدى التوافق أو الازاحة المتحقق في نيته عن المسلك الإسلامي الرشيد.

• مما لا شك فيه إنّ الحديث عن انعكاس محاور تزكية النفس على التقويم، يسوق إلى ترسيخ مبدأ المراقبة الذاتية الدائمة، وينبثق ذلك من كون التزكية تنشد الجزاء في الآخرة، الأمر الذي يقتضي عملها التزكوي الدائم مدى الحياة، من هنا، فإنّ العمل الدائم إنما يستدعي رقابة دائمة؛ لتصل النفس الإنسانية إلى مرادها في الجزاء المحمود في اليوم الآخر.

• على المعلم التنوع في استخدام الجزاء المادي والمعنوية المقدم للمتعلم، نظير جهده المقدم في الموقف التعليمي، علاوة على ذلك فيتعيّن إنّ يتم التنوع والتمايز في أنواع الجزاء المادي والمعنوي، دون الانحباس في نوع واحد من التعزيز المادي أو المعنوي، ويُستنبط ذلك من كون الجزاء على تزكية النفس في الآخرة يستوعب الشطر المادي والمعنوي.

• لما كان الجزاء على العملية التزكوية قائم على أساس العدل؛ تجلّى ضرورة سعي السياسات التربوية إلى تنصيب أنواع التقويم المستوعبة لكافة المستويات الطلابية، فضلاً عن استيعابه لكافة القدرات المتوافرة في المتعلم، وبمعنى آخر فقد تختلف أنواع التقويم من شكل لآخر؛ كالتقويم الذي يُعنى بقياس القدرات اللفظية، وكذا القدرات الاستدلالية، والابداعية ونحوها.

• تُعد النخبة التعليمية من التلاميذ حجر الزاوية في صناعة الحضارة الإسلامية الرائدة، لاسيّما باكتشافاتهم ومخرجاتهم البحثية؛ من هنا لا بد من إيلاء هذه الفئة جُلّ الأهمية من قبل القائمين

على المنهاج التعليمي بصورة عامة، ولعل من أبرز التطبيقات العملية المقدمة لهذه الفئة، تقديم المنح الدراسية، وتذليل فرص العمل العلمية والبحثية المناسبة على الصعيد الداخلي والخارجي، لجملة الأوائل المتقدمين على نظائرهم وزملائهم، ويُستقى هذا التطبيق من كون الجزء على العمل التزكوي من جنس العمل.

ثانياً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المعلم.

يمكن بيان تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المعلم من

خلال الآتي:

- يجسد المعلم البوصلة الرئيسة التي يتم من خلالها توجيه العملية التعليمية إلى الاتجاه المُبتغى، ولما كان على هذا القدر من الأهمية؛ بات لزاماً اكتتاف شخصيته وكيانه بمعالم التزكية الجليلة والدقيقة المتقدمة في الفصول السابقة، من هنا، فإنَّ الشروع في تجلية انعكاسات تزكية النفس على ماهية المعلم إنما يبتدر بالإقرار بضرورة سلامة معتقده من أي إسقام عقديّة، وبمعنى آخر لا بد من إنَّ يكون المعلم على وعي تام، ومعتقد مُحكم بأن الله عز وجل موجود، وهو وحده المستحق للعبادة، والنفس الإنسانية تسعى لإرضائه عز وجل ليحسن اللقاء به يوم القيامة؛ لينعكس ذلك على طبيعة عمله التعليمي، وكذا على جودة مخرجاته العلمية، ويُستتبط هذا التطبيق من تصدر هدف الفوز برضوان الله تعالى والنعيم الأبدي في الآخرة في قائمة الأهداف المخطوطة في السياق التزكوي.

- من التطبيقات التربوية لتأثير الإيمان بالآخرة على المعلم في إخلاص نيته ومقصده من وراء التعليم، بحيث يبتغي بها وجه الله تعالى وحده، ونيل مرضاته والفوز بالآخرة، وهذا من شأنه إضافة روح الإخلاص والإتقان والتواضع والمحبة على العملية التعليمية، نائياً بها عن الرياء والكبر والغش.

- من التطبيقات النافعة لتزكية النفس في ميدان خصائص المعلم عقد الدورات التوعوية لمعلمي العلوم الإنسانية والطبيعية؛ للإيضاح العلمي إلى كون العمل التعليمي الذي يقوم به المعلم إنما هو عبادة تناظر سائر الشعائر التعبدية، بل تعدوها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)^(١)، وعليه، فإن إخلاص المعلم في عبوديته لله تعالى إنما يستدعي وعيه بأن دوره في العملية التعليمية هو من أرقى العبادات المحضة.

- يشهد العلم في مختلف تخصصاته الدقيقة تقدماً متسارعاً على مدار السنوات الحياتية المختلفة، ما يجعل مسايرة المعلم لهذه التطورات ضرورة حتمية، وبعبارة شارحة لما سبق فإن من أهم مؤهلات المعلم الذي تنشده السياسات التعليمية الريادية سعيه الدؤوب لتحصيل المزيد من المعارف في تخصصه، وإضافة بصمته التجديدية الإبداعية الخاصة به إلى تخصصه الدقيق، ولعل ادراك المعلم لركب التطورات العلمية المتحققة في مسلكه العلمي، وتحركه لتقفي السليم منها، ورد السقيم، إنما ينذر بإنشاء جيل إنساني قادر على مواكب التطور، ومحاور لما يكتفه من مجريات، استناداً إلى الأسس العلمية الرصينة، يتأتى هذا التطبيق إزاء الإقرار بضرورة استقامة الفكر الإنساني واستقامته عامة.

(١) سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح رقم ٢٢٣، ج ١، ص ٨١، قال لشيخ الألباني: صحيح.

- لعل من أهم الوقفات التربوية التي يجدر الإشارة إليها تتبع السلامة في أفعال المعلم وأقواله واتساقها مع المعيار الشرعي أولاً، واتساقها مع بعضها ثانياً، والمراد أنّ منظومة الأقوال والأعمال التي تبندر من المعلم إنما تسهم بشكل كبير في تشكيل شخصية المتعلم؛ نظراً لتأثيرها المباشر وغير المباشر في فكر المتعلم وسلوكه؛ من هنا، فإنه بالقدر الذي تستقيم به أعمال المعلم، بالقدر الذي نرتقي به في شخصية المتعلم، وفي الجهة المقابلة، فإنّ تعارض أعماله مع المعيار الشرعي وكذا تعارض أقواله مع أفعاله، إنما ينعكس اضطراباً في شخصية المتعلم، الأمر الذي يقوده إلى التمزق التكويني الداخلي والخارجي.

- من التطبيقات التربوية المنشودة إقامة المسالك التواصلية بين المعلم وأهالي المتعلمين، فلا جرم بأن إيجاد قناة تفاعلية بين أهالي التلاميذ والمعلمين على اختلاف مستوياتهم الفكرية إنما يترد إيجاباً على تعزيز مواطن القوة، والتخلص من مواطن الضعف لدى المتعلم، فضلاً عن أثر هذا التواصل في جعل العنصر الإنساني على اختلاف مواقع الوظيفية يبذل الجهود الجسيمة المنصهرة في بوتقة الإعداد السليم للمجتمع الإنساني المُبتغى؛ حيث إنّ شروع المعلم في التواصل مع أولياء الأمور يجعل روح المحبة والسلام تسود العلاقات الاجتماعية؛ لوعي الأهل بحرص المعلم على مصالح التلاميذ، علاوة على شعور المعلم بالتقدير والتبجيل؛ إذا ما وجد التقدير المعترف لملاحظاته المختلفة من قبل الأهالي وأولياء الأمور، ويُستتبط ذلك من هدف إقامة مجتمع إنساني قويم.

- يروم المعلم الواعي صناعة جيل الحضارة الإسلامية، وإنسان الحضارة الراقية، وتغدو هذه المهمة ممكنة إذا ما امتلك المؤهلات العلمية والشخصية الأصيلة والمعاصرة التي يتسنى له من خلالها الارتقاء في الحضارة الإنسانية عامة، ولعل من أجدى الممارسات التي تسهم في

إحداث المطلوب عمد المعلم إلى عرض التجربة الحضارية المتحققة في مطلع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم؛ للإفادة منها، وتوظيف مضامينها المتينة في الواقع المعاصر.

- من الممارسات الذكية التي يتعين على المعلم امتثالها في الحجرة الصفية وخارجها، التدعيم النصي لسلوكياته المختلفة، وبمعنى آخر، فعلى المعلم إن يدعم سلوكياته التي يقوم بممارستها بالنص الشرعي المناسب لها، كدخول الغرفة الصفية بالقدم اليمنى وعرض الدليل الشرعي المؤكد لذلك أمام المتعلمين، وكذا شروعه بالجلوس حال غضبه من أحد المتعلمين، وإشهار النص الشرعي الدالّ على ذلك على مسامع المتعلمين؛ إلى غير ذلك من السلوكيات المتمثلة، ويُستنبط ذلك من إنّ الوحي الإلهي هو مصدر التوجيهات التزكوية الرشيدة.

- على المعلم إنّ يحذر من الجنوح عن مسار العدل المتعين سلوكه في حياته عامة، وفي خضم موافقه التعليمية خاصة، فمن المفروض إنّ يحرص المعلم على تحقيق العدل بين المتعلمين في الجوانب العلمية والشخصية، فيعكف على السلوك العادل عند معاملة المتعلمين معاملة لا يبرز فيها التمايزات والتحيزات المرفوضة، فلا يمايز بين تلميذ وآخر لاعتبارات شخصية أو نفعية، سواء انعكس هذا التمايز على المعاملة اللينة مع المتعلم، أم انعكس على منح الدرجات العلمية بغير حق، ويتأتى ذلك لكون الجزء من الله تعالى يوم القيامة يقوم على مبدأ العدل.

- لا جرم بأن عملية الإصلاح الإنساني والتعليمي إنّما تفتقر إلى تفعيل الجهود الذكية من المعلم، من هنا، فعلى المعلم اكتشاف مواطن الزلل في شخصية المتعلم، والعمد إلى إصلاحها من تلقاء ذاته، وبصورة عملية أكثر فيمكن القول بأنه على المعلم محاورة المتعلم، ومحاولة استنطاقه لنقاط الضعف التي يراها في تكوينه الشخصي؛ للوصول إلى إفصاح المتعلم عن أسباب نقاط الضعف المنبثقة من نفسه، دون تسليط الضوء على الحواضن التربوية النازمة له، إلى إنّ يشرع المتعلم بوضع خطة تفصيلية للتخلص من مواطن الخلل، وارتكاز محاور الخطة على

جهد المتعلم فحسب، دون اعتبار لما يمكن إنَّ تقدمه مختلف المؤسسات التربوية، ومما لا شك فيه إنَّ تنزيل مثل هذا التطبيق على أرض الواقع إنَّما يحتاج إلى جهود كبيرة وحكيمة من قبل المعلم والمتعلم على السواء، بيد أنَّ المعلم هو البوصلة التي تقتل وتوجه هذه الحركة الإصلاحية، يُستتبط هذا التطبيق من كون العملية التزكوية هي عملية فردية بالدرجة الأولى.

- على السياسات التعليمية العليا إنشاء ما يُسمَّى "بالفحص النفسي الشامل لوظيفة المعلم" بصوره المكتوبة والمنطوقة، والمراد من هذا الفحص أنَّ التقدم لوظيفة المعلم إنَّما يفتقر لجملة من المؤهلات، يأتي في طبيعتها سلامة البنية النفسية بكليتها من أيِّ اضطرابات؛ ليتسنى له أداء وظيفته بإخلاص واقتدار، ويتم ذلك من خلال إعداد جملة من المقاييس النفسية المكتوبة، والمقابلات الشخصية الشفوية، ومؤدَّى هذه المقاييس والمقابلات التأكّد من براء المتقدم لوظيفة المعلم من أي خلل عقدي، أو فكري أو وجداني أو عملي، ما يجعل بلورة شخصية المعلم بصورة كليّة متوافقة مع مراد الشارع ضرورة تربوية، وإذا ما تمّ تغييرها آل ذلك بالانعكاسات السلبية على بنية المتعلم والحضارة كافة؛ فمثلاً وجود أي من الاضطرابات الوجدانية لدى المعلم، إنَّما تحدث اضطراباً في الجانب الوجداني لدى المتعلم، ويتأتى هذا التطبيق لكون العلاقة بين مكونات تركيبة النفس علاقة إيجابية.

- من أهم القدرات التي لا بد للمعلم من امتلاكها قدرته على التنوع في التعزيزات المقدمة للتلاميذ، بين التعزيزات المادية والمعنوية، ويستدعي ذلك تقديره الحكيم للمواقف التي تفتقر إلى تعزيزات مادية، وكذا المواقف التي تتطلب تعزيزات معنوية، ولعلّ ذلك يعود لجملة من العوامل كالمرحلة العمرية، وطبيعة التعزيز السابق، وطبيعة المتعلم، ونحوها من تفصيلات من المفترض إنَّ يكون المعلم على وعيٍ بها وإمام كافٍ؛ ذلك أنه إذا ما دأب على تقديم التعزيزات المادية إنَّما تفقد قيمتها لدى المتعلم، وكذا فإنَّه في بعض المواقف والمراحل لا يمكن الاستغناء

فيها عن التعزيزات المادية، واستناداً إلى هذه الاعتبارات يجدر امتلاك المعلم القدرة على التنوع في أنواع التعزيزات المقدمة، مع امتلاك المؤهلات اللازمة لذلك، ويُستتبط ذلك من كون جزء عملية التزكية جزءاً مادياً ومعنوياً.

- من التطبيقات التربوية التي ترتقي بشخصية المعلم وعلمه عمده المستمر إلى تفرغ مستجدات علمه في الأوعية الإنسانية والمادية المتاحة، بناءً على ما تقدم من قاعدة السببية والتأثير التي تعد السبب في استمرار الجزاء على السلوك في اليوم الآخر؛ تجلّى على إثره لزوم إن يبيث المعلم أفكاره المختلفة- والتي تشهد اتساقاً مع المراد الشرعي- في نفوس وعقول المتعلمين، وكذا شروعه بتأليف المخطوطات والمؤلفات التجديدية في مجال تخصصه، الأمر الذي يجعل أفكاره راسخة ومبثوثة بعد وفاته، ما يجعل عمله ذا تأثير مستمر سواء أكان ذلك بوجوده، أم في حال افتقاده.

- من المعطيات التي ينشد التماسها في شخصية المعلم سمة الصبر، وتعد هذه السمة على قدر كبير من الأهمية، فتكاد تشكل العامود الفقري لشخصيته على مدار عمله التعليمي كافة، وتأتي أهمية هذه السمة من كونها تمنح المعلم الوقود إلى الاستمرار في العمل رغم كل القيود والعقبات التي من المؤكد أنه سيشهدها في خضم عمله، وتمتد مساحة الصبر عند المعلم لتستوعب صبره على الميدان العلمي، والاستمرار في طلب العلم، ومتابعة الجديد دون كلل، فضلاً عن استيعابها للميدان الخلقي والاجتماعي، عبر صبره على سلوكيات المتعلمين، والتغاضي عن كثير من هفواتهم ومغالطاتهم الخلقية، الأمر الذي يطيل في عمر العملية التعليمية، ويجعلها على مكانة من الكفاية والريادة، ويستتبط ذلك من كون عملية التزكية عملية منضبطة، ومن أهم ضوابطها الصبر عند مجاهدة النفس.

ثالثاً: تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المتعلم.

يُمكن بيان أهم تطبيقات تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر على خصائص المتعلم

من خلال الآتي:

- يجسد المتعلم البوتقة الإنسانية التي تصقل جميع الجهود التربوية والتعليمية في سبيل إنضاج تقاسيمها وملاحمها؛ من هنا، فإنّ تزكية المتعلم وفق الأسس والمرتكزات المتقدمة في الفصول السابقة يشكل حاجة ماسّة؛ يتعين الانقياد إلى تجلية تزكية البنية النفسية للمتعلم في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

- من الوقفات التربوية التي تنبؤاً شأناً معتبراً في العملية التربوية عمد المعلم والمربي إلى ترسيخ مبدأ محدودية المتع والنعيم الدنيوي، إزاء اللامحدودية للنعيم الأخروي، والمراد من هذا المبدأ إنّ جميع المنافع والنعمة الدنيوية مهما كبر حجمها أو قلّ إنما هي نعم ذات طاقة محدودة، فلها أجل زمني محدد تنتهي بانتهائه، وفي الجهة المقابلة فإنّ النعيم الذي يغدقه الله عز وجل على عباده المؤمنين في الآخرة إنما هو نعيم أبدي غير منتهى بتوقيت زمني محدد، والهدف من هذا التطبيق هو وعي المتعلم بجسامة وفرادة النعيم الأخروي، الأمر الذي يسوقه إلى امتثال كافة الممارسات الممكنة للوصول لمثل هذا النوع من النعيم.

- من التطبيقات التربوية التي يتعين إرشاد المتعلم إلى الاضطلاع بها فكرة "صندوق النوايا"؛ وتعد صندوق النوايا من أكثر التطبيقات العملية والتي تحمل صبغة المتعة والفائدة للمتعلم، ومؤدى هذا التطبيق إنّ يعمد المتعلم إلى إعداد صندوقين من صنع يديه يكتب على أحدهما العمل لله، وعلى الآخر العمل لنفسه أو لغيره، وعند قيامه بأي سلوك يقوم بكتابة السلوك على ورقة واسقاطه في الصندوق الذي وجّه لأجله، إلى إنّ تمتلأ الصندوق، والمبتغى إنّ

يستشعر المتعلم مدى استقامة نيّته في كافة أعماله لوجه الله تعالى، وكذا الوعي بمدى الجنوح عن المسار المتقدم، ويُستتبط هذا التطبيق من كون الإخلاص لله تعالى من أسمى المرامي المنشودة.

- انطلاقاً من الإقرار بأهمية استقرار الفكر الإنساني؛ تجلت ضرورة شحذ الطاقات العقلية للمتعلم بصورة عامة، وتكوين الملكة النقدية لديه بصورة خاصة؛ ذلك إنّ التفكير الناقد من أهم أنواع التفكير التي يفتقر إليها الفرد في كافة سلوكيات حياته؛ من هنا، فإنّ تزكية نفسية المتعلم تقتضي تملكه المهارات اللازمة لنقد الأفراد والأحداث والأشياء المناظرة له، وتنبثق أهمية هذا التطبيق من كونه يُسهم بشكل جليّ في انخراط المتعلم في عجلة التقدم الإنساني والحضاري؛ إذ أنّ نقد الواقع هو محاولة للارتقاء المنشود، عبر تجفيف مواطن الخلل، وتعزيز مواطن القوة، ويستتبط ذلك من كون استقرار الفكر الإنساني أحد الأهداف التزكوية المأمولة.

- من الضروري اتباع توجيهات القرآن الكريم لتنمية التفكير من خلال تحرير الفكر من العوائق التي تعيق التفكير مثل: التقليد الأعمى، واتباع الهوى والظن، والكبر، والأوهام والخرافات. ونبذ جميع هذه العوائق والتخلص منها. وكذلك ينبغي المحافظة على الطاقة العقلية للمتعلم وعدم إشغاله بالأمور الغيبية نظراً لقصور العقل عن التفكّر فيما لا طاقة له به.

- تعويد المتعلم على أهمية الاستقلال الفكري، والتحرر من أواصر التقليد والانحباس في آراء الآخرين؛ لأنّ ذلك يوقف عمل العقل، ويدعو إلى التسليم والتقبل دون تفكير لما انحدر من الأسلاف فحسب. وإنّ الاستقلال الفكري للمتعلم يقود إلى التحرر من الخرافات الفكرية والبدع التي تشكل بؤرة الجهل.

- على المتعلم إنّ يبادر على الدوام في العكوف على مشكلات مجتمعه؛ وصفاً وتحليلاً وتوجيهاً، وبواسطة هذا التطبيق يغدو المتعلم في موقع اجتماعي فاعل وبوصلي، وبعبارة شارحة لما

سبق، فإنّ المتعلم هو جزء من جسم المجتمع الذي يكتنفه، من هنا، فإنه يتحمل أعباء ومشكلات هذا المجتمع؛ وعليه، فإنّ الإعداد الحذق للمتعلم يقتضي تأهيله ليبيت مؤثراً ومتوجهاً إلى حلّ المشكلات المتميزة بصورة أو بأخرى، فيشرع في مناقشة المشكلات الاجتماعية في المواقف التربوية، وكذا المواقف الاجتماعية، فضلاً عن ضرورة سعيه إلى إيجاد حلول واقعة لهذه المشكلات، علاوة على أهمية عمده إلى تجلية الحلول المقترحة لهذه المشكلات من قبل الشخصيات المفكرة والريادية، ويستتبط ذلك من هدف إنشاء مجتمع إنساني قويم.

- من الضروري بمكان إنّ يعي المتعلم إنّ المساحة البحثية المتاحة له في المؤسسات المدرسية والجامعية النازمة له هي مساحة من أجل صناعة حضارة إنسانية رائدة، وليست بمساحة لأحراز شهادة مدرسية وجامعية فحسب، والحقيقة أنّ هذا التطبيق على غاية من الأهمية والضرورة إزاء الواقع الذي تشهده مختلف شرائح المتعلمين، فمن الملاحظ إنّ الكثير من الفئات التعليمية تنتظر إلى البحث العلمي إنما هو أداة لحيازة درجة علمية أو ما شابه ذلك، الأمر الذي يؤدي إلى احتقان نشاط الإنتاج العلمي في أجل زمني مقدور؛ وعليه، فلو تم الوعي من قبل المتعلمين بمكانة البحث العلمي في الارتقاء بالإنتاج العلمي والحضاري، وعدم انحباسه في فترة محددة؛ لآل ذلك بالانعكاسات الإيجابية الجمّة على المستوى الحضاري المأمول.

- لما كان الوعي مصدر التوجيهات التزكوية؛ تعين ضرورة تمرس المتعلم على التفسير العلمي للنصوص الشرعية من مظانها الأصلية؛ إلى إنّ يغدو ضليعاً قادراً على بيان النص المبتغى وتفسيراته وشروحاته المناسبة بكل سرعة وإتقان.

- من التطبيقات النافعة للارتقاء بنفسية المتعلم ابتداه إلى العكوف على النصوص الشرعية التي تتحدث عن الخصائص السلبية المتوافرة في شخصيته، ثم الإمعان ملياً في هذه النصوص وحيثياتها ومضامينها التربوية؛ وينتأى ذلك في محاولة لاستجلاء الإجراءات المناسبة التي

ترتقي بالمتعلم، وتعضده للتخلص من هذه السمات، وفق الأسس والمرتكزات المعرفية والشرعية^(١). وهذا شأنه إنَّ يبني شخصية إسلامية تمتلك مناعة ذاتية تحفظها من السقوط في الانحرافات، والوقوع في الأهواء والنزوات.

- على المتعلم التمتع بالذكاء التعبدي قدر الإمكان، والمراد بهذا النوع من الذكاء تخيّر العبادات الأكثر نفعاً، فضلاً عن تقفي العبادات الصغرى في مجهودها الكبرى في أجراها، وكذا فعلى الجهة المقابلة فعليه الحذر من الوقوع في براثن المعاصي، لا سيما المعاصي التي يستصغر حجمها، على الرغم من عظيم أثمها عند الله تعالى يوم القيامة، وبهذه الصورة تغدو شخصية المتعلم أكثر اتزاناً ووسطية، وأعلى حذاقة وذكاء؛ لكونها تتخيّر وتتبع ما ينفعها وتتجنب عن كل ما يضرها، الأمر الذي يقود إلى الاقتصاد في الجهد المبذول، وعظم الأجر المأمول، ويُستنبط هذا التطبيق من كون الجزء في الآخرة مصدره رباني، ومبدأه العدل.

- على المتعلم بناء الجسور التواصلية المتلازمة بين ما تعلمه وسلوكه الممتثل، وبمعنى آخر فيتعين على المتعلم ترجمة ما يتعلمه في البيئة المدرسية إلى سلوك عملي يضطلع به بذاته، وبهذا يشكل يغدو المتعلم هو العنصر الأكثر فاعلية ونشاطاً في العملية التعليمية، فضلاً عن ذلك فحتى تصبح المادة المتعلمة ذات قيمة، لزاماً أن يتم تنزيلها على أرض الواقع؛ من هنا فإذا ما التزم المتعلم من تلقاء نفسه بتطبيق كل ما يتعلمه في سلوكه اليومي، فيُضحى حينها على كفاءة عالية في الحصيلة الخبراتية التي يمتلكها، علاوة على شعوره بالمسؤولية الفردية تجاه إصلاح ذاته وتهذيبها؛ ويُستنبط ذلك من كون النفس هي المناط الرئيس بتزكية ذاتها، وأي حواضن تربية هي حواضن مساندة.

(١) التل، شادية أحمد، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص ٣٤٤.

- لما كان جزاء المؤمنين جنّةً تغمر أصحابها بالنعم والمتع، وجزاء الكافرين ناراً تفيض بآلام على أصحابها؛ تجلّت أهمية "المطالعة الدورية للتفاوت الجزائي" من قبل المتعلم، ويتأتى ذلك في محاولة لتفقي السلوكيات المحمودة التي آلت بالمؤمنين إلى هذا الثواب الحسن، والامتناع عن السلوكيات المذمومة التي أدت بالكافرين إلى هذا المقام والعقاب السيء، ولعل هذا التطبيقات من الممارسات الواقعية التي من شأنها بناء وتشديد شخصية تتمتع بالتكامل والالتزان، وبالمحصلة، فإنّ المطالعة الدورية للتفاوت الجزائي إنّما تقتضي عكوف المتعلم على النصوص الشرعية، لا سيما نصوص القرآن الكريم لعدّتها في وصف الجنة والنار وأهلها، ومحاولة الوعي بملاح كل من المؤمنين والكافرين، والإفادة ممّا آل بهم لاستقرار هذه الملاح في تكويناتهم الجزائية، ويُستقى هذا التطبيق من إنّ جزاء تزكية النفس ينقسم إلى قسمين جزاء حسن (الجنة) وإزاء تزكية النفس، وجزاء سيئ (النار) إزاء تدسية النفس.

- من التطبيقات التربوية التي لها جلّ الأثر في إحداث التغييرات الإيجابية المطلوبة في المحيط الإنساني على المدى القريب والبعيد فكرة المواقع الإلكترونية الدعوية في إطارها العلمي، بيد أنه من المهم الوعي بأن مثل هذه التطبيقات إنّما تقتدر إلى النضج البيولوجي والحضاري حتى يتسنى إنّ تؤدي بأفضل صورها، وبمعنى آخر فيتوجب إنّ يشرع المتعلم حال نضجه واشتداد عوده، ومع هذا التقدم الحضاري الذي يشهده العالم اليوم، إلى إنشاء المواقع الإلكترونية والتي تهدف إلى الدعوة إلى الله تعالى في السياق العلمي الذي يسلكه المتعلم، فالمتعلم في العلوم الشرعية يعمد إلى تجلية النصوص الشرعية وبيان تفسيراتها ومدى اتساقها مع أحداث الواقع إلى إنّ يثبت فاعلية هذه النصوص وواقعيتها، وكذا فالمتعلم في العلوم الإنسانية والطبيعة يعمد إلى تجلية الظواهر الإنسانية والطبيعية؛ ليبرز آيات الله تعالى وعظيم قدرته فيها، وتطرّد أهمية هذه المواقع في كونها تبقى على المدى البعيد، حتى بعد وفاة المتعلم، فضلاً عن كونها تصل لأكبر بقعة إنسانية ممكنة، ويُستتبط ذلك من كون السببية والتأثير سبباً للجزاء الأخروي.

- ومن التطبيقات التربوية التي يتعين على المتعلم الاضطلاع بها، تقوية الجانب العقدي، فالعقيدة هي التي توجه السلم إلى الأعمال سلباً وإيجاباً. فالإيمان هو الأساس في تمييز الصحيح من الخطأ، ومنه تستمد أسس التربية والتزكية والقيم والمثل العليا، ليعيش الفرد في توازن بين القيم الروحية والمادية. والمقصود من ذلك تقوية الجانب الإيماني في النفس ليكون الفرد نمطاً حياً متحركاً بالإيمان الذي يملأ قلبه وعقله، ويظهر جلياً في سلوكه العملي.

- من الضروري بمكان مراعاة استخدام الدوافع عند المتعلم وتوظيفها للقيام بدورها المشروع في تحقيق الأهداف السامية بما يضمن تطبيق أحكام الإسلام وتشريعاته، فمثلاً: فيما يتعلق بدافع الجنس، فإنه ينبغي إعفاف النفس، ومكافحة الفاحشة والرذيلة، ومراعاة الضوابط الشرعية في قاعات التعليم، وينبغي على المتعلم إن يحسن إحكام السيطرة على هذه الدوافع ترغيباً فيما عند الله عز وجل من الجزاء الأخروي الكبير. وفيما يتعلق بدافع حب المال ينبغي تعويد المتعلم على حب الإنفاق في الخير لنيل رضا الله عز وجل والفوز بالجنة. وأما فيما يتعلق بدافع الأمن فإنه ينبغي تدعيم دافع الإحساس بالاستقرار ومراعاة المشاعر من خلال تأمين المتعلم من الخوف. وأما فيما يتعلق بدافع الألم واستخدامه للترهيب من إيقاع العقوبة تطبيقاً لاستخدام هذا الدافع للتذكير بالعقوبات الإلهية المتمثلة بعقوبة النار في الآخرة، للإقلاع عن المخالفات وارتكاب المعاصي والذنوب. وفيما يتعلق بدافع الخوف فإنه ينبغي توجيهها إلى مسارها الصحيح في دعم الإيمان بالله واليوم الآخر، وصرف عبودية القلب إلى الله عز وجل الذي بيده المبدأ والمصير.

- إظهار قيمة الموازنة بين الدنيا والآخرة في نظر المتعلم، والتعريف بحقيقة الدنيا وقصر الأمل، والترغيب بالآخرة والعمل لها، وذلك من خلال تنمية قيم الجسد والاجتهاد والرجولة، وعدم الإغراق في الإسراف والتتعم، لأنه من آفات القلوب التي تصد عن أعمال الآخرة. وينبغي تدريب المتعلم على استغلال الوقت بالشكل المناسب.

المبحث الثاني

التطبيقات التربوية في اشتقاق الأهداف التعليمية

يتعلق هذا التطبيق بتقديم جملة من الأهداف التعليمية التي قامت الباحثة باشتقاقها من المنهج التربوي في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر بناءً على فصول الدراسة السابقة، حيث يسهم في إمداد التربية الإسلامية بجملة من الأهداف التعليمية التي تبني المنهاج التربوي، وتساعد في إعداد المقررات التركوية والتعليمية، وفي اشتقاق جملة من الأهداف المعرفية والوجدانية والنفسحركية^(١)، وفقاً لما يأتي:

أولاً: الأهداف المعرفية المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

قامت الباحثة باشتقاق الأهداف التعليمية المعرفية، والتي تساعد في إعداد المقررات التركوية والتعليمية، وفق تصنيف بلوم للأهداف التعليمية المعرفية، حيث قسّم بلوم مستويات الأهداف التعليمية المعرفية إلى مستويي تفكير، يتضمن كل مستوى ثلاثة مستويات فرعية على النحو الآتي:

(١) مستويات التفكير الدنيا:

يتضمن هذا المستوى ثلاثة مستويات فرعية، وهي:

- مستوى التذكر.
- مستوى الفهم والاستيعاب
- مستوى التطبيق

(١) تم مراجعة وتدقيق الأهداف من قبل الدكتور سعد العنوز - دكتورة قياس وتقويم.

٢) مستويات التفكير العليا:

يتضمن هذا المستوى ثلاثة مستويات فرعية، وهي:

- مستوى التحليل.
- مستوى التركيب.
- مستوى التقويم.

وقد كانت نتائج مستويات الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر كما هي موضحة في الجدول (١).

جدول (١)

التكرارات والنسب المئوية للأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف بلوم

الرقم	مستويات التفكير	مستويات الأهداف المعرفية	التكرارات	النسبة المئوية	الرتبة
1	مستويات التفكير الدنيا	التذكر	5	7.58%	5
2		الفهم والاستيعاب	14	21.21%	2
3		التطبيق	14	21.21%	2
4	مستويات التفكير العليا	التحليل	14	21.21%	2
5		التركيب	15	22.73%	1
6		التقويم	4	6.06%	6
=	المستويات ككل		66	100.00%	=

يبين جدول (١) أن مجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر قد بلغ (٦٦) هدفاً تعليمياً معرفياً، حيث احتل مستوى "التركيب" المرتبة

الأولى بعدد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر (١٥) هدفاً، وبنسبة مئوية (٢٢,٧٣%)، وجاءت المستويات "الفهم والاستيعاب، والتطبيق،

والتحليل" في المرتبة الثانية بتكرارات بلغت (١٤) هدفاً لكل منها، وبنسبة مئوية (٢١,٢١%). أما

مستوى "التقويم" فقد احتل المرتبة الأخيرة بعدد الأهداف التعليمية المعرفية (٤) أهداف، وبنسبة مئوية (٦,٠٦%).

كما تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف بلوم لتلك المستويات، حيث كانت على النحو الآتي:

(١) مستوى التذكر:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى التذكر، كما هي مبينة في الجدول (٢).

جدول (٢)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى التذكر المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى التذكر في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يتعرف الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر على منظومة أهدافه الدافعة لتركية نفسه؛ انطلاقاً من الأهداف الكبرى، مروراً بالرئيسية، وصولاً إلى الفرعية.
2	أن يكثر الطالب من ذكر اليوم الآخر وأحداثه وأهواله في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
3	أن يسمي الطالب المصادر الرئيسة لتركية النفس الإنسانية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
4	أن يعدد الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر حالات نفوذ الجزاء على تركية النفس في اليوم الآخر.
5	أن يذكر الطالب ضوابط عملية التركية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

يبين جدول (٢) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التذكر قد بلغ (٥) أهداف تعليمية معرفية.

٢) مستوى الفهم والاستيعاب:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى الفهم والاستيعاب، كما هي مبينة في الجدول (٣).

جدول (٣)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى الفهم والاستيعاب المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى الفهم والاستيعاب في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يبين الطالب الغاية التي خُلِق من أجلها في ضوء اعتقاده باليوم الآخر، كما جاءت في النصوص الشرعية الثابتة.
2	أن يحدد الطالب شروط قبول العبادة عند الله عز وجل، حسب تسلسلها المنطقي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
3	أن يتعرف الطالب على أهمية بناء شخصيته بصورة قويمه ومنتزعة، بمكوناتها الكبرى والصغرى.
4	أن يتبين الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر حدود الفكر التي لا ينبغي أن يخرج عنها في أمور غيب اليوم الآخر.
5	أن يدرك الطالب مسؤوليته عن استعمال قدراته العقلية والسمعية والبصرية في التفكير في آفاق النفس والموجودات.
6	أن يدرك الطالب شمولية العمل التركوي، عبر اكتتاف دوائره التفاعلية الذاتية والخارجية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
7	أن يستكثر الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر من تذكر الموت ليكون على استعداد دائم للرحيل عن دار الدنيا الفانية، فيضعف تعلقه الزائد بها.
8	أن يدرك الطالب عاقبة ومآلات ونتائج ما بعد الموت المستقبلية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
9	أن يتفكر الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر بقدرة الله تعالى المطلقة في الإنشاء من العدم؛ ليتوصل إلى اليقين بالمعاد والحساب والجزاء.
10	أن يوضح الطالب أثر الإيمان باليوم الآخر في بناء مجتمع إنساني قويم في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

11	أن يتعرف الطالب على أحكام المطاعم والمشروبات وبيان الحلال والحرام، وذلك لاجتناب ما حرّمه الله؛ لنيل مرضاته في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
12	أن يدرك الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر أن تفاصيل حياته السوية منتظمة في القرآن والسنة.
13	أن يدرك الطالب مسؤوليته الفردية تجاه الارتقاء بسلوكه، والتخلص من برائث الضعف والقصور في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
14	أن يدرك الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر أن استغراقه في حبه ملذات الدنيا؛ يسحب تفكيره وأعماله إلى الطريق المنحرف.

يبين جدول (٣) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التذكر قد بلغ (١٤) هدفاً تعليمياً معرفياً.

(٣) مستوى التطبيق:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى التطبيق، كما هي مبينة في الجدول (٤).

جدول (٤)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى التطبيق المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى التطبيق في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يصحح الطالب المعتقدات والسلوكيات المؤدية إلى غضب الله؛ مبتدئاً بالأهم إلى المهم في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
2	أن يتدبر الطالب علاقاته بالخالق، والكون، والإنسان، والحياة والآخرة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
3	أن ينظم الطالب المناقشات العلمية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر؛ للرد على البدع والضلالات المثارة حول الرسالة الإسلامية.
4	أن يبتعد الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر عن التخرصات والأساطير والأوهام في بناء المعارف حول عقيدة الآخرة.

5	أن يصحح الطالب العادات المجتمعية المتعارضة مع الحكم الشرعي القويم في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
6	أن يبتعد الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر عن التقليد الأعمى، وما يفرزه من تعطيل العقول.
7	أن يكون الطالب على فطنة واسعة وحذاقة في تحييز الميدان العلمي الأثر فاعلية في الدنيا والآخرة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
8	أن يتبصر الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر المستقبل وما هو قادم ومنتظر.
9	أن يدعم الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر وسطية مجتمعه بالأدلة النقلية والعقلية.
10	أن يكتب الطالب مقالاً علمياً عن آثار الحسد؛ مستشهداً بنصوص القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الخاصة بالموضوع في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
11	أن يصحح الطالب التصور السائد بضرورة تعجيل الجزاء على العملية التزكوية في الحياة الدنيا في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
12	أن يوضح الطالب لزملائه عدالة الله عز وجل المتحققة يوم القيامة؛ نظير تحركاتهم اليومية الباطنية والظاهرية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
13	أن يصحح الطالب أفكاره وعاداته السلبية التي اكتسبها من والديه في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
14	أن يكتب الطالب المشاريع التطوعية لتحفيظ الناشئة من الأيتام كتاب الله تعالى في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

يبين جدول (٤) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التطبيق قد بلغ (١٤) هدفاً تعليمياً معرفياً.

(٤) مستوى التحليل:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى التحليل، كما هي مبينة في الجدول (٥).

جدول (٥)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى التحليل المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى التحليل في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يعلل الطالب المكانة المحورية لهدف الفوز برضا الله والنعيم الأبدي في الآخرة، على سواه من الأهداف التزكوية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
2	أن يميز الطالب بين النعيم الدنيوي والنعيم الأبدي في الآخرة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر، مستشهداً بالنصوص الشرعية المناسبة.
3	أن يعقد الطالب مقارنة بين الحياة الدنيا، والحياة الآخرة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
4	أن يربط الطالب المقدمات بالنتائج، في الاستدلال على أحداث اليوم الآخر في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
5	أن يناقش الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر مشكلات مجتمعه الواقعية، في سبيل الوصول إلى الحلول المناسبة لها.
6	أن يناقش الطالب مشكلات مجتمعه الواقعية، في سبيل الوصول إلى الحلول المناسبة لها.
7	أن يستنبط الطالب الإجراءات اللازمة لحصول العفة لديه من نصوص الوحي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
8	أن يحلل الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر آيات التوبة في القرآن الكريم؛ ليتسنى له تطبيقها عملياً.
9	أن يجزم الطالب بتحقق الجزاء المحمود للمؤمنين، والجزاء المذموم للكافرين يوم القيامة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
10	أن يربط الطالب بين عظم الجزاء على التزكية؛ وبين مصدره الرباني في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
	أن يربط الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر بين وجود المعتقد السليم وبين استقرار فكره الداخلي واستقامته.
11	أن يبرهن الطالب على تماسك جوانب البنية النفسية؛ مدلاً على ذلك ببيان أثر تزكية الجانب الفكري في الوجداني والعملي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
12	أن ينظم الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر جدولاً أسبوعياً للعبادات الجامعة بين مكونات البنية النفسية؛ كصلاة قيام الليل، وصيام يومي الاثنين والخميس.
13	أن يربط الطالب بين استمرار أثر الأعمال الفكرية لمفكرين الإسلام، وبين قوة أفكارهم وإخلاص نياتهم في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
14	أن يصنف الطالب أهم الفضائل المحمودة المفضية إلى الثواب الأخروي، وكبائر السلوكيات المذمومة التي تؤدي إلى العقاب الأخروي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

يبين جدول (٥) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تزكية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التحليل قد بلغ (١٤) هدفاً تعليمياً معرفياً.

(٥) مستوى التركيب:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى التركيب، كما هي مبينة في الجدول (٦).

جدول (٦)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى التركيب المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى التركيب في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يفند الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر الآراء الفلسفية والوضعية الداعية إلى تزكية النفس ببعدها المادي فحسب.
2	أن يقدم الطالب التفسير العلمي لإحباط حُسن أعمال الكافرين يوم القيامة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
3	أن يبين الطالب تفاصيل الصورة الحقيقية للآخرة، بكل أحداثها وحقائقها في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
4	أن يبرهن الطالب على الوزن النوعي للهدف التعبدي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر في منظومة الأهداف التزكوية عامة.
5	أن يبرهن الطالب بالحجج والبراهين المنطقية والأدلة العقلية في قضايا البعث والنشور في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

6	أن يُبدع الطالب بالتفكير بما هو غير مألوف في مخيلته، بإطلاق العنان للخيال في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
7	أن يعزل الطالب أعماله اليومية التزكوية التي تقع على عاتقه، عن الأعمال التي لا يتحمل تبعاتها ومسؤولياتها في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
8	أن ينتقي الطالب الأعمال التي يبقى أثرها بعد موته في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
9	أن ينقد الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر الفلسفات الوضعية القائمة على الذاتية، والتي تنوء على المسؤولية الاجتماعية (بناء مجتمع قويم).
10	أن ينتبأ الطالب بطبيعة المخرج الحضاري الإنساني، استناداً إلى ماهية العملية التزكوية للنفوس الإنسانية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
11	أن يبرهن الطالب على محورية السنة النبوية كمصدر رئيس لتزكية النفس الإنسانية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
12	أن يقترح الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر مخططاً لمراحل تحقق الجزاء في اليوم الآخر؛ مراعيًا التسلسل الزمني والمكاني لها.
13	أن يعارض الطالب أقوال زملائه؛ عند تحميل أسرهم مسؤولية سوء خلقهم في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
14	أن يستشهد الطالب بقصص ابن نوح عليه السلام وامرأة فرعون وامرأة لوط عليه السلام؛ للدلالة على المسؤولية الفردية في تحديد ماهية المسلك التزكوي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
15	أن يطرح الطالب أمثلة على تغيير المسلك العملي للكثير من شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم؛ نتيجة تغيير انفعالاتهم وأفكارهم تجاه الدين الإسلامي في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.

يبين جدول (٦) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التركيب قد بلغ (١٥) هدفاً تعليمياً معرفياً.

(٦) مستوى التقويم:

تم رصد الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى التقويم، كما هي مبينة في الجدول (٧).

جدول (٧)

الأهداف التعليمية المعرفية من مستوى التقويم المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف المعرفية من مستوى التقويم في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يرفض الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر الشائعات الفوضوية؛ المفتقرة إلى الأدلة والبراهين.
2	أن يقترح الطالب الحلول العلمية لمشكلاته العائلية في ضوء اعتقاده باليوم الآخر عبر التفكير الناقد والتفكير الإبداعي.
3	أن يشرح الطالب العلاقة الرابطة بين استقامة العمل الدنيوي، وحسن المصير الجزائي في الآخرة في ضوء اعتقاده باليوم الآخر.
4	أن ينتقد الطالب في ضوء اعتقاده باليوم الآخر ذاته حال الفشل بالاختبار؛ دون التفكير التبريري القائم على تحميل الآخرين مسؤولية أخطائه.

يبين جدول (٧) أن مُجمل الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التقويم قد بلغ (٤) أهداف تعليمية معرفية.

ويتبين من خلال اطلاع الباحثة على تصنيفات بلوم للأهداف التعليمية المعرفية أن مستويات

التفكير الدنيا (التذكر والفهم والاستيعاب والتطبيق) تحتل في العادة المساحة الأكبر وفق تصنيف

بلوم الهرمي، حيث تحتل قاعدة الهرم، وأما مستويات التفكير العليا (التحليل والتركيب والتقييم) فتأتي بالمستويات الرتبوية الأعلى والأقل مساحة، على الرغم من أهميتها.

ويظهر للباحثة بعد دراسة الجداول الخاصة بتصنيف الأهداف المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيفات بلوم للأهداف المعرفية، أن الأهداف المعرفية في مستوى التفكير العليا احتلت المساحة الأكبر من تلك الأهداف المعرفية، فقد احتل مستوى (التركيب) المرتبة الأولى، وجاءت مستويات (التحليل والفهم والاستيعاب والتطبيق) في المرتبة الثانية، وتبين أن مستوى (التذكر) جاء في المرتبة الثالثة.

وتستنتج الباحثة من نتائج تحليل الجداول السابقة أن تصنيف الأهداف التعليمية المعرفية في الدراسة الحالية، يختلف عن تصنيف بلوم الهرمي للأهداف التعليمية المعرفية من حيث إن مستويات التفكير العليا احتلت المساحة الأكبر من الأهداف التعليمية المعرفية، بينما احتلت مستويات التفكير الدنيا المرتبة الثانية، والثالثة ممثلة بمستوى (التذكر).

وتعزو الباحثة ذلك إلى أن الأهداف التعليمية المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر تتطلب استخدام مهارات التفكير العليا من تحليل وتركيب وتقييم؛ وذلك لأن تركية الجانب الفكري للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر تركز على عملية البناء العقدي للنفس المؤمنة فكرياً؛ مما يحدث الأثر على السلوك من خلال الاعتماد على العمليات العقلية المعرفية العليا، تستطيع النفس تقويم الأوضاع والموازن التي تهيئ الحكم على الأمور بدون اضطراب أو تناقض في الفكر العقائدي.

ثانياً: الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر

قامت الباحثة باشتقاق الأهداف التعليمية الوجدانية، والتي تساعد في إعداد المقررات التزكوية والتعليمية، وفق تصنيف كروثول للأهداف الوجدانية، حيث قسم كروثول مستويات الأهداف الوجدانية الى خمسة مستويات، وهي: (الانتباه أو الاستقبال، والاستجابة، وإعطاء القيمة، وتنظيم القيم، وتمثل القيم). وقد كانت نتائج مستويات الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر كما هي موضحة في الجدول (٨).

جدول (٨)

التكرارات والنسب المئوية للأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف كروثول

الرقم	مستويات الأهداف الوجدانية	التكرارات	النسبة المئوية	الرتبة
1	الانتباه أو الاستقبال	9	12.50%	4
2	الاستجابة	25	34.72%	1
3	إعطاء القيمة	18	25.00%	2
4	تنظيم القيم	9	12.50%	4
5	تمثل القيم	11	15.28%	3
=	المستويات ككل	72	100.00%	

يبين جدول (٨) أن مجمل الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر قد بلغ (٧٢) هدفاً تعليمياً وجدانياً، حيث احتل مستوى "الاستجابة" المرتبة الأولى بعدد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر (٢٥) هدفاً، ونسبة مئوية (٣٤,٧٢%)، وجاء مستوى "إعطاء القيمة" في المرتبة الثانية

بتكرارات بلغت (١٨) هدفاً، وبنسبة مئوية (٢٥,٠٠%) . أما المستويين " الانتباه أو الاستقبال، وتنظيم القيم" فقد احتلا المرتبة الأخيرة بعدد الأهداف الوجدانية (٩) أهداف، وبنسبة مئوية (١٢,٥٠%).

كما تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف كرونول حسب تلك المستويات، حيث كانت على النحو الآتي:

(١) مستوى الانتباه أو الاستقبال:

تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الانتباه أو الاستقبال، كما هي مبينة في الجدول (٩).

جدول (٩)

الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى الانتباه أو الاستقبال المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى الانتباه أو الاستقبال في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يصغي الطالب باهتمام إلى الآيات القرآنية الدالة على مكانة الثواب المحمود في الآخرة.
2	أن يستمتع الطالب بتخيل مشاهد الجنة والنار في اليوم الآخر.
3	أن يستمتع الطالب في أداء الواجبات المترتبة عليه تجاه والديه.
4	أن يستشعر الطالب نعمة الأمن نتيجة الإيمان بالله تعالى.
5	أن يستثمر الطالب دافع التنافس مع الآخرين، ويوجهه نحو تقوى الله تعالى وعمل الخير.
6	أن يستثمر الطالب دافع حب المال والتملك في تحفيز نفسه على الإنفاق في وجوه الخير؛ رغبة بالجزاء من الله تعالى.
7	أن يصغي الطالب إلى أحاديث فضل طلب العلم.
8	أن يستمتع الطالب بتخيل نعيم الجنة لعباد الله الصالحين.
9	أن يستشعر الطالب مكانة في إعمار الكون وفق منهج الله تعالى.

يبين جدول (٩) أن مُجمل الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الانتباه أو الاستقبال قد بلغ (٩) أهداف تعليمية وجدانية.

(٢) مستوى الاستجابة:

تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى الاستجابة، كما هي مبينة في الجدول (١٠).

جدول (١٠)

الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى الاستجابة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى الاستجابة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يؤمن الطالب بتحقيق رضوان الله ونعيمه الابدي في الجنة إزاء الامتثال لأمره عز وجل.
2	أن يكره الطالب طلب العلم لأجل الشهرة والسمعة.
3	أن يصبر الطالب على التخلق بالأخلاق الكريمة، مع المواظبة عليها.
4	أن يحصن الطالب نفسه من الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والحزن؛ عبر الإكثار من سماع الآيات الدالة على مشاهد البعث والآخرة.
5	أن يحرص الطالب على تناول الضروري من طعامه وشاربه، دون إسراف في ذلك.
6	أن يشارك الطالب زملائه في سبيل تماسك الجماعة الصفية وفق الشريعة الإسلامية.
7	أن يحب الطالب لزملائه ما يحب لنفسه من الدرجات العلمية.
8	أن يحرص الطالب على زيارة أرحامه، بصورة دورية أسبوعية.
9	أن يبادر الطالب إلى توظيف الخبرات العالمية النافعة في سبابة حضارته الإسلامية الرصينة.
10	أن يثابر الطالب على إنتاج الأفكار الإبداعية في الصناعات المادية، لتعبر عن هويته الحضارية.
11	أن يستنكر الطالب المجريات الاجتماعية الوافدة من الحضارة الغربية المشوهة لهوية حضارته.

12	أن يبادر الطالب إلى اكتتاف أصول الإيمان والعقيدة الإسلامية القويمة؛ لإحراز التوازن في أفكاره وآرائه.
13	أن يستحضر الطالب أحداث ومشاهد اليوم الآخر وأهواله في مخيلته ووجدانه.
14	أن يُحرر الطالب قلبه من مخاوف الدنيا، كالمرض والموت والقلق المستمر على المستقبل.
15	أن يكره الطالب صفات الكبر والحسد، لأنها تحجب الحق عن صاحبها، وتسبب قسوة القلوب، وهي سبب للعذاب في اليوم الآخر.
16	أن يتابع الطالب كفايات قضاء حوائجه الخاصة بالمأكل والملبس في أحاديث السنة النبوية.
17	أن يعتقد الطالب بعشوائية تفاصيل حياته الدنيا واضطرابها، إذا ما خلط بين مرجعية الوحي والمرجعيات الوضعية.
18	أن يفضل الطالب الثواب على عملياته التزكوية في الآخرة عنه في الدنيا.
19	أن يكره الطالب طغيان المصادر البشرية في تقديمها للجزاء الدنيوي.
20	أن يستشعر الطالب مكان كل حركة من تحركاته اليومية في ميزان أعماله يوم القيامة.
21	أن يلتزم الطالب بفعل ما يقول، والبعد عن ما ينهى.
22	أن ينفّر الطالب من تقفي أثر الطغاة والمنكبرين؛ نظراً لمكانتهم المذمومة يوم القيامة.
23	أن يتحمس الطالب إلى دراسة السيرة النبوية، للفوز بالجزاء المحمود، إزاء متابعته لأثر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليه.
24	أن يصبر الطالب على الامتناع عن الانخراط في الشهوات المكتتفة له.
25	أن يساند الطالب الدورات التدريبية القائمة من أجل سباكة النفس الإنسانية بصورة تزكوية عملية.

يبين جدول (١٠) أن مُجمل الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد

الطالب باليوم الآخر من مستوى الاستجابة قد بلغ (٢٥) هدفاً تعليمياً وجدانياً.

٣) مستوى إعطاء القيمة:

تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى اعطاء القيمة، كما هي مبينة في الجدول (١١).

جدول (١١)

الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى إعطاء القيمة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى إعطاء القيمة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يبدي الطالب استعداداً إلى بذل مجهوده وأمواله في سبيل الفوز برضوان الله تعالى والنعيم الأبدي في الآخرة.
2	أن يتأثر الطالب على توجيه نيته لله تعالى في كافة أعماله الدنيوية.
3	أن يلتزم الطالب بإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في أدائه لكافة الممارسات التعبدية.
4	أن يحرص الطالب على التأمل والتفكير في آيات الله عز وجل في الكون، بصورة دورية.
5	أن يمتدح الطالب عدالة الله ﷻ يوم القيامة أمام زملائه؛ مُستشهداً بالنصوص المناسبة.
6	أن يتأثر الطالب على صرف شهواته في الأنشطة الرياضية والترفيهية.
7	أن يُقدر الطالب النخبة من أساتذته والذين اتسموا بالتواضع.
8	أن يُقبل الطالب على المنهج الشرعي لمعالجة تفاصيل حياته المختلفة.
9	أن يثمن الطالب جهود العلماء والمفكرين في الحفاظ على شريعة الله عز وجل في مختلف أنحاء المعمورة.
10	أن يؤمن الطالب بأنه يتحمل جزءاً من بناء الحضارة الإسلامية المنشودة.
11	أن يقبل الطالب على إنتاج الخبرات العلمية النافعة.
12	أن يحذر الطالب من الاغترار بالمال والجاه والنسب، أو جعلها هدفاً بحد ذاته.
13	أن يقدر الطالب جهود بيئته المدرسية في سبيل تقويم فكره وسلوكه.
14	أن يثمن الطالب مكانة تزكية نيته في تزكية ذاته بالكلية.
15	أن يتأثر الطالب في إصلاح باطن بنيته النفسية وظاهرها.
16	أن يقبل الطالب على معاينة التنوع المتحقق في الجزء الدنيوي المادي والمعنوي؛ تقديراً للجزء الأخروي المادي والمعنوي.

17	أن يحذر الطالب من بث الأفكار المُشككة بصلاحية الدين الإسلامي بين زملائه.
18	أن يبادر الطالب إلى الاطلاع على الإنتاج الفكري الغربي المرتبط بتنمية المهارات الفكرية والسلوكية؛ شريطة توافقه مع المنهج الإسلامي.

يبين جدول (١١) أن مُجمل الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد

الطالب باليوم الآخر من مستوى إعطاء القيمة قد بلغ (١٨) هدفاً تعليمياً وجدانياً.

٤) مستوى تنظيم القيمة:

تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى تنظيم القيمة، كما هي مبينة في الجدول (١٢).

جدول (١٢)

الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى تنظيم القيمة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى تنظيم القيمة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يوازن الطالب بين متطلبات شخصيته المختلفة، بغية تحقيق استقامتها وسعادتها الدنيوية الأخروية.
2	أن يُسلم الطالب بما جاء به الوحي عن اليوم الآخر وأحداثه.
3	أن يرغب الطالب بقاء الله عز وجل يوم القيامة، ساعياً لإحسان هذا اللقاء بالعمل الصالح.
4	أن يوجه الطالب دوافعه الجنسية، ويهذبها بالعفة المبنية على الإرادة القوية التي تشكل الضابط السليم لها.
5	أن يحقق الطالب التوازن في نفسه بين الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.
6	أن يضبط الطالب انفعالات الفرح والحزن في نفسه بضابط الآخرة، من خلال توجيهها بما يحقق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.
7	أن يؤمن الطالب بتحقيق كمال شخصيته وتوازنها؛ إذا ما امتثل لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

8	أن يوازن الطالب بين النصوص المبيّنة للمسؤولية الفردية على عملية التزكية، وبين النصوص المجليّة لأثر الحواضن البيئية في تغيير المسلك العقدي.
9	أن يوفّق الطالب بين أفكاره وأفعاله، وفق المنهج الإسلامي القويم.

يبين جدول (١٢) أن مُجمل الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء

اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى تنظيم القيمة قد بلغ (٩) أهداف تعليمية وجدانية.

٥) مستوى تمثّل القيمة:

تم رصد الأهداف التعليمية الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم

الآخر وفق مستوى تمثّل القيمة، كما هي مبينة في الجدول (١٣).

جدول (١٣)

الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى تمثّل القيمة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية الوجدانية من مستوى تمثّل القيمة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يعترف الطالب بامتداد أهدافه من تزكية نفسه خارج حدود الوجود الدنيوي.
2	أن يُقبل الطالب على التنوع التعبدي، عبر تنويع العبادات التي يتمثلها.
3	أن يتشوق الطالب إلى لقاء الله عز وجل يوم القيامة .
4	أن يعترف الطالب بمنظومة الحقائق الغيبية المتشكلة لديه؛ نتيجة استنباطها من مصدرية الوحي الثابت.
5	أن يتشوق الطالب إلى بذل الأعمال العلمية، نظراً لأنه يترتب عليها الجزاء الأعلى يوم القيامة.
6	أن يقتنع الطالب بالتنازل عن المتاع الزائد عن الحد.
7	أن يؤمن الطالب برفق الشريعة الإسلامية؛ الأمر الذي يستحق السعي لاستمرارها مدى الحياة.
8	أن يعترف الطالب بتفرد منهجه الإسلامي في ابتدار الجزاء الأخروي المادي والمعنوي.
9	أن يثمن الطالب قيمة الأمن في حياته، وحياته الآخرين.

10	أن يُقدّر الطالب ذاته ويحترمها، من خلال شعوره بالعزة الذي ينبع من عقيدته الإسلامية.
11	أن يعترف الطالب بثبات مصدرية الجزاء الدنيوي والأخروي، والمتمثلة بالله عز وجل.

يبين جدول (١٣) أن مُجمل الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد

الطالب باليوم الآخر من مستوى تمثّل القيمة قد بلغ (١١) هدفاً تعليمياً وجدانياً.

يظهر للباحثة بعد دراسة الجداول الخاصة بالأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف (كروثول) للأهداف الوجدانية، جاءت متوافقة مع تصنيفات (كروثول) للأهداف الوجدانية، حيث ركزت الأهداف الوجدانية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وهي: الانتباه أو الاستقبال، والاستجابة، وإعطاء قيمة، وتنظيم القيم، وتمثّل القيم، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر تهتم بتزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية الذي يتعلق بالأمر القلبي والانفعالات النفسية، والدوافع الفطرية، إضافة إلى الاعتقاد باليوم الآخر الذي يشكل عنصراً بارزاً في تزكية الجانب الوجداني للنفس الإنسانية، وذلك لما له من الأثر البالغ على القلب وتحصينه من الآفات والأمراض حتى يظلّ حياً صحيحاً سليماً، فكلما زادت فناعة الإنسان بما يؤمن به، وكلما انسجمت عقائده مع فطرته الإنسانية كلما استطاع أن يسيطر على نفسه ويوجهها الوجهة التي تضمن الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ثالثاً: الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء الاعتقاد

باليوم الآخر

قامت الباحثة باشتقاق الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية)، والتي تساعد في إعداد المقررات التزكوية والتعليمية، وفق تصنيف (سمبسون) للأهداف النفسحركية (المهارية)، حيث قسّم (سمبسون) مستويات الأهداف النفسحركية (المهارية) إلى سبعة مستويات، وهي: (الإدراك الحسي،

والتهيؤ والاستعداد، والاستجابة الموجهة، والاستجابة الآلية، والاستجابة المعقدة، والتكيف، والابتكار والإبداع والأصالة). وقد كانت نتائج مستويات الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر كما هي موضحة في الجدول (١٤).

جدول (١٤)

التكرارات والنسب المئوية للأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف سمبسون

الرقم	مستويات الأهداف النفسحركية (المهارية)	التكرارات	النسبة المئوية	الرتبة
1	الإدراك الحسي	6	9.38%	6
2	التهيؤ والاستعداد	2	3.13%	7
3	الاستجابة الموجهة	15	23.44%	1
4	الاستجابة الآلية	8	12.50%	4
5	الاستجابة المعقدة	14	21.88%	2
6	التكيف	11	17.19%	3
7	الابتكار والإبداع والأصالة	8	12.50%	4
=	المستويات ككل	64	100.00%	=

يبين جدول (١٤) أن مُجمل الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر قد بلغ (٦٤) هدفاً تعليمياً نفسحركياً (مهاريًا)، حيث احتل مستوى "الاستجابة الموجهة" المرتبة الأولى بعدد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر (١٥) هدفاً، وبنسبة مئوية (٢٣,٤٤%)، وجاء مستوى "الاستجابة المعقدة" في المرتبة الثانية بتكرارات بلغت (١٤) هدفاً، وبنسبة

مئوية (٢١,٨٨%). أما المستوى "التهيؤ والاستعداد" فقد احتل المرتبة الأخيرة بعدد الأهداف الوجدانية (٢) أهداف، وبنسبة مئوية (٣,١٣%).

كما تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق تصنيف سمبسون حسب تلك المستويات، حيث كانت على النحو الآتي:

(١) مستوى الإدراك الحسي:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الإدراك الحسي، كما هي مبينة في الجدول (١٥).

جدول (١٥)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الإدراك الحسي المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الإدراك الحسي في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يتجنب الطالب جعل التنافس بين زملائه من أجل الانتصار وكسب الدرجات العلمية.
2	أن يتجنب الطالب امتثال أعمال القادة والمفكرين الإسلاميين، إذا ما ظهر ضيق الأفق والتعصب لزاوية مذهبية محددة.
3	أن يستكثر الطالب من سماع الآيات الدالة على البعث والجزاء؛ في سبيل شحذ طاقاته للعمل الصالح.
4	أن يتجنب الطالب الأداء الحركي للصلوات اليومية، والمتجرده من الانفعالات والأحاسيس الوجدانية.
5	أن يتجنب الطالب المجاهرة بسلوكياته المذمومة، حذراً من ترك أثرها في نفوس من حوله من الأفراد.
6	أن يردد الطالب أذكار الصباح والمساء الواردة في الأثر النبوي، في صباح ومساء كل يوم.

يبين جدول (١٥) أن مُجمل الأهداف التعليمية المهارية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الإدراك الحسي قد بلغ (٦) أهداف تعليمية نفسحركية (مهارية).

(٢) مستوى التهيؤ والاستعداد:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى التهيؤ والاستعداد، كما هي مبينة في الجدول (١٦).

جدول (١٦)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى التهيؤ والاستعداد المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى التهيؤ والاستعداد في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يجتهد الطالب في توجيه كافة سلوكياته العلمية والحياتية لله تعالى.
2	أن يتطوع الطالب في عقد الدورات الإلكترونية المجانية المبلورة لماهية الشريعة الإسلامية، لبثها إلى المناطق المفقرة إلى هذا التبيان.

يبين جدول (١٦) أن مُجمل الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الاستجابة قد بلغ (٢) هدفين تعليميين نفسحركيين (مهاريين).

(٣) مستوى الاستجابة الموجهة:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الاستجابة الموجهة، كما هي مبينة في الجدول (١٧).

جدول (١٧)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة الموجهة المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة الموجهة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يستثمر الطالب مواقع التواصل الاجتماعي في بيان فضل إخلاص النية لله تعالى.
2	أن يبتعد الطالب عن اشغال تفكيره بالآخرين.
3	أن يذكر الطالب الله عز وجل أثناء الامتحان، إذا ما غابت عنه المعلومة.
4	أن يمارس الطالب ما تعلمه نظرياً في المدرسة على أرض الواقع.
5	أن يحمّد الطالب الله عز وجل على نتائجه العلمية، سواء كانت سلبية أو إيجابية.
6	أن يبتعد الطالب عن إضاعة وقته فيما لا ينفعه بالدنيا والآخرة.
7	أن يدعو الطالب ربه عز وجل في أن يرزقه الثبات على دينه إلى أن يلقاه يوم القيامة.
8	أن يُقيم الطالب سنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي يغفل عنها الناس، بين أهله.
9	أن يستثمر الطالب مفردات بيئته المختلفة، لإنتاج المخرج المادي والمعنوي الحضاري.
10	أن يؤدي الطالب بدقة خطوات التخلص من الغضب الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.
11	أن يحاكي الطالب استعفاف المؤمنين الملائقون لثواب الله تعالى يوم القيامة.
12	أن يتحرك الطالب إلى تحقيق الهدف من وجوده، بالمعرفة والعلم.
13	أن يجهز الطالب اللقاءات الأسبوعية لوصف الجنة والنار، شارحاً حال أهلها المؤمنين والكافرين.
14	أن يعقد الطالب الجلسات الأسرية الشهرية؛ لتعليم أفراد أسرته حصيلته العلمية الشهرية.
15	أن يشارك الطالب في الأعمال التي تتطلب القوة الجسدية في المدرسة، وكذلك يشارك في الأعمال التي تتطلب متطلبات الروح.

يبين جدول (١٧) أن مُجمل الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الاستجابة الموجهة قد بلغ (١٥) هدفاً تعليمياً نفسحركياً (مهاريًا).

٤) مستوى الاستجابة الآلية:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الاستجابة الآلية، كما هي مبينة في الجدول (١٨).

جدول (١٨)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة الآلية المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة الآلية في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يؤدي الطالب صلاته بإتقان للفوز بالنعيم الأبدي يوم القيامة.
2	أن ينوع الطالب في عباداته المتمثلة.
3	أن يمارس الطالب تمرينات الذكاء اليومية.
4	أن يداوم الطالب على الاستعانة بالله تعالى قبل الامتحانات الفصلية.
5	أن يجيد الطالب استخدام الأساليب العلمية الحديثة للرد على للفرق والجماعات المعرّقة لمسيرة الشريعة الإسلامية في الأرض عامة.
6	أن يطبق الطالب الممارسات السلوكية الباطنية والظاهرة المفضية إلى تحقيق الفوز برضا الله والنعيم الأبدي في الآخرة.
7	أن يحمد الطالب الله عز وجل على نعمه الظاهرة والباطنة، والدقيقة والجليلة؛ منتظراً المجازة عليها في اليوم الآخر.
8	أن يتطوع الطالب في دفع الصدقات الشهرية؛ مخفياً ذلك عن أهله وزملائه.

يبين جدول (١٨) أن مُجمل الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الاستجابة الآلية قد بلغ (٨) أهداف تعليمية نفسحركية (مهارية).

٥) مستوى الاستجابة المُعددة:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الاستجابة المُعددة، كما هي مبينة في الجدول (١٩).

جدول (١٩)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة المُعددة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الاستجابة المُعددة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يوظف الطالب طاقاته الفكرية في سبيل الفوز برضا الله تعالى.
2	أن يحذر الطالب من تأليه معلمه.
3	أن يجيد الطالب التدبر في الدورة التوليفية الكونية، عبر الربط بين المفردات الكونية المتميزة.
4	أن يدعم الطالب المشاريع المجتمعية الإصلاحية مادياً، ذات المنشأ الأولي.
5	أن يوظف الطالب علاقاته الاجتماعية؛ لإيصال الصورة القويمة للدين الإسلامي.
6	أن يطبق الطالب الأعمال الأكثر فاعلية في تزكية نفسه، والأكثر وزناً في ميزانه يوم القيامة.
7	أن يجتهد الطالب في إبطال ادعاءات الطغاة المغترين بحسن الجزاء الدنيوي، والمتناسين للجزاء الأخروي.
8	أن يوظف الطالب الوسيلة البصرية للمقارنة بين دقة العدل الإلهي على الجزاء وشموليته، واقتضاب العدل البشري وأحاديته - ضيق الأفق-.
9	أن يبحث الطالب بنفسه عبر الانترنت عن دورات تأهيلية للحياة الزوجية المستقبلية.

10	أن يخضع الطالب للمحاكمة العقلية العنيفة؛ لمعرفة مدى تحمله لأخطاء أهله وأصدقائه.
11	أن يحدد الطالب قائمة بالأعمال الجسمانية والروحانية التي ينوي امتثالها؛ في صباح كل يوم.
12	أن يدعو الطالب معارفه العصاة والفاسقين إلى صلاح العمل، مُستكثراً من ذكر الجنة ونعيمها لأهل الصلاح.
13	أن يقيس الطالب طبيعة الجزاء الأخروي الملامس لأهله، مُستنداً إلى حال عملهم الدنيوي.
14	أن يقوم الطالب بعمل صندوقين يضع في الصندوق الأول الأعمال التي تتطلبها الحياة الدنيوية، والصندوق الثاني الأعمال التي تتطلبها الحياة الآخرة، دعوة للموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة.

يبين جدول (١٩) أن مُجمل الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في

ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الاستجابة المُعقدة قد بلغ (١٤) هدفاً تعليمياً نفسحركياً (مهاريًا).

٦ مستوى التكيّف:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد

الطالب باليوم الآخر وفق مستوى التكيّف، كما هي مبينة في الجدول (٢٠).

جدول (٢٠)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى التكيّف المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى التكيّف في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يقتدي الطالب بالنبي صلى الله عليه وسلم في مختلف عباداته المفروضة والملتزمة.
2	أن يعزو الطالب نجاحه وتوفقه إلى فضل الله تعالى.
3	أن يسيطر الطالب على وساوسه السلبية.
4	أن يخضع الطالب انفعالات الخوف والرجاء من الآخرين، إلى الخوف والرجاء من الله تعالى.
5	أن يُعدّل الطالب على عاداته السلبية؛ لكونه سيحاسب عليها يوم القيامة.

6	أن يترجم الطالب رغبته باستمرار الشريعة في المعمورة، سلوكاً عملياً في كل وقت وحين.
7	أن يحاكي الطالب علماء الأمة ومفكرها، في سبيل خدمة الرسالة الإسلامية، والعمل على ترسيخ قواعدها.
8	أن ينقح الطالب من دائرة علاقاته الاجتماعية، للاستغراق في سويها، والانكفاف عن سقمها.
9	أن يستعيد الطالب تاريخ حضارته الإسلامية المشرقة؛ لتقفي أثرها في حاضره.
10	أن يُخلص الطالب بنيته النفسية من أي انفعالات سلبية حال دخوله قاعة الامتحان؛ لينعكس ذلك على عطائه الفكري.
11	أن يترجم الطالب الأحاديث النبوية المرتبطة بالإخلاص في طلب العلم على أرض الواقع؛ في سلوكه العلمي اليومي.

يبين جدول (٢٠) أن مُجمل الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى التكيّف قد بلغ (١١) هدفاً تعليمياً نفسحركياً (مهاريًا).

٧) مستوى الابتكار والإبداع والأصالة:

تم رصد الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر وفق مستوى الابتكار والإبداع والأصالة، كما هي مبينة في الجدول (٢١).

جدول (٢١)

الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الابتكار والإبداع والأصالة المشتقة من تزكية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر

الرقم	الأهداف التعليمية النفسحركية (المهارية) من مستوى الابتكار والإبداع والأصالة في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر
1	أن يتسم الطالب بالعدالة عند نقده لزميله، عبر بيانه لإيجابياته وسلبياته على السواء.
2	أن يتخلق الطالب بالخلق الحسن في تعامله مع نفسه، ومع الآخرين على السواء، لكونه أنقل الأعمال في الميزان يوم القيامة.
3	أن يكتشف الطالب أخطاءه وثغرات أهل بيته، ليعمل على إصلاحها.

4	أن يصمم الطالب خطة يومية للقيام بالفرائض والنوافل المؤدية إلى الفوز برضا الله والنعيم الأبدى في الآخرة.
5	أن يرسم الطالب خريطة مفاهيمية تظهر المنافع المترتبة على تركية النفس باستقامة عملها.
6	أن يبتكر الطالب الأنشطة التطوعية التي ترتقي بمجتمعه المسلم عموماً.
7	أن يطوّر الطالب برنامجاً لإدارة الذات، يستنبط أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية.
8	أن يشارك الطالب في الرحلات الميدانية للكشف عن الثروات المادية، متحلياً بالصبر والعزيمة لذلك.

يبين جدول (٢١) أن مُجمل الأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تركية النفس في

ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر من مستوى الابتكار والإبداع والأصالة قد بلغ (٨) أهداف تعليمية نفسحركية (مهارية).

يظهر للباحثة بعد دراسة الجداول الخاصة بالأهداف النفسحركية (المهارية) المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر، وفق تصنيف سمبسون للأهداف النفسحركية (المهارية)، جاءت متوافقة مع هذا التصنيف، حيث إنه قد تم اشتقاق أهداف نفسحركية (مهارية) التي قُسمت إلى سبعة مستويات، وهي: (الإدراك الحسي، والتهيؤ والاستعداد، والاستجابة الموجهة، والاستجابة الآلية، والاستجابة المعقدة، والتكيف، والابتكار، والإبداع، والأصالة). وتعزو الباحثة هذا التوافق إلى أن تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، تتطلب تركية الجانب العملي الذي يركز على العمل الصالح الذي يُعد ثمرة الإيمان ومقتضياته، وعليه الحساب والعقاب، وبه يحصل الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال ربط العمل بالإيمان، فالتصديق باليوم الآخر شرط الإيمان، وهو ذو أثر حاسم في سلوك النفس الإنسانية.

الخاتمة

تشمل الخاتمة على النتائج، والتوصيات، والمقترحات، ويمكن تجليها عبر الآتي:

أولاً: النتائج: توصلت الدراسة الحالية إلى جملة من النتائج تتمثل بالآتي:

١. تعرف تزكية النفس: سلسلة من الإجراءات التطهيرية والإصلاحية والتنمية لذات الإنسان، بمكوناتها الباطنة والظاهرة، والمادية والمعنوية، بهدف الوصول إلى الكمال الإنساني والترقي في مراتب الإحسان، من خلال عملية تخلية من الرذائل والشهوات وتحلية بفضائل الأوصاف والأخلاق.

٢. من الأهداف الكبرى لتزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر: هدف الفوز برضا الله تعالى، والنعيم الأبدي في الآخرة. وكذلك استمرار شريعة الله عز وجل وذكره الأعظم في مختلف أنحاء المعمورة، وعلى مدار الحياة الدنيا.

٣. من أبرز القواعد في تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، قاعدة: الوحي الإلهي بشقية القرآن الكريم والسنة النبوية المصير الرئيس للتوجيهات التزكوية الرشيدة الموصلة للفوز باليوم الآخر. وقاعدة: النفس الإنسانية هي المعنى الرئيس بتزكية ذاتها، وأي حواضن تربية تزكوية هي حواضن مساندة.

٤. تتسم أساليب تزكية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر بالتأثير على النفس الإنسانية، وذلك بمخاطبة العقل تارة، وتوجيه الانفعالات، وإثارة العواصف تارة أخرى، أو بتكوين عادات حسنة لدى النفس، ومن أقوى هذه الأساليب: أسلوب المفاضلة الجزائية والموازنة العقلية بين الدنيا والآخرة، وأسلوب النظر في الإشارات الدنيوية المناظرة للمعالم الأخروية، وأسلوب التصوير والتجسيم الفني.

٥. تتكون النفس الإنسانية من عدة جوانب وأبعاد فكرية وجدانية وعملية. فالإنسان مزيج من الجوانب المادية وكذلك الروحية. حيث قدمت الدراسة أبعاد تزكية الجانب الفكري للنفس الإنسانية في ضوء

الاعتقاد باليوم الآخر، ببيان تركية العمليات المعرفية ممثلة بالتذكر والإدراك والاستدلال. وبيان تركية ميادين الفكر الإنساني في قضايا الوجود: (الخالق، والكون، والإنسان، والحياة، والآخرة).

6. كشفت الدراسة عن تركية الجانب الوجداني في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وذلك ببيان منهج القرآن الكريم في الخطاب الوجداني للنفس الإنسانية وأثره في تركيتها في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وذلك عبر ضبط عاطفة المحبة لله تعالى بضابط اليوم الآخر، وكذلك عبر ضبط الدوافع بضابط البعث والجزاء والآخرة عموماً. وكذلك عبر طريقة الخطاب القرآني للنفس الإنسانية بشأن اليوم الآخر.

7. كشفت الدراسة عن خطوط عريضة يُعول عليها في تركية الجانب العملي للنفس الإنسانية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، والتي تتمثل في تركية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تركية العلاقات الإنسانية، وكذلك تركية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر تركية أعضاء الجسم في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وتركية الجانب العملي عبر تركية المال في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وتركية الجانب العملي للنفس الإنسانية عبر (التخلية) بالتطهير من المعاصي والذنوب و(التحلية) بالتحلي بالفضائل والعبادات في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر.

8. عرضت الدراسة لمنظومة من الإجراءات العملية لتركية جوانب النفس الإنسانية الفكرية والوجدانية والعملية في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، كان من أبرزها التفكير بالمعاد، واعتماد المصدرية السليمة في قضايا اليوم الآخر، المراقبة الذاتية، والخوف والرجاء والابتعاد عن الكبر والحسد.

9. توصلت الدراسة إلى جملة من التطبيقات التربوية لتركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر في العملية التعليمية عبر ما استفادته الباحثة من فصول الدراسة، واشتملت هذه التطبيقات على التربوية على خصائص المنهاج التعليمي والمعلم والمتعلم، إضافة إلى جملة من الأهداف التعليمية والوجدانية والنفسحركية. وقد احتلت الأهداف المعرفية في مستوى التفكير العليا المساحة الأكبر من الأهداف المعرفية وفقاً لتصنيف بلوم، حيث احتل مستوى التركيب (المرتبة الأولى) بعدد

الأهداف المعرفية المشتقة من تركية النفس في ضوء اعتقاد الطالب باليوم الآخر (١٥) هدفاً
وبنسبة مئوية (٢٢,٧٣%).

ثانياً: التوصيات؛ في ضوء النتائج السابقة، توصي الدراسة الحالية بالآتي:

- إيلاء الباحثين في تركية النفس من المنظور التربوي الإسلامي مزيداً من الاهتمام، بإجراء دراسات علمية متخصصة.
- إيلاء واضعي المناهج المدرسية الاهتمام بالمنهج التربوي في تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، والأخذ بعين الاعتبار التوجيهات التي جاءت بها نصوص القرآن والسنة فيما يتعلق بتزكية النفوس وإصلاحها عند وضع وإعداد المناهج الدراسية.
- تدريس علوم النفس وأحوالها، وطرق إصلاحها وتزكيته من خلال المنظور التربوي الإسلامي.
- تفعيل دور تركية النفس في ضوء الاعتقاد باليوم الآخر، وتطبيقاته التربوية في العملية التعليمية والمؤسسات التربوية المتخصصة في التربية والتزكية.
- ضرورة إعادة النظر في أساليب التعليم وعدم التركيز على مجرد اتقان الحفظ والتذكر، بل لا بد من أن يُجمع إلى ذلك الفهم والتدبر، وأن يستخدم المعلمون الأساليب التربوية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية في تعزيز العقيدة في النفوس، وذلك للوصول إلى تركية نفوس الطلبة من خلالها، من أجل أن يساهم الوحي في تشكيل شخصياتهم.

ثالثاً: المقترحات

تقترح الدراسة الحالية إجراء دراسات علمية تعنى بدراسة تركية القرآن الكريم للنفس الإنسانية في ضوء أركان الإيمان. ودراسات علمية تُعنى بدراسة تركية النفس الإنسانية في ضوء توجيهات السنة النبوية.

قائمة المصادر والمراجع

الإبراهيم، رنا فريد، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس الإنسانية من الغضب، رسالة ماجستير

غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٠م.

ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب،

صيда، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ترقيم المكتبة الشاملة، ج١٠، ص ٣٢٥٢، ط ٣،

١٤١٩هـ.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، دار

الجيل، ط ٢، ١٩٧٣م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللفهان من مصادد الشيطان.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو

الداء والدواء، المغرب، دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٧م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٧٣م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين، بيروت، دار الكتاب، ط ٣،

١٩٩٦م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،

بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط ٢٧.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، بيروت، دار الفكر، د. ط، ١٩٧٨م.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **تزكية النفس**، دراسة وتحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٤م.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، **فصل في تزكية النفس**، اعتنى به: فواز محمد العوضي، الكويت، مكتبة النهج الواضح، ط ١، ٢٠١٨م.

ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، ١٩٩٥م.

ابن تيمية، **مجموع الفتاوى الإسلامية ابن تيمية**، جمعه ورتبه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، الرياض، دار عالم الكتب، د.ط، د.ت.

ابن حبان، محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣.

ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد، **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٧٩.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ٢٠٠٠م.

ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح أصول الإيمان**، الرياض، دار الوطن، ط ١، ١٤١٠هـ.

ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.

ابن قدامة المقدسي، نجم الدين أبو العباس، **مختصر منهاج القاصدين**، دمشق، مكتبة دار البيان، د.ط، ١٩٧٨.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٩٩٩م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد بن حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، مكتبة أبي المعاطي، ترقيم المكتبة الشاملة. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٨٧م.

ابن وهب، عبد الله، الجامع في الحديث، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م، حديث رقم (٢١٨)، باب البر، ج ١.

أبو الحسن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ص ٢٣، ترقيم المكتبة الشاملة.

أبو الحسن الندوي، علي الحسني، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، الكويت، دار القلم، ط ٢، ١٩٨٣م.

أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ٢٠٠١، م.ك.

أبو حميدي، علي بن عبده، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية التربية، السعودية، ٢٠٠٨م.

أبو حميدي، علي، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٩هـ.

ابي بكر الأزري، محمد، مختار الصحاح، تحقيق: محمد خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م.

أبي داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
الأثري، عبدالله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ١٤٢٣ هـ،
المكتبة الشاملة.

الآجري، محمد بن الحسين، أخلاق العلماء، السعودية، رئاسة إدارات البحوث، المكتبة الشاملة.
أحمد، سامية منصور، الإيمان باليوم الآخر: دراسة تطبيقية على جزء عم، رسالة ماجستير، قسم
اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الجزيرة، السودان، ٢٠١٣ م.

الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، عمان، دار الفرقان، ط ١، ٢٠٠١ م.
الأشقر، عمر سليمان، اليوم الآخر: القيامة الصغرى، الأردن، دار النفائس، ١٩٩١ م.
الأشقر، عمر سليمان، اليوم الآخر: القيامة الكبرى، الأردن، دار النفائس، ط ٤، ١٩٩٠ م.
الأشقر، عمر، اليوم الآخر - القيامة الكبرى، ط ١، بيروت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٦ م.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، شرح العقيدة الطحاوية، ترقيم المكتبة الشاملة.
آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، معالم في السلوك وتزكية النفوس، د.م، دار الوطن، ط ١،
١٤١٤ هـ، المكتبة الشاملة.

آل ياسين، محمد حسين، المعاد، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٧٢ م.
الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ، م.ك.

الأميني، ابراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، بيروت، دار البلاغة، ط ٤، ٢٠٠١ م.
الأنصاري، اسماعيل بن محمد، التحفة الربانية في شرح الأربعين النووية، ترقيم المكتبة الشاملة.
البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
البدري، عبد الرزاق، عشر قواعد في تزكية النفس، دن، مكتبة اتقان، ط ١، ٢٠١٨ م.

- البروسوي، اسماعيل حقي، تفسير روح البيان، بيروت، دار الفكر، د. ط.
- البيزار، أبو بكر أحمد بن عمر، مسند البيزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ٢٠٠٩م، مجلد ١.
- البيغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، ط ٤، ١٩٩٧م.
- البقاعي، ابراهيم بن عمر، تفسير البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- بلكا إلياس، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، ٢٠٠٨.
- بن حميد، الشيخ صالح بن عبدالله، نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، جدة، دار الوسيلة، ط ٤، د.ت.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، دمشق، دار الفكر، ط ٣، ١٩٩٨م.
- البيضاوي، ناصر الدين، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر.
- الترمذي، محمد بن علي، أدب النفس، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
- الثل، شادية أحمد، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، الأردن، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٦م.

التل، شادية أحمد، علم النفس التربوي في الإسلام، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ١،
٢٠٠٥م.

التل، شادية وآخرون، الحزن في السنة النبوية، مجلة الجامعة الأردنية في الدراسات الإسلامية،
المفرق، الأردن، مجلد ١١، عدد ٢، ٢٠١٥.

توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة، دار السلام، ط ٢، ٢٠٠٢م.
التويجري، محمد بن إبراهيم، اليوم الآخر صفة الجنة والنار، السعودية، دار أصدقاء المجتمع للنشر
والتوزيع، ط ٥، ٢٠١٢م.

التويجري، محمد بن إبراهيم، موسوعة فقه القلوب، دم، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت، ترقيم
المكتبة الشاملة.

جابر، تهاني عفيف يوسف، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، عمان، دار الفتح للدراسات
والنشر، ط ١، ٢٠١٥م.

الجاي، إدريس، الصيام وتشريع العبادات، مجلة الفرقان، عدد ١، ١٩٨٤م.

الجرجاني، أحمد بن إبراهيم، اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الرياض،
دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١،
١٩٨٣م.

الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، القاهرة، دار العقيدة، د.ط، د.ت.

جلي، أحمد محمد أحمد، الإيمان باليوم الآخر أو السنة أدلته وأثره في حياة الإنسان، مجلة البحوث
الإسلامية، عدد ٣٦، ١٩٩١م.

الحاج، فائز محمد علي، الصحة النفسية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.

الحارثي، دوخي بن زيد بن علي، من مشاهد يوم القيامة، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد ٤٣،
١٩٩٣م.

حامد، سناء بخيت، تزكية النفس وأثرها في حياة المسلم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم
درمان الإسلامية، قسم الدعوة والإسلام، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان،
١٩٩٨م.

حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، القاهرة، مؤسسة قرطبة.

الحنبلي، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية، دمشق، مؤسسة الخافقين
ومكتبها، ط ٢، ١٩٨٢.

حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، عمان، دار الأرقم، ط ١، ١٩٨٣م.

حوى، سعيد، المستخلص في تزكية النفس، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط ١٠، ٢٠٠٤م.
خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم عبد الصبور شاهين،
القاهرة، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٩٧٧م.

خطاطبة، عدنان مصطفى، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك،
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، ٢٠٠٦م.

خطاطبة، عدنان مصطفى، النظرية التربوية الإسلامية، دمشق، دار العلم والإيمان، ط ١، ٢٠٢٠م.
خطاطبة، عدنان، الأصل النفسي في التربية الإسلامية؛ "دراسة تأصيلية"، مجلة الجامعة الإسلامية
للدراسات التربوية والنفسية، غزة، المجلد ٢١ (٤)، ٢٠١٣م.

خطاطبة، عدنان، القيم والأهداف التربوية في العقيدة الإسلامية، عالم الكتب الحديثة، ط ١،
٢٠١٦م.

الحوالدة، محمود عبدالله، علم النفس الإسلامي، دار الفرقان، الأردن، د. ط، ٢٠٠٤م.

الخولي، حلمي، العبادات وأثرها في تفريج الكرب، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
مجلد ٢١، عدد ٢٤٥، ١٩٨٥م.

الداود، وجدان محمد نصر، تربية النفس الإنسانية عند الشيخ الشعراوي، أطروحة دكتوراه، جامعة
اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، ٢٠١٥.

الدغامين، زياد خليل، الأبعاد المعرفية والتربوية للإيمان بالآخرة: قراءة في رسائل النور، المجلة
الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٤، العدد ٣، ٢٠٠٨م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق: محمد صغير المعصومي،
إسلام اباد، معهد الأبحاث الإسلامية، ١٩٦٨.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م.
الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون،
١٩٩٥.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقق: صفوان عدنان
الداودي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٢.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد
العجمي، القاهرة، دار السلام، د.ط، ٢٠٠٧م.

الربيع، الربيع بن حبيب، مسند الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس وعاشور بن يوسف، بيروت،
دار الحكمة، ط ١، ١٤١٥هـ.

رسلان، ماجد، الصلاة أم العبادات ومعراج بعد معراج، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية،
هدي الإسلام، مجلد ٣٧، عدد ٩١٠، ١٩٩٣.

رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٥.

رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م.

الرويشد، أسماء، طريقك إلى تقوية إيمانك، الربوة، المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات، المكتبة الشاملة.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، المكتبة الشاملة.

زريوا، جميل يوسف، مقاصد الشريعة الجزئية في كتاب العبادات، مجلة البحوث الإسلامية، مجلد ٢، عدد ٦، ٢٠١٦م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

الزنداني، عبد المجيد وآخرون، الايمان، بيروت، دار وحي القلم، ط ١، ٢٠٠٤م.

زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العروس، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٠م.

سابق، سيد، العقائد الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض، دار السلام، ط ٢، ٢٠٠٢.

السفاري الحنبلي، محمد بن أحمد، غذاء الألبان شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد بن عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

السلمان، عبد العزيز محمد، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، ط ٧، ١٤١٠هـ.

السلمان، عبد العزيز محمد، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، المكتبة الشاملة.

السيد أحمد، وقيع الله قسم، وسائل التربية الإسلامية في تزكية النفس، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد ٢٠، ٢٠١٠م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **البدور السافرة في أحوال الآخرة**، تحقيق: أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن اسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٢م.

الشحود، علي بن نايف، **الوقت وأهميته في حياة المسلم**، بحث منشور، المكتبة الشاملة.
الشرفين، عماد، **تعديل السلوك في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٢م.

الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
الشلول، زكريا، **أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني**، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٤م.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ.
صالح، علي ابراهيم راتب، **الآيات القرآنية الجامعة في تزكية النفس والعلاقات الاجتماعية: دراسة موضوعية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدعوة وأصول الدين، الأردن، ٢٠١٢م.

صالح، نهيل، وطاهر، سميرة، **تربية السلوك الإنساني من خلال الإيمان بالغيب: مشاهد اليوم الآخر في أرض المحشر أنموذجاً**، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد ١١٦، ٢٠١٨م.
الصلابي، علي محمد، **الإيمان باليوم الآخر - فقه القдом على الله**، بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ٢٠١١م.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.

الطخيس، أبي البراء سعد، **تزكية النفس**، الرياض، دار الصميقي، ط ١، ١٩٩٢م.
عاشور، عبد الفتاح، **العبادات منهج أخلاقي**، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١٤٠، ١٩٧٦م.

عباس، عوض الله حمزة، **تزكية النفس عند ابن قيم الجوزية**، رسالة ماجستير، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠١٣م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف**، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٩٩٢م.

عبد الرحيم، صفاء صديق علي، **مؤشرات شعب الإيمان القلبية على سلوك المسلم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية، السودان، ٢٠١٤م.

عبد القادر، محمد أحمد، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.

العبدلي، أمير فاضل والتهاري، عبد الله علي، **دلائل البيان في أساليب القرآن (مباحث بيانية في أساليب القرآن الكريم)**، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م.

عبود، باسمه هلال، **الأساليب التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، عدد ٤٨، ٢٠١٦.**

عبود، عبد الغني، **اليوم الآخر والحياة المعاصرة**، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٧٨م.

العقاد، عباس محمود، **الإنسان في القرآن الكريم**، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت.

العنواني، رقية طه، **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، **مجلد ١٩ (٣١)**، ١٤٢٥هـ.

العنواني، رقية طه، **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، **مجلد ١٩**، عدد ٣١، ٢٠٠٤م.

العلي، إبراهيم، **رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس**، عمان، مركز حراء، ط ٢، ٢٠٠٥م.

العلي، محمد تيسير سليمان، **الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م.

- عمر، أحمد عمر، **منهج التربية في القرآن والسنة**، دمشق، دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٦.
- عوض، عبد الله يوسف، **الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية الإسلامية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩.
- العوفي، عبد الله بن سمران بن سلمان، **المناهج والأساليب الدعوية في أحاديث اليوم الآخر من الكتب الستة**، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م.
- الغزالي، أبو حامد بن أحمد الطوسي الشافعي، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٤م.
- الغزالي، أبو حامد بن أحمد الطوسي الشافعي، **آيها الولد**، القاهرة، دار الاعتصام، ط ٢، ١٩٨٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة.
- الغزالي، أبو حامد، **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥.
- الغزالي، **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا القبانى، بيروت، دار إحياء العلوم، ط ٢، ١٩٨٦م.
- فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٧، ١٩٩٤م.
- فايز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، ط ١، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، ١٩٧٥م.
- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- فريد، أحمد، **تزكية النفوس**، الاسكندرية، دار العقيدة للتراث، د.ط، ١٩٩٣.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، المكتبة الشاملة.
- القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ط ١٩، دمشق، مؤسسة الر سالة ناشرون، ٢٠٠٥م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤.

قريب، محمد عياد، **دور العبادات في صياغة الذات الإنسانية**، مؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، مجلد ١٣، عدد ٣٧، ٢٠١٢م.

القطان، مناع بن خليل، **أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة**، دار الملك عبد العزيز، مجلد ٥، عدد ٤، ١٩٨٠م.

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، القاهرة، دار المعارف، د.ط، ١٩٦٣.

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مصر، دار الشروق، ط ٣، ٢٠٠٣م.

قطب، سيد، **مشاهد القيامة في القرآن**، دار المعارف، ط ٩، ٢٠٠٣م.

قطب، سيد، **مشاهد يوم القيامة في القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١.

قطب، سيد، **مشاهد يوم القيامة في القرآن**، مصر، دار الشروق، ط ١٦، ٢٠٠٦م.

قطب، محمد، **دراسات قرآنية**، القاهرة، دار الشروق، د.ط، د.ت.

قطب، محمد، **ركائز الإيمان**، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١م.

قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الشروق، ط ١٤، ١٩٩٣م.

القنوجي، محمد، **يقظة أولي الاعتبار**، القاهرة، دار الأنصار، ط ١، ١٩٨٧م.

كرزون، أنس أحمد، **أمراض النفس**، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٧.

كرزون، أنس أحمد، **تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، ١٩٩٥م.

كرزون، أنس، **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**، جدة، دار نور المكتبات، ط ١، ١٩٩٧م.

كريمة، أحمد محمود، وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، مجلد ٣٦، عدد ٤٠٤، ١٩٩٩م.

كمال، يوسف محمد، العبادات وأثرها في تربية المسلم، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، مجلد ٤٧، عدد ٢، ٢٠٠٣م.

الكيلائي، ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دمشق، دار ابن كثير، ط ٢، ١٩٨٥م.

الكيلائي، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دبي، دار القلم، ط ١، ٢٠٠٥م.

المحاسبى، الحارث بن أسد، فهم القرآن ومعانيه، بيروت، دار الكندي، ط ٢، ١٣٩٨هـ.
محمد، فاطمة أحمد موسى، تزكية النفس عند الإمامين الغزالي وابن تيمية: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠١٧م.

مراد، يحيى، عالم الغيب بين الوحي والعقل، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
المراغى، احمد بن مصطفى، تفسير المراغى، مصر، مطبعة مصطفى لبابى الحلبي، ط ١، ١٩٤٦م.
مسعود، عامر، مقاصد العبادات في الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مجلد ١٥، عدد ١٧٩، ١٩٧٩م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

مصطفى إبراهيم و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ترقيم المكتبة الشاملة.

مقبل، ربي عفيف، منهج التربية الإسلامية في تزكية النفس من الحسد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠١٢م.

ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٣م.

ملكاوي، محمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الرياض، دار ابن تيمية، ط ١، ١٩٨٥.

المنيجي، شمس الدين، تسليية أهل المصائب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٥م.

الموسوعة العربية العالمية، مكتب الدعوة وتوعية الجاليات لحي الروضة، المكتبة الشاملة.

موقع الشبكة الإسلامية، دروس للشيخ إبراهيم الدويش، المكتبة الشاملة.

المومني، محمد علي العكاشة، الدوافع وأثرها في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.

الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٩٧٩م.

ناجي، بدر الدين عبده، تزكية النفس في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠١٤م.

نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، القاهرة، دار الشروق، ط ٧، ١٩٩٩م.

النجار، أحمد، الإيمان بما بعد الموت، السعودية، دار النصيحة، ط ١، ٢٠١٣م.

النجار، زغلول، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، فرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٠م.

النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط ٢٥، ٢٠٠٧م.

النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

الندوي، أبو الحسن، العقيدة والعبادة والسلوك، الكويت، دار القلم، ط ٢، ١٩٨٣م.

نفرة، التهامي، عقيدة البعث في الإسلام، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٨٠م.

النهدي، منصور، دور العبادات وأثرها في السلوك الإنساني والعلاقات البشرية، مجلة الأمن والحياة،

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مجلد ٥، عدد ٥١، ١٩٨٦م.

نور، محمود إبراهيم محمود، المنهج القرآني في تزكية الأنفس: دراسة موضوعية من خلال القصص

القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة، ٢٠١٢م.

النورسي، سعيد، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل، ٢٠٠٧م، ط١.

النووي، أبو زكريا محي الدين، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢،

١٣٩٢هـ.

النيسابوري، الحسن، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميران، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط١، ١٩٩٦.

الهاللي، مجدي، نظرات في التربية الإيمانية، القاهرة، مؤسسة اقرأ، ط١، ٢٠١٠م.

ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، الأردن: عمان، مكتبة الرسالة، ط٤، ١٩٨٥م.

اليوسف، عبدالله بن محمد، تزكية النفس ومعالجة الآفاق، الرياض، دار العاصمة، د.ط، د.ت.

اليوسف، محمد بن يحيى، أثر الإيمان باليوم الآخر في إصلاح المجتمع: دراسة تحليلية دعوية،

رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٣م.

Abstract

Al_ Rifa'i Ebtihal , Educational Methodology in Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day and its Applications in the Teaching Process, PhD thesis, Yarmouk University 2020, supervisor D. Adnan Mustafa Khatatbeh

The study aimed to explain the Educational Methodology of Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day. And it consisted of the following questions :What is the concept of Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day? What are the outcomes, the rules and methods of Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day? What are the aspects of Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day? And what are the educational applications for Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day in the teaching process? To achieve this study the researcher followed the inductive approach, analytical and deductive. The study reached a number of results the most prominent of them were the major goal for Declaring the Integrity of Personality in the Light of Belief in the Last Day is winning the satisfaction of God Almighty and eternal bliss in the afterlife. And one of the most important rules in Declaring Integrity of Personality in the light of belief in the Last Day, the divine revelation in both of its parts the Holy Qur'an and AL_Sunna of the Prophet Mohammad is the main source of the best rational directions related to winning the Last Day. From the methods of Declaring integrity of Personality in the light of the belief in Last Day, the penal differentiation and mental balance between the life and the Hereafter. The study presented the dimensions of integrity of intellectual sides of the human soul clarifying the integrity of cognitive processes and clarifying the fields of human thought in the issues of existence. And the integrity the emotional sides by controlling the reality in

the control of the resurrection and the penalty and the integrity of practical sides through the integrity of human relations and integrity of body organs. The study presented for the the applications of integrity of personality in the light of the belief in the Last Day on the characteristics of the educational curriculum, the teachers and the learner, as well as the derivation of educational outcomes. One of the most prominent recommendations of the current study is to give the authors of schools curricula the attention to the educational approach in integrity of personality in the light of the belief in the Last Day.

Key words ; Educational Methodolgy ,Integrty of Personality The Last Day , Applications .

تم بحمد الله وفضله